بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات العليا

كلية اللغة العربية

قسم الدراسات الأدبية والنقدية

ديوان رشفات المُدام للشيخ قريب الله بن أبى صالح (الطيبي السماني)

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة

في الأدب والنقد

دراسة نقدية تحليلية

اعداد الطالب / الطيب بلال منير دفع الله

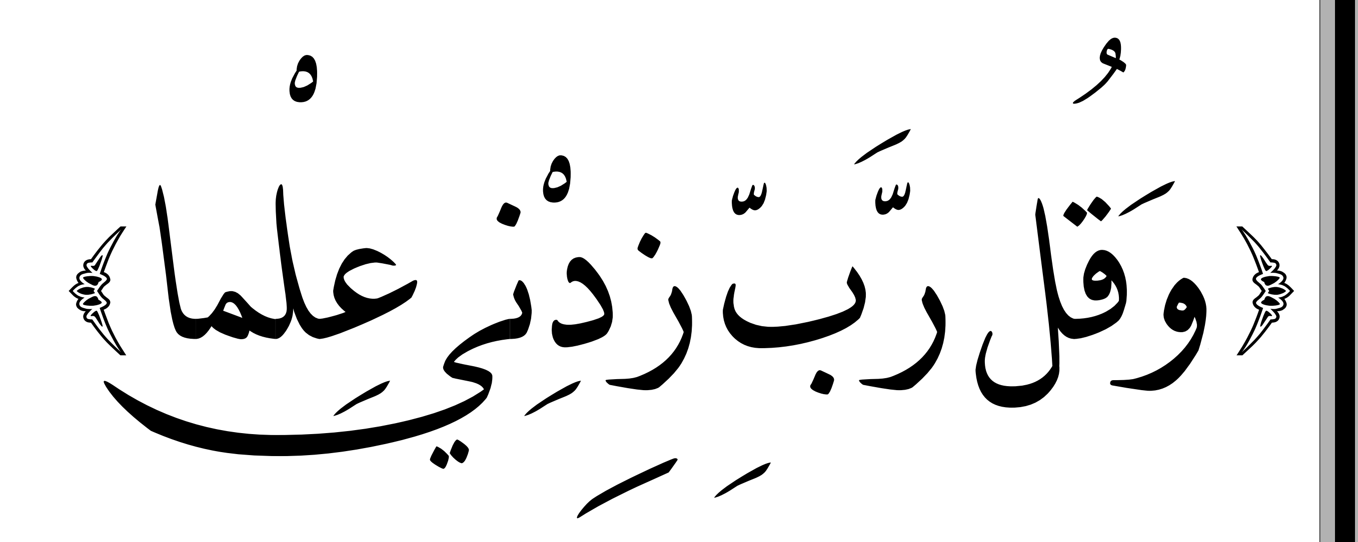
اشراف الدكتور / بشير عباس بشير

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م



آيـة

قال تعالى:



صدق الله العظيم

سورة طه (١١٤)

الاهداء

- إلى روح شيخ والدي بأبي قمري ...
- إلى شيخي الشيخ البكري بابي قمري...
- إلى روح والدي الفقيد الشيخ بلال الذي ناضل من أجلي ...
- إلى والدتى العطوف ...
- إلى أخوتي اللذين أوفوا بحقي الدكتور الشيخ عبد الجبار والدكتور الشيخ عبد المحمود والاستاذ الشيخ صلاح ...
- إلى إخوتي شيوخ وشباب الطريقة السمانية الطيبية بمسيد الشيخ بلال بالثورة ح (٦٣)..
- إلى استاذي المشرف على هذا البحث البروفسير بشير عباس ...
- إلى كل من تخضبت يده بالطبشور ليصنع للآخرين حياة أكثر اشراقاً ...
- إلى أخواتي الوفيات ...
- إلى زوجتي وأبنائي وبناتي...
- إلى طلابي وطالباتي ...
- إلى كل من وقف معي مساهماً في هذا البحث وخاصة الاستاذ بهاء الدين الذي قام بطباعة هذا البحث ...
- إلى كل أهلي وعشيرتي وكل المسلمين خاصتهم وعامتهم ...

اهدي هذا الجهد المتواضع

الباحث

الشكر والتقدير

رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه، وصلِّ اللهم وبارك على أفضل خلقك سيدنا محمد وعلى آله وصبحه وسلم تسليماً كثيراً.

لزاماً عليّ وقد شارف هذا البحث على نهايته أن اتقدم بفائق الشكر وعظيم الإمتنان إلى أستاذي البروفسير بشير عباس الذي أشرف على هذا البحث حتى اكتمل ورأى النور، ذلك بفضل ما قدمه لي من النصح والإرشاد والتوجيه وقد ظل يساندني ويوجهني في كل مسألة تعترضني بكل رحابة صدر – دون ضجر أو ملل، وهكذا خلقه منذ أن عرفته .

كما اتقدم بالشكر أجزله إلى أسرة صاحب هذا الديوان رضي الله عنهم أجمعين.

والشكر أجزله كذلك إلى والدي اللذين أعاناني بدعواتهما ورضاهما وأرحم اللهم والدي وبارك في عمر والدتي .

كما اخص بالشكر الجزيل أخوتي الشيخ صلاح ، والشيخ الدكتور عبد المحمود، والدكتور الشيخ عبدالجبار خليفة والدي.

والشكر كل الشكر بعد الله إلى جميع الاخوة في الله زملاء في الإدارة والتدريس.

وأرسل شكراً مليئاً بالدعاء إلى أخي في الله المغفور له الاستاذ عبدالله كرار الذي كان مديراً للمرحلة الثانوية بولاية الخرطوم.

والشكر كذلك لشباب السمانية الطيبية بمسيد الشيخ بلال ود منير الخالدي.

وأخيراً الشكر لجميع اسرتي التي أعانتني حتى وصلت بهذا البحث إلى بر الأمان.

والشكر للجامعة الإسلامية التي أتاحت لي هذه الدراسة وخاصة كلية اللغة العربية وكلية الدراسات العليا؛ والى كل من ناقشني داخلياً وخارجياً.



التمهيد

ينتمي مؤلف هذا الديوان سيدي الشيخ قريب الله بن أبي صالح رضي الله عنه إلى قبيلة الجموعية وذلك بواسطة والده سيدي الشيخ أبي صالح وقد تميزت هذه القبيلة بمكانة علمية رفيعة في المجتمع السوداني فكان لزاماً علينا أن نتعرف على شئ عن هذه القبيلة التي أخرجت لنا هذا الشاعر الفحل، واسهمت بدورٍ كبير في نشر الثقافة العربية والإسلامية في السودان. وهذه القبيلة التي ينتمي لها هذا الشاعر رضي الله عنه هي قبيلة مشهورة بالعلم والمعرفة والتصوف والشجاعة ووالده وجده سيدي أحمد الطيب بن سيدي الشيخ البشير فهما اللذان شهرا هذه القبيلة، وهما مشهوران بالصلاح وخاصة جده سيدي الشيخ أحمد الطيب فهو الذي أحيا نار التصوف بالسودان، وأدخل الطريقة السمانية بعد أن أخذ الطريقة على يد سيدي الشيخ محمد عبدالكريم السمان بالمدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم ومكث معه قرابة السبع السنين بالمدينة وضريحه الآن بأم مرحي شمال أم درمان يزار من داخل وخارج السودان.

وهذا الاستاذ صاحب هذا الديوان كان حجة في التاريخ والانساب وخاصة نسب قومه، ليس هذا فحسب بل إنه كان يجيد الانساب حتى عند غير قومه وهذه هبة من الله حباه بها عن غيره .

وهذه القبيلة بقيادة هذا الفحل تنتمي في نسبها إلى سيدنا العباس عم الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكفاه شرفاً بذلك .

وتستقر هذه القبيلة في أمدرمان وأم مرحي[١] ، وطابت[٢] وأبي قمري[٣] وما زالت محتفظة بنسبها إلى يومنا هذا. والمقيم بأمرحي جد هذا الاستاذ سيدي الشيخ أحمد الطيب (رضي الله عنه) ، وطابت بها شيخ الشيخ قريب الله الاستاذ الشيخ عبدالمحمود بن سيدي الشيخ نور

---

[١] أمرحي شمال أمدرمان.

[٢] طابت غرب الحصاحيصا .

[٣] أبو قمري جنوب الجزيرة.

الدائم، وأبو قمري بها سيدي الشيخ البشير شيخ دلالة الشيخ قريب الله، وهو الذي قال عنه شيخه الاستاذ الشيخ عبد المحمود عندما يغيب عنه ويحضر: (كأن روحي ردت اليّ).[١]

ويعتبر الشيخ قريب الله من مشاهير هذه القبيلة في السودان وكان عالماً وفقيهاً واسع المعرفة وكذلك أبناؤه وتلاميذه .

وكانت خلافة الطريقة السمانية تسير على نفس الكيفية التي تمت بها الخلافة الراشدة حيث انعقدت على اجماع أهل الحل والعقد.[٢]

وللسمانية خلفاء كثر في كل من رئاسة الطريقة أمرحي وطابت وأبو قمري وأمدرمان وكرري ومن هذه البقع تفرعت الطريقة السمانية في كل أنحاء السودان وخارجه كتشاد وأثيوبيا، وأمريكا وغير ذلك.

أود أن أذكر في خاتمة هذا التمهيد أنني صدرت هذا البحث بالحديث عن قبيلة مؤلف هذا الديوان حتى نعرف شيئاً عن أصل هذا الشاعر ومجتمعه وبيئته التي تخرَّج منها ولنتعرف على شئ من تاريخ هذه القبيلة وما قامت به من دورٍ في نشر الإسلام في ربوع السودان ولا زالت تواصل هذه الرسالة إلى يومنا هذا مما يدل على صدق التوجه إلى الله، لذا لم يكن غريباً مستبعداً عن هذه القبيلة أن تخرج لنا بطلاً مغواراً وهو سيدي الشيخ قريب الله إبن السادة الكرام أهل العزم والاقدام والتصريف والتمكين ورضي الله عنهم أجمعين ونفعنا الله بهم ونفع السامعين والقارئين أجمعين في الدنيا والآخرة.

---

[١] مناقب الفرد الأعظم – الشيخ الطيب بن الشيخ البشير بأبي قمري ص ١٨، الطبعة الأولى.

[٢] فيض المنان ، ص (٧٥).

مقدمة:

الحمدُ لله والصلاة والسلام على أشرف رسل الله وآله وصحبه ومن والاه.

حظيت الأمة الإنسانية بتراث ضخم عظيم من التصانيف المختلفة في علوم التصوف، ولعل أنفعها للسالك كتاب " الإحياء " لسيدي أبي حامد الغزالي (رضي الله عنه) وأجمعها للمعرفة " الفتوحات المكية" لسيدي محي الدين بن العربي قدس الله سره، ذكر رضي الله عنه أنه أتى فيه بما لم يسبقه إلى تدوين أحد، وهو كما قال ... هذا من المنثور ، أما عن المنظوم فلعل أكثر المصنفات تداولاً هو ديوان سيدي عمر بن الفارض، وأوسعها دائرة ديوان عبد الغني النابلسي، ذكر رضي الله عنه أنه جمع في ديوانه خلاصة ما تفرق في دواوين أهل الله رضي الله عنهم أجمعين.

ويشاء الله تعالى أن يضيف هذا " البيت الطيبيِّ" إلى هذه الذخيرة كتابين فريدين يتسمان بسمات تميزهما عن سائر ما كتب في هذا الباب، احدهما منثور وهو شرح الحكم لسيدي الشيخ احمد الطيب عميد الاسرة الطيبية المباركة، وناشر أعلام الطريق بصفة عامة والطريق السماني بصفة خاصة في السودان، والثاني منظوم وهو هذا الديوان الذي نحن بصدده الآن وليس هذا بغريب لأن صاحب هذا الديوان نهل من معين استاذه الشيخ عبدالمحمود بن نور الدائم الذي هو مدرسة متفردة قائمة بذاتها وارث حال ومقال الغوث الأعظم الشهير سيدي أحمد الطيب بن البشير رضي الله عنهم أجمعين.

ولعل نشاط " المطبعة " المحدود في زمن الشيخ النابلسي وبطء إنتقال المصنفات والآراء من قطر إلى قطر لصعوبة المواصلات، لعل هذا أو شيئاً من هذا حدا سيدي النابلسي أن يوفر على مريديه الوقت والعناء، ويجمع لهم في أسلوبه الخاص كلَّ ما تفرق في دواوين أهل الله، أما في عصرنا هذا عصر سيدي الشيخ قريب الله رضي الله عنه صاحب هذا الديوان فقد نشطت المطبعة نشاطاً منقطع النظير، واتصلت جميع أنحاء

المعمورة ببعضها، بفضل ما وصلت إليه الانسانية، من سبل المواصلات إلاّ أن الرغبة في كتب " القوم " انعدمت أو كادت تنعدم سواء في ذلك، المنثور منها والمنظوم، ووصلت النتيجة إلى أسوأ من ذلك أي مما كانت عليه أيام الشيخ النابلسي، وإن إختلفت الطرائق المؤدية لذلك فأراد سيدي الشيخ قريب الله فيما يظهر أن يوفر على مريديه عناء الرجوع إلى الكتب التي عزَّ تداولها، وندر طلابها، فلم يقتصر رضي الله عنه على ما تفرق في دواوين أهل الله بل تجاوز ذلك ، إلى ما تفرق في كتب " القوم" من أمهات المسائل، وأصول المعارف، فلم يدع أدباً من آداب الطريق، ولا فضيلة من فضائل الأخلاق، ولا أصلاً من أصول المعرفة، ولا شيئاً مما يحتاج إليه السائر إلى الله إلاّ ذكره وردده، ولا دعاء من الأدعية الجامة إلى دعا به، ولا عارفاً من ساحات أهل الله ومشائخ طريق الله، إلاّ أشاد بقدره وتوسل بجاهه، ولا داء من أدواء النفس الخفية أو الجلية، ولا مرضاً من أمراض المجتمع إلاّ ونوّه عنه وحذَّر منه، وذكر العلاج الناجع له، ولم يقف عند ذلك، بل زاد عن حياض أهل الله ودافع عن الذكر والذاكرين والطريق والمتطرقين وسدّد سهام الحجج القاطعة القاصمة في قلوب المنكرين والمعاندين والمتعنتين، بما ليس بعده زيادة لمستزيد.

هذا ولما كان رضي الله عنه بحكم مشربه سمانياً ، وبحكم وضعه إماماً من أئمة الطريق السماني، خصّ مريديه السمانية، بنصيب من ديوانه العظيم، تعرّض فيه لأصول الطريقة السمانية وأسانيدها ومميزاتها التي تميزها عن سائر طرق أهل الله تعالى، فكان ديوانه بهذا أجمع ديوان عرفته المكتبة العربية في هذا الباب، يحتاج إليه المتطرق، ولا يستغني عنه غير المتطرق ويستفيد منه الجاهل والعالم على السواء.

وإن المرء لتملكه الدهشة ويستولى عليه العجب، حينما يرى فخامة هذا الديوان، فإن وقت سيادة مؤلفه سيدي الشيخ قريب الله رضي الله عنه لم يكن ليتسع – في ظاهر

الأمر – لعشر معشار هذه الفخامة، لقد كان وقته رضي الله عنه مزدحماً بالأوراد الكبيرة الكثيرة التي لا ينقضي منها ورد إلا ويليه ورد آخر، وكان مزدحماً بالضيوف، وأرباب الحاجات وطلاب الآخرة والمريدين، والنظر في أمورهم والتفرغ إليهم ، وكان مزدحماً إلى ذلك بواجب المناسبات التي لا تنقطع، من شهود جنازة، أو عيادة مريض، إلى غير ذلك مما أكدته السنة المحمدية، وحث عليه وسار عليه جميع الأئمة المحمديين الاخيار، فأين وجد هذا الوقت الكافي لمثل هذا الديوان الضخم.

ولعل دهشة المرء تزداد وعجبه يتضاعف حين يعلم أن هذا الديوان ليس هو كل ما قاله من قصائد، ومقطوعات، فإن قصائد بأكملها لم تدخل في الديوان، لأنها ضاعت ولم يكن ثمَّ سبيل للإهتداء. وأن اجزاء من عدة قصائد في الديوان لم يعثر عليها واضطروا لنشر ما تبقى منها على سبيل التبرك، وحرصاً على رغبة مؤلفها رضي الله عنه في الانتفاع بها.

ولقد تضافرت أسباب عدِة ليس هنا مجال لذكرها أدّت إلى ضياع قصائد بأكملها أو أجزاء كثيرة أو صغيرة من قصائد شتى كذلك لم تكن لصاحب الديوان هنا " رضي الله عنه" طريقة خاصة للتدوين إنما كان رضي الله عنه إذا هجم عليه الوارد تلقاه ودونه فيما كان أمامه من ظروف جواب أو غلاف كتاب، قصاصة ورق قديمة، إلى غير ذلك من الأشياء التي تتعذر المحافظة عليها زمناً طويلاً ، أو ضمها لبعضها، أو الاهتداء اليها بعد انتقال صاحبها رضوان الله عليه.

ولعلنا بذلك لا نملك أن نقول ، إن هذه الصورة التي اخرجنا بها هذا الديوان، هي نفس الصورة التي كان يرتضيها سيادته. لو اسعفتنا الاقدار فكان بين ظهرانينا إلى اليوم، فلعله لو عاش لأضاف ولحذف ولبدّل ولغيّر، ولصحح ونقح.

أما التبويب فتبويبه هو رضي الله عنه لم نقدم فيه ولم نؤخر فهو الذي رتبه على حسب حروف الهجاء، لا على حسب المواضيع- ولو كان الامر الينا لما خرجنا عن ذلك، لأنه الأصل والأكمل في مثل هذا الديوان. وأما القصائد والمقطوعات فهي كما وصلت الينا. لم نبدل فيها ولم نغير إلاّ ما طرأ عليه التحريف، بالمشافهة أو الخطأ بالنسخ والنقل والتداول، حتى الاسم فإنه من وضع سيادته رضي الله عنه. إلاّ أنه لم يضعه إبتداء، ليكون اسماً على الديوان، وإنما وضعه ليكون إسماً لقصيدة من الديوان، واستأثر المولى الكريم بجواره، ولم يكن قد وضع اسماً معيناً للديوان، فجعلنا اسم القصيدة إسماً للديوان، جرياً لتسمية الكل بالجزء فيما تعارف عليه علماء البيان، وحرصاً منا على التبرك بكلام الاستاذ نفسه رضوان الله عليه ، ولم نأت في ذلك بدعاً من الأمر، فإن ديوان الحماسة المشهور لم يسم بذلك لأنه حماسة كله، وإنما لأن الحماسة باب واحد من أبوابه فشملت التسمية الديوان كله.

وصاحب الديوان رضي الله عنه أعرف من أن يعرف، ورث شرف الأرومه، وطيب المغرس، وكرم الاصل، وعِظم المحمد ، من والده سيدي الشيخ أبي صالح، ومن والده وجده سيدي أحمد الطيب بن سيدي الشيخ البشير رضي الله عنهم أجمعين قطب " أم مرح" الشهير ، ولكنه لم يقف عند ما ورثه إياه أباؤه الكرام، فشمر عن ساعد الجد، وبنى بيديه الكريمتين مجداً خالداً ، وعزّاً تالداً ، وسجل اسمه العظيم بين اسماء الصفوة المتخيرة ، من عليّة القوم، وسراة السراة من سادات الطريق وأئمة أهل الله المقربين.

تلقى علوم الشريعة على مشاهير المشايخ كالشيخ محمد البدوي المعروف وأخذ الطريقة على أكابر رجاله المشهود لهم بالقدم الراسخ كسيدي العارف بالله تعالى الهائم القائم الشيخ عبدالمحمود بن الشيخ نور الدائم رضي الله عنه، وسيدي الشيخ بكر الحداد الخلوتي المشهور كما كانت له نسبة شاذلية لسيدي الشيخ عليش الإمام المالكي العظيم،

ساح المترجم له بين تلال الغرب وكردفان، وفوق رياض المقدس الجنية البهية وشعاب الحجاز المقدسة الفيحاء، ولم يدع وليّاً حياً كان أو ميتاً إلا زاره، ولا نبياً إلا قصده، ولا مشهداً إلا أمه وعكف عليه ما عكف، ولا سبيلاً من سبل الرياضة ومجاهدة النفس إلا كان له فيه نصيب أتم ، وحظ أوفر ومن فرسان ميدانه، فلم تقع العيون على أكثر منه صياماً، ولا أطول عنه قياماً ، ولا أعمر خلوة ولا أدوم ذكراً، ولا أزهد فيما يفنى، ولا أطمع فيما يبقى .. ولقد كان رضي الله عنه في الجملة امتداداً عظيماً ضخماً لتلك النفحة الإلهية العجيبة، التي اتحفت الإنسانية، بأمثال سيدي الشيخ القرشي ود الزين، وسيدي الشيخ التوم ود بانقا، وسيدي الشيخ أحمد البصير ، والفكي الأمين ود أم حقين واضرابهم من عرائس الحضرات، وأئمة التبيين والتمكين، وكؤوسهم دافقة، وأعطارهم عابقة، وديارهم مهبط الأسرار، وملتقى الأنوار المتألقة من وادي طوى وطُور سينين، ولقد ظل رضي الله عنه نيفاً وسبعين عاماً يتعرض للنفحات الإلهية، والمواكب الرحمانية، موكباً بعد موكب، ويوالي قرع هاتيك الأبواب وهي تفتح أمامه باباً بعد باب، فما فترت عزيمته، ولا قصرت همته، ولا وقف دونها عند حد، ولقد ظل نيفاً وسبعين عاماً ، يعاقر خمر الشهود في حانات السعود ولله در القائل في شأنها:

نار الشهود أحرقت لقلوبهم ** ما ألذها في القلب إذ ما حلّت[1]

وهي تفاض عليه إفاضة وتسكب عليه سكباً حانة بعد حانة، فما غلب سكره صحوة، ولا فرقه جمعه، ولا فناؤه بقاؤه، بل كان في كل حركاته وحالاته وسكناته عرش الاستواء الاتم الاكمل يعامل الحق بالحقيقة، والخلق بالشريفة، ويأتي البيوت من أبوابها، ويعطي كلَّ ذي حق حقه، ويكفي هنا أن نقرأ هذا الديوان الضخم من أوله إلى آخره فلا تجد فيه كلمة خارجة عن مقتضى الشرع أو جانحه عن ميدان الأدب، أو متسمة بسمة

---

[1] أنفاس سيدي الشيخ البشير " أبو قمرى" الذي هو شيخ دلالة المترجم له

الشطح، وتلك هي الغاية التي ما بعدها غاية ، والاستقامة التي لا يطيبها إلا الكُمّل الأفذاذ، من فحول الورثة المحمديين .

ومن ثم نقول إن الأدب السوداني غنى بالدواويين الشعرية لكثير من فحول الشعراء التي أسهمت بدورٍ فعال في الحركة الأدبية في بلدنا الحبيب السودان، وقد عنى عدد كبير من الدواوين الشعرية بالمدراسة والبحث من قبل الباحثين بينما ظل جزءً آخر في طيّ النسيان، إذ لم تطله يد الباحثين، إما إهمالاً وإما جهلاً بها فديواننا "الرشفات" أحد تلك الدواوين التي غُفل عنها في الدراسة والبحث، ومن هنا كان اختياري لهذا الموضوع لكي أقدم للمكتبة الأدبية زاداً وفيراً وجديداً، وكذلك مما دفعني لاختياره، ميلي الشديد للدراسات السودانية عامة والأدبية خاصة، وأخيراً الدافع الاول والاخير شعر هذا الديوان ومكانة مؤلفه واسرته بين أهل السودان .

وبعد اختياري لهذا الموضوع كان عليّ أن أجمع المصادر التي تعينني على كتابته، ولكن كل ما كتب عن هذا الديوان عبارة عن إشارات عابرة لم تتجاوز التعريف به في صورة مجملة ولكن رغم ذلك جمعت ما أمكنني الله من جمعه عن هذا الديوان.

ثم قمت بعدما تيسر لي من معلومات بتقسيم البحث إلى أبواب ثلاثة بينها التمهيد عن قبيلة مؤلف هذا الديوان.

تحدثت في الباب الأول عن حياة القريب " رضي الله عنه " وقسمته إلى ثلاثة فصول وقسمت الفصول إلى مباحث.

أما الباب الثاني فقد أفردته للحديث عن الموضوعات الشعرية التي يحويها هذا الديوان ، وأيضاً قمت بتقسيم هذا الباب إلى فصول والفصول إلى مباحث.

أما الباب الثالث فقد تحدثت فيه عن الخصائص الفنية في هذا الديوان وأيضاً قسمته إلى فصول والفصول إلى مباحث .

ثم جاءت بعد ذلك خاتمة البحث التي حوت أهم النتائج التي توصل اليها الباحث، ثم قائمة المصادر والمراجع التي استعان بها الباحث وأخيراً فهرس الموضوعات.

أما المنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة، فقد إعتمدت على المنهج التاريخي في الحديث عن قبيلة الشاعر وحياته ، ثم المنهج التحليلي في تتبع بعض القصائد.

وفي نهاية البحث لا أقول إني قد تناولت كل ما يتعلق بهذا الديوان ، ولا أقول إن البحث قد وصل إلى درجة الكمال لأن الكمال لله وحده، فقد اقتصرت دراستي على ما ذكرته سابقاً ، فإن أصبت في هذه الدراسة فلله الحمد من قبل ومن بعد، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان لعنه الله ، وحسبي الله ونعم الوكيل وما توفيقي إلاّ بالله.

الباحث

الباب الأول

حيـــاة القريب وتعليمه

رضي الله عنه

الفصل الأول (التعريف به)

المبحث الأول : اسمه وميلاده وحسبه وتعليمه رضي الله عنه

المبحث الثاني: اجازته العلمية – البيئة التي نشأ فيها – طريقته الصوفية

المبحث الثالث : أبناءه وتلاميذه .

الفصل الثاني (منهج الشيخ قريب التربوى)

رضي الله عنه

المبحث الأول : معالم التفكير المنهجي عنده

المبحث الثاني: حجته وتعلقه بالاراضي الحجازية

المبحث الثالث :عبادته وسياسته (رضي الله عنه).

الفصل الثالث

جهاد سيدي الشيخ قريب الله وخلقه وثناء العارفين عليه

المبحث الأول : جهاد سيدي الشيخ قريب الله في سبيل الدين والوطن

المبحث الثاني: خُلُقُ سيدى الشيخ قريب الله وخَلْقُه وثناء العارفين عليه

المبحث الثالث : وفاته (رضي الله عنه)

الفصل الأول

حياته

المبحث الأول: إسمه وميلاده وحسبه رضي الله عنه

إسمه قريب الله بن أبي صالح بن سيد العارفين وعمدة المحققين سيدي أحمد الطيب بن الاكسير سيدي الشيخ البشير .

وهذا الاسم منقول من صفة مضيفاً وذلك لأن العلم ينقسم إلى عدة اقسام منها ما هو:

(مرتجل وهو ما لم يسبق له استعمال في غير العلمية مثل : (سعاد) ، و(أدد)).

منقول وهو ما سبق له استعمال في غير العلمية من مثل : لفظ (فضل) المنقول من مصدر ، ولفظ (أسد) المنقول من اسم جنس ، ولفظ (حارث) المنقول من صفة[١] وكذلك لفظ (قريب الله) من هذا القبيل وإن ذات الوصف قد ورد في :

١) القرآن الكريم : في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[٢] وقوله : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[٣] وقوله : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾[٤]

٢) الحديث الشريف ، إذ يقول عليه الصلاة والسلام : ﴿ أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء ﴾[٥] .

والذين سَمّوا بهذا الاسم كثر[٦] – فمنهم من اشار إلى هذا المعنى فقال :

---

[١] شرح ابن عقيل ، على ألفية ابن مالك ، طبع دار التراث بالقاهرة سنة ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م ، ج١، ص ١٢٤-١٢٥.

[٢] سورة البقرة الآية ١٨٦.

[٣] سورة ق الآية ١٦.

[٤] سورة الواقعة الآية ٨٥.

[٥] صحيح مسلم شرح النووي ، الطبعة الأولى طبع المطبعة المصرية بالأزهر سنة ١٣٤٧هـ – ١٩٢٩م ج٤، ص ٢٠٠ .

[٦] منهم سيدي الشيخ قريب الله السائح تلميذ الامام على الهادي ، الوارد ذكره في سند الطريقة القادرية – راجع جامع الأوراد الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٢م ، ص ٢٤١ سطر ٥

وإنِّى (قريب الله) لكن قربة على غير كيف للعليم وللجاه[١] .

وقال :

يا ربِّ قربنِّى إليك حقيقة لأكون بالمعنى (قريب الله)

يا ربِّ حققني بخير اضافة قد شرفت اسمي باسم الله

يا ربِّ اوصل بالمضاف مضافه فأنا الفقير إلى صلات الله[٢]

وقال :

فقلت أنا المضاف لإسم ربِّى سَيَرْحَمَنِى غداً تحت الصعيد

فلا تخش (قريب الله) وابشر قرب الدار يكِرمُ للوفود[٣]

ميلاده :

ولد رضي الله عنه بأم مرح الغربية سنة الف ومائتين وثلاث وثمانين أو قبلها بقليل كما عن حضرته العظيمة رويناه، وشب على كمال للأوصاف وكانت تبدو منه الخوارق الغيبية ، وسماه الأهل (بأبي طُلْبَة) لكثرة طلب الخلق لتشرف بطلعته البهية إذ أن كوكب سعادته المنير طلع في سماء العظمة باهراً كل الكواكب سناه ، ومات والده وتركه صغيراً في حجر أخيه صاحب النفحات العلية سيِّدي الشيخ أحمد الذي لم تفِ بحصر مكارمه الافواه وشرع في قراءة القرآن بمكتبهم الذي أنشأه والده المشهور بصدق العمل واخلاص النية ، حتى بدت بوارق رحيل أخيه الشيخ احمد إلى حضرة القدس فأجاب داعي الإله ، وبعد قليل رحل القريب إلى بلدة الجيلي على سواحل النيل الشرقيه ، فشمر عن ساعد الجد في قراءة القرآن الكريم عند خاله الشيخ أحمد أبي قرين الذي كان يحبه ويعين التعظيم يراه ، ومكث عنده مبجلاً مكرّماً يرتاح كل أحد لطلعته النورية ، ثم سافر إلى جبرة لفقراء أبيه الذين أكرموا مثواه ، وتزوج عندهم ومكث ما شاء الله فأزالوا طمأهم من بحار صلاحه الروية ثم فارقهم والكل منهم مشتاق إلى هداه ، وبعد ذلك بدت

---

[١] المعنى هو قرب (قريب الله) بمولاه هو على غير كيف أو مثال كما يدرك ذلك العلم الحاذق من البشر ، إنه قرب يبعد العبد جاهاً وشفاً وعزاً بانتسابه فيه لمولاه وسيده انتساباً معنوياً لا حسياً حيث ان الله احد صمد لم يلد ولم يولد

[٢] رشفات المدام ، ص ٣٩٢.

[٣] رشفات المدام ، قصيدة رقم ١٦٤ ، ص ١١٨

فكرة الرحيل إلى أخيه الشيخ البشير بالديار الغربية ، فسافر إليه سنة ست أو سبع وثلاثمائة وألف في زمن الخليفة عبدالله فلقى اخاه بأرض النهود ومكث معه فيها مدة زمنية ثم رحلا إلى الفاشر ومنها إلى الأحبة وأنتهى بهما الامر إلى سكن ام بلل بأرض حمر وبها اشتهر علاه ، وقرأ بعضاً من كتب النحو بأرض مليط من ديار حمر العليِّه على العالم الفاضل الشيخ زكريا بن عبدالله . وقرأ علم التوحيد على الشيخ عبدالجبار بأم بل والرسالة القيروانية ثم دعته هواتف السياحة فساح في أرض الغرب مدة من الزمن متبتلاً فيها إلى الله ، ولما أنتهى أمر سياحته رجع إلى أم بل وتزوج بأمرته الهوارية . وانجب منها الصادق الذي اختطفته المنية في صباه ، ثم عاد إلى الأهل مصحوباً بكمال الولاية الربانية ، وعين السعادة ترمقه والخير في مكرومه ومسعاه ، وكان الشيخ محمد البدوي رضي الله عنه مشتهراً آنذاك بتعليم الشريعة المحمدية ، فحط رضي الله عنه الرحال بأم درمان وجنى من الشيخ البدوي ما جناه ، وقرأ عليه كثيراً من الكتب الدينية ، وختم مختصر العلامة خليل مراراً وبذلك بلغ مناه ثم سافر إلى الحجاز بجهة الديار المصرية ، ونزل بالقاهرة على الزبير بن رحمة الذي حصل له السرور بمرآه ، وبعد زيارته الأولياء الموجودين بالقاهرة رحل منها يقصد الاسكندرية ، ومنها إلى بيروت فدمشق وحل بها لزيارة انبياء الله ، ومكث فيها شهرين متنقلاً بين الرحاب الرسلية الاقدسية ، وارتشف من مدد الأنبياء ما أناله كمالاً وأجله على علاه ، وانتقل منها يقصد المدينة على صاحبها أفضل الصلاة واتم التسليم فدخلها في يوم عاشوراء وحط الرحل بحمي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وولد له بالمدينة ابن فسماه عبدالكريم وكان ذا طلعة نورية ، وفي يوم الاربعين من ميلاده أخذه سيد السمان ودخل به حجرة النبي الأواه وخرج الغلام يتلألأ وجهه من الهبة المحمدية ، وبعد أيام دخلت عليه نسوة من العجم وهو في حجر أمه فأصبنه بعين فلا حوله ولا قوة إلا بالله ، ولما علم الشيخ بأمر النسوة صبر للأمور المقضية ، وذكر القصة ذات يوم وقال أن عبدالكريم لا يستمر في الحياة ، وبعد زمن قليل انتقل الغلام إلى رياض الجنة الافيحية، وغابت شمسه المشرقه " فإنا لله وإنا إليه راجعون " ، ولما رجع شيخنا الكريم من الرحلة الحجازية ، وجد استاذه الشيخ محمد البدري انتقل إلى جوار مولاه ، ووحّد القريب همته في نشر الدعوة الصوفية ، واشاد صرحها بالأوراد وحقق علماً بلا إلاه إلا الله

يا ربنا ارض عن القريب المجتبى   محي الطريقة وكعبة الارشاد
الزاكي الأوّاه في جنح الدُّجى   الزاهد المتواضع السجاد[١]

نسبه:

وأما عن نسبه رضي الله عنه فهو السلسلة الذهبية ، والكوكب الذي تلألأ في سماء الأنساب فأخجل الاقمار سناه ، وكيف لا وهو مطرّز بالمرشدين الداعين إلى الله باخلاص النية القائمين على قدم الصدق رغبة فيما عند الله ، فهو استاذنا بطل الإرشاد ومحي الطريقة ونبراس الحقيقة الوقائية ، أبو الفاتح العظيم سيدي الشيخ قريب الله فأنعم به من مرشد أتحف النفوس بامداداته القدسية ابن القطب العرام خلاصة الذرية الطيبية سيدي الشيخ أبي صالح الذي أكرمه الله وحباه بن ينبوع المكارم مجدد الطريقة المحمدية ، ابو النفحات سيدي الشيخ أحمد الطيب الذي امتطى الكمال وجلس على ذراه ابن البشير حامل لواء الطائفة الصديقية بن مالك الذي أفنى العمر في عبادة مولاه بن الولي الذي عم ذكره البقاع الشرقية والغربية محمد وارث السيد بن حسونة الذي اعطاه مولاه ما اعطاه بن سرور بن غناوة بن احمد بن ادريس بن رباط ذي المفاخر العلية ابن ضياب بن منصور بن جموع المعظم حماه بن غانم بن حميدان بن صبح بن مسمار ذي الكف الندية بن كردم بن قضاعة بن حرقان وأسمه عبدالله بن مسروق بن احمد اليماني بن ابراهيم الجعلي الذي اشتهرت به القبائل الجعلية بن ادريس ابن قيس ابن يمن الخزرجي نسبة إلى أمه المنتقاة بن عدنان بن قصاص بن كرب بن هاطل بن ياطل بن ذي الكلاع الحميري نسبة إلى امه من ملوك حمير السراة ، بن الفضل بن ترجمان اكوان السيد عبدالله بن سيدي العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم طراز القبائل العربية [٢] وفيما ورد في شأن العباس رضي الله عنه ، ما يأتي :

- يقول عليه الصلاة والسلام : العباس عمي وصنو[١]، من آذاه فقد آذاني.

---

[١] حياة القريب ، يوسف الخليفة عبدالرحمن.

[٢] المرجع السابق ص٣٢.

[١] الصنو : النظير والمثيل .

- وقوله صلى الله عليه وسلم : لعمه العباس : يا عم لا ترمْ منزلك أنت وبنوك غداً حتى أتيكم فإن لي فيكم حاجة ، فلما أتاه اشتمل عليهم بملاءة ، ثم قال : يا ربِّ هذا عمي وصنو أبي ، وهؤلاء أهل بيتي فأسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه . فأمّنت اسكقةُ[٢] الباب وحوائط البيت ، فقالت آمين ، آمين ، آمين.

هذا هو نسب الشاعر الشيخ قريب الله فما أعظمه من نسب اتصل بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نسب عظيم القدر جلَّ مقامُه إذ بالنبي الهاشمي موصولُ
نسب به روضُ المعارفِ مورقٌ وحباه دان طيب مقبولُ
بالمرشدين لقد تعاظم قدره وسمت له بالطيبين أصولُ
القانتين المجتبين لربهم من فيضهم نهر الرشاد سبيلُ
كم طوقوا الأعناق من نعم وكم بدعائهمُ قد أدرك المأمولُ
شادوا الطريق بجدِهمُ واجتهادهم وهمُ الكرامُ وفضلهم مبذول
زكت النفوس بهديهم ويسرهم ولهم علينا دائماً تفضيلُ
هذه طريقة أحمد تزهو بهم فَلَنعمَ قوماً قولُهُمُ تهليلُ
ظهروا على (السودان) نوراً ساطعاً وبهم أُبيد الغيُّ والتضليلُ[٣]

تعليمه :

بدأ سيدي الشيخ قريب الله رضي الله عنه حفظه للقرآن الكريم وهو في الرابعة من عمره بـ(خلوة)[٤] والده سيدي الشيخ (أبو صالح) ، وتحت رعاية وإشراف أخيه الشيخ (أحمد)[١] ، على أنه ما ان تقدم في القراءة حتى رغب خاله " الشيخ أحمد أبو قرين" في

---

[٢] الأسكقة هي عتبة الباب – راجع المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية القاهرة دون تاريخ.

[٣] حياة القريب ، يوسف الخليفة عبدالرحمن ، ص ٩

[٤] راجع كتاب التربية في السودان ، للدكتور عبدالعزيز بن عبد المجيد ، طبع القاهرة.

[١] توفي والد سيدي الشيخ قريب الله وهو ابن ثلاث سنين فقط – راجع : ايماء إلى حياة الشيخ قريب الله الشيخ عباس السيد (مخطوط) .

إكماله الحفظ بخلوته ببلدة (الجيلي) ، وقد استجاب سيدي الشيخ قريب الله لطلب خاله ، فأكمل حفظ القرآن الكريم عنده تحت اشراف خاله الشخصي ومتابعته ، متبعاً في ذلك رواية الدوري الشائعة آنذاك في كل بلاد السودان ، وقد درس على خاله كذلك بعض كتب العقيدة والفقه ، ومن ثم انتظم سيدي الشيخ قريب الله في سلك الحلقات ، ودرس على مشاهير العلماء في داخل السودان وخارجه عدداً من العلوم ، كان من بينها: التفسير ، وعلوم القرآن الكريم ، وأصول والفقه ، والنحو والصرف، والبلاغة، والأدب ، والمنطق ، وآداب البحث والمناظرة ، والتوحيد ، والتصوف ، والحديث ، وعلوم الحديث ، وغيرها من مخطوط ومنقول ، كما اشار إلى بعضه معاصِرُه الشيخ عبدالله محمد الخبير في كتابه (الكواكب الدرية فيما عليه السادة الصوفية) واشار إلى بعضه كذلك هو نفسه في قوله :

إلى طلب علمَ الحديث تشوقي وتفسير قرآن ببيت محرم[٢]

وكان من أبرز من تتلمذ عليهم سيدي الشيخ قريب الله كلاً من : الشيخ زكريا بن عبدالله والشيخ عبدالجبار ، والشيخ محمد البدوي شيخ الاسلام رضي الله عنه ، وقد قرأ على الأخير كثيراً من الكتب الرفيعة[٣] وقد ختم عليه (رسالة ابن ابي زيد القيرواني) مراراً ، و(مختصر) الشيخ خليل أربع مرات ، ولم يزل ملازماً له إلى أن امتاز بحقيقة العلم ، مع تمسكه بامداد السادة الخلوتية هجيراه [٤] حتى عرف بين الطلبة بذلك.

هذه السيرة كأمانة لأنها شهادةٌ من عالم أمين وعارف بطريقة المرشدين في ذكرها حق واجب، وقد ذكره كثير من العلماء بخير منهم (الشيخ النذير) وكان آنذاك سيدي الشيخ قريب الله طالباً خصوصاً لما وصل درس الشيخ النذير في (الجوهر المكنون) في فن البلاغة الفن الثالث من الضرب الثاني من المحسنات اللفظية عند اشارة صاحب (الجوهر) لذلك بقوله :

لن يعرف الواحَد إلا واحداً فاخرجْ عن الكون تكن مشاهدا

---

(٢) رشفات المدام ، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م ص ٢٤٣ سطر ٥

(٣) حياة القريب للشيخ يوسف الخليفة عبدالرحمن ، مطبوع ، وايماء إلى حياة الشيخ قريب الله الشيخ عباس السيد (مخطوط)

(٤) هجيري : الدأب والعادة ، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ، القاهرة دون تاريخ.

وعند ذلك ذكر الشيخ قريب الله معنى الشيخ النذير في هذا البيت يناسب حالة الشيخ قريب الله وقال : إنه مفرد عن العالم ، فحاله تلمحُ لمعنى هذا البيت ، وأيضاً قد ذكر الشيخ النذير عن الشيخ قريب الله بحضور الطلبة ان إسمه بالقاف قريب من الله وبالغين غريباً عن الناس وقد شهد خير الأبرار فلا غيره يحال الاشرار لأن الأكابر لم تزل مبتلية بالأشرار ، فهذه سنة الله في خواصه .

توثقفت صلة سيدي الشيخ قريب الله باستاذه الشيخ محمد البدوي رضي الله عنه وقد أنس الطالب من استاذه العناية به ، وأنس الاستاذ في تلميذه الذكاء وسرعة الفهم والاستيعاب وحفظ المتون والولع بما تضمه حتى الحواشي بالاضافة إلى الورع والعبادة والصوم وقلة النوم.[١]

بلغ إعجاب سيد الشيخ محمد البدوري بتلميذه الشيخ قريب الله في الميدان العلمي انه كان يوكل إليه تدريس الطلاب ، واعادة شرح بعض العلوم لهم ، كما بلغ من إعجابه به أيضاً من ميدان السلوك الصوفي أنه كان يوصي رواد دروسه واحبابه ومعارفه بسلوك الطريق الصوفي على يدي سيدي الشيخ قريب الله .

اضف إلى ذلك إعجاب سيدي الشيخ قريب الله باستاذه الشيخ محمد البدوي تمثل في استغاثته به أحياناً ، وفي مدحه ببعض قصائد قالها عنه بعد وفاته ، وعند زيارته له في ضريحه بأم درمان من مثل :

ذهبتم ولكن لم يزلْ طيبُ عَرْفِكم يضوعُ على الأكوان دَوْما يَعْبقُ
فلا زلتُ أبكي والمحبون كلهُمُ على فقدِكمُ ما دامت الشمس تشرقُ [٢]

المبحث الثاني: الاجازات والشهادات

قد اجيز سيدي الشيخ قريب الله اجازاتٍ كثيرة فنكتفي على سبيل المثال باجازة شيخه الشيخ محمد البدوي ونصها :

---

[١] إيماء إلى حياة القريب الشيخ عباس السيد (مخطوط)

[٢] رشفات المدام (حرف الكاف) ص ٢٣٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فلما كان اتصال السند من خصائص هذه الأمة المحمدية ، والهجرة إلى العلم سنة صالح سلفنا المرضية ، يتنافس في ذلك المتنافسون ، (والسابقون السابقون أولئك المقربون)[١] ولا يخفى ما في كتابنا المكنون ، (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)[٢] و (لمثل هذا فليعمل العاملون)[٣] .

وكان ممن سمت همته بسلوك هذا الطريق ، حرصاً على الانتظام في سلك هذا الفريق ، الحبيب النسيب درة البيت الطيبي ، وثمرة الرعاية الإلهية العارف الشيخ قريب الله بن الشيخ أبي صالح ابن سيدي الشيخ أحمد الطيب ، فإنه فارق لذلك الأوطان، ولازم جهابزة الرجال في أطراف البلدان ، إلى أن منَّ الله عليّ وعليه بالاجتماع فلازمني بذكاء وعبقرية وقريحة وفكرة إلى إدراك دقائق المعاني صحيحةً في علوم شتى من مخطوط ومنقول ، وفروع وأصول .

وأنا وإن كنتُ لستُ أهلاً لأن أُجاز فكيف بيِّ وأنا أقدم على الاجازة لغيري، وقديماً قال بعض الأكابر :

ولست بأهل أن أُجاز فكيف أن   أجيز على أنّ الحقائق قد تُخفى
فأضواءُ فكري أظْلَمتْها حودث   فآونه تبدو وآونةً تُطفى
ولولا رجائي منكمُ صالح الدعاء   لما سَطَّرتْ يُمنايَ في مثل ذا حرفا[٤]

هذا وإن مما قوي عزمي ، وإقدامي على ما ليس من رسمي ، ما اشتهر من الأخذ من الأصاغر والأكابر والأقران ، وإنَّ ذلك من السنن المألوف عند الأئمة والأعيان، ورواية الأكابر عن الأصاغر أمرها لدى أهل العلم مشهور ، ولها في كتبهم ذكر مسطور

---

[١] سورة الواقعة الآية ١٠ – ١١

[٢] سورة التوبة الآية ١٢٢

[٣] سورة الصافات الآية ٦١

[٤] الشيخ قريب الله والدعوة إلى الله، أ/ الدكتور حسن الشيخ الفاتح، ص ٤٤.

، وفضل الله لا يتقيد بزمان دون زمان ، ولا بيوم دون يوم ، ولا يختص به قوم دون قوم، وفضل الأئمة من السلف أشهر من أن يذكر ، وكوننا إلى لذيذ ذكرهم عدما محضاً أمر لا ينكر.

فأقول متطفلاً على مائدة العلم ، متكلاً على سعةِ الحلم : أجزتُ العالم (الشيخ قريب الله) في كل ما تجوز روايته ، وتصح عني درايته ، من مخطوط ومنقول ، وفروع وأصول – كما أجازني بذلك مشايخي الأزهريون ، فصار كل سند إليه سنداً له وهو ينتمي إليه ، وأجلّها ما هو ثبت مشائخنا الكبار كثبت مشايخنا واشياخنا (الأمير الكبير) .

وأوصي نفسي وإياه بالعكوف على العلم والعمل ، وعلو الهمة في ملازمتها بلا فتور ولا ملل ، وعلى تقوى الله خصوصاً الأمانة في العمل في السر والعلن ، وإحتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وأن لا ينساني من دعواته في خلواته وجلواته ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله ، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.[١]

<u>البيئة التي نشأ فيها ومدى تأثره بها</u> :

نشأ رضي الله عنه في بيئة من أصلح البيئات واخصبها لهذه الشخصية المتفردة في شيءٍ في التربية والتعليم والفصاحة والبلاغة وغيرها من الصفات التي تشتاق أن تتعلق بموصوف مثل هذا الشيخ المترجم له . فوالده هو الشيخ أبو صالح من أعلم علماء السودان وكان مشهوراً بالتقى والورع والعلم وحسن الخلق كما قال عنه إبنه المترجم له .

وهكذا نشأ شيخنا في بيت علم ودين ألا وهو البيت الطيبي السماني الصوفي المتأدب بآداب الصوفية الشارب من منهلها العذب.

ويعتبر هذا البيت الطيبي من أكبر البيوتات الصوفية في السودان وأهله أهل سماحةٍ وشعر وأدب ، ولن ينجب السودان مثلهم قصر الزمان أم امتد وطال.

وكان والد الشيخ قريب الله رضي الله عنه إمتداداً لوالده سيدي الشيخ أحمد الطيب بن الاكبر سيدي الشيخ البشير فنشأ شيخنا في بيت الدين والتقى والورع والعفة والشعر والأدب فكان هذا كله من أسباب لفتح ذهنه ونبوغه وزاد ذلك (قريحة شعره) وأمدها بنور المعرفة هذا ما كان من شأن والده .

---

[١] الشيخ قريب الله ودوره في الفكر والدعوة إلى الله / البروفسيور الشيخ حسن الشيخ الفاتح .

أما جدّه سيدي الشيخ أحمد الطيب فالحديث عنه يقصر كلما يطول فهو شيخ الطريقة والحقيقة ، وهو الذي أدخل الطريقة السمانية في السودان وأحيا نار التصوف به بعد أن اندرست فكان خير خلف لخير سلف.

وعن أخلاقه : (قلَّ أن توجد في غيره ولا في جيله) فهي مطبوعة روضة تفوق الرياض بما فيها من الأزاهير[١] وأنه بحر لا تكدّره الدلاء [٢] ولا يخرج منه إلا الدرر والجواهر .

ولو مُزجتْ بالملحِ أخلاق ذاته

لصار أعزب ، وسال خماره

فلا يماثلها شهدٌ[٣] ولا تمرُ

وبستانه قد سقتهُ سحبُ أمطار [٤]

والحق أن سيدي الشيخ أحمد الطيب بن سيدي الشيخ البشير ألف كتباً كثيرة في الفقه وغيره وله فلسفة لا تشابهها فلسفة أخرى تستحق الدراسة وهو معروفٌ شيخ أوآنه وزمانه وهذا بدلٌ على أنه لم يكن هنالك أحدٌ يدانيه مكانةً في السودان من كل النواحي.

فشيخ والده الشيخ أبو صالح وجدّه أبو الأقوام البطل الهمام سيدي الشيخ أحمد الطيب بن الشيخ البشير وشيخه الشيخ عبدالمحمود بن نور الدائم وشيخ دلالته سيدي الشيخ البشير بن الشيخ عبدالرحمن القاطن بأبي قُمرى جنوب الجزيرة تلميذ الاستاذ الشيخ عبد المحمود ود نور الدائم وابن عمه فلا عجب أن يكون صاحب مكانةٍ عليه في كلِّ المجالات.

فتأثر الشيخ بهؤلاء الأسود الأماجد فكان صاحبَ خُلُق وأدب وورع وذكر وهيام وإرشاد وتجمعت له مفاتيح أبواب المعرفة من والده وجده وشيخه نفعنا الله ببركتهم أجمعين.

---

[١] أزاهير الرياض/ الشيخ عبدالمحمود بن نور الدائم .

[٢] الدلاء : مفردها دول وهو الذي يخرج الماء من البئر .

[٣] عسل : مختار الصحاح، الرازى – بيروت: دار الفكر، ١٩٨١م، مادة (شَهْد).

[٤] أزاهير الرياض/ الشيخ عبدالمحمود بن نور الدائم .

طريقته الصوفية:

وطريقته هي السمانية التي هي فرع من القادرية الجيلانية وقد أخذ هذه الطريقة على يد العارف بالله تعالى سيدي الاستاذ الشيخ عبدالمحمود نور الدائم الطيبي السماني وذلك بواسطة سيدي الشيخ البشير الذي قال عنه الشيخ المترجم هو شيخ دلالتي [١] ونسب السمانية إلى سيدي الشيخ محمد عبدالكريم السمان رضي الله عنه وقد وذكره الاستاذ الشيخ عبدالمحمود في كتابه المسمى : (الكؤس المترعة في مناقب السادة الأربعة) .

وأصول ثقافة السمان مغربية عن الشيخ محمد بن الدفان المغربي ، ومعارفه عن الشيخ الكردي محمد بن سليمان فقيه الاقطار الحجازية.

وقد أخذ الطريقة الخلوتية من سيدي السمان أول مرة عن الشيخ مصطفى البكري الذي كان يعيش أغلب عمره في المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم إلى أن توفى بالقاهرة في عام ١٢٦١هـ[٢] .

ومن المؤكد ان كلّ البيوتات والقبائل السودانية ومريديها لهم ولاء لأهل الدين[٣] وكما ذكر حسن نجيلة أن السمانية هي من أكبر البيوتات الصوفية في السودان ولم يكن ذلك عن طريقة قوى بل لأن الشيخ احمد الطيب رضي الله عنه هو مؤسس هذه الطريقة بأرض السودان وكان عالماً وفقيها وصحاب فلسفة صوفية.

وإن ما تتميز به هذه الطريقة الاكثار من الذكر في كل زمان ومكان الإقبال على الله ولا يرون حرجاً من الشطح والتعشق ولبس المرقعات وما خشن من الثياب لكنهم لا يعتمدون على ذلك بل يخلصون في الذكر إلى أن يوصلوا مريدهم إلى النفس المطمئنة وهي النفس الرابعة وبذلك يستسلم للقدر والامتثال بتخفيض الجناح للأمر المحتوم المقدر[١].

---

[١] جامع الأوراد / الشيخ قريب الله الشيخ أبو صالح .

[٢] انظر الصوفيه في السودان ، د. عبدالقادر محمود ص ٣١

[٣] ذكريات البادية / حسن نجيلة ، ص ١٣٢

[١] انتشار الاسلام في القارة الأفريقية / حسن ابراهيم حسن ص ٤٣

ولقد كان للطريقة السمانية الفضل الأكبر من الناحية العلمية في تربية الإنسان السوداني تربية فاضلة تقوم على الزهد وحب الخير والتأدب بآداب صاحب الشريعة الغراء صلى الله عليه وسلم وذلك لأن هذه الطريقة هي من أكبر واوسع الطرق انتشاراً في السودان وخارجه ، والسودانيون غير الآخذين الطريقة السمانية يدينون لها بالولاء والحب والطاعة والوفاء لأن مشائخهم قادة الصوفية الذين أثروا كثيراً في المجتمع وآثروه وانقذوه من وحلة الظلم والكدر فكانوا بذلك خير من يتبع .

ولا توجد طريقة في السودان لها من الأدب والشعر كالطريقة السمانية ليس هذا انتقاص من حق الطرق الأخرى كلهم لهم الفضل والمكرمة ولكن من باب الحق وذلك لأن التصوف نفسه كان بميلاد هذه الطريقة وقد أخذ بُعداً آخر على غير الذي كان عليه فبعد أن كان لا يتجاوز الزهد والتقشف أصبح مرتبطاً بالمتصوفة المعاصرين في العالم الإسلامي أمثال سيدي الشيخ محمد عبدالكريم السمان نفعنا الله ببركته .

وهذه الظاهرة وإن كانت موجودة من قبل إنها زادت وعظمت في فترة وجوده، فكثر وجود الفارين من المجتمع الداخلين الفيافي والغفار طلباً لصفاء النفس وكان أغلبهم من اتباع سدي الشيخ أحمد الطيب بن البشير رضي الله عنه وقد ساعده على ذلك ما كان عليه آباؤه السابقون فقد اشتهروا بالتصوف والتعبد أمثال جده سيدي الشيخ محمد ود سرور الذي ترجم له صاحب الطبقات وقال عنه: (إنه له أبناء صالحون) [٢]

<u>المبحث الثالث</u>: <u>أبناء الشيخ رضي الله عنه</u>

له من الأبناء رضي الله عنه عشرة وكلهم مباركون صالحون إذ هم نسل ذلك الولي الكامل . على حسب ترتيبهم هم الشيخ محمد الفاتح والشيخ محمد السراج والشيخ عبدالكريم والشيخ محمد الهادي والشيخ أحمد والشيخ محمد الناصر والشيخ المكي والشيخ المبارك والشيخ عبد الرحمن والشيخ الصادق وأردنا بذلك أن نختصر ما أمكن إذ لو أردنا الاستقصاء وتتبع صفاتهم وما لهم من الذرية المباركة لما وسع ذلك السفر الصغير ولقد طوينا ذكر الإناث من بنات الشيخ رضي الله عنه وأولادهنّ خشية أن تطيل إذ من التطويل (كلت الهمم) كما يقال ، كما أننا قد قصدنا بالاختصار لنستدل على الكثير

---

[٢] الطبقات / ود ضيف الله ، ص ١٢٦

بالقليل والاختصـار رائدنا في هذه السيرة العظيمة عن هذا الشيخ رضـي الله عنـه وعن كتابه رشفات المدام سقانا الله من كأس صباه[1].

تلاميذ الشيخ رضي الله عنه :

للشيخ رضي الله عنه تلاميذ لا يحصى لهم عدداً ولكن كانت لهم مكانة خاصة عند شيخهم ولكن في هذا البحث نذكر نموذجاً حياً وتلميذاً صادقاً الا وهو الشيخ يوسف الخليفة الذي كان يسميه شيخه (نقيب الأوراد) وهو من خريجي الأزهر الشريف وله مؤلفات وله أشعار كثيرة نذكر منها قصيدة قالها تقديراً لحضور مولانا السيد على الميرغني الذي زاد سوح سيدي الشيخ قريب الله عندما قدم إليه خليفة السمان الشيخ محمد حسن من المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة واتم التسليم مطلعها :

نعم لقلوب العاشقين سرائرُ ** من الغيب قد ضُمتْ عليها السرائرُ [2]

يحركها ذكر الأجلةِ دائماً ** فيُظهرُ منها ما حوتهُ السـرائر

وتسعى إلى قطب الولاية أنورُها ** وحاكِمُها العالي الذي هو آمرُ

(عليٌّ) الهدى تاجُ الولاية فخرها ** خطيبُ التقى من للطريقة ناصرُ

إمامُ له روض المكارم مورقٌ ** وللهدى من فيه الكريم تناثرُ [3]

الفصل الثاني: منهج الشيخ قريب التربوى

المبحث الأول: معالم التفكير المنهجي

لكل مفكر أو فيلسوف أو عالم ، منهج تربوي قد يصوغه نظرياً في كتبه ورسائله تحت عناوين محددة ، وقد ينشره بين ثنايا ما يكتب شعراً أو نثراً ، بل ربما اكتفى بتجسيد منهجه في سلوكه ، أو سلوك اسرته ، أو سلوك اتباعه ومحبيه .

هذا وحيث ان سيدي الشيخ قريب الله قد صنف كتباً ورسائل وأشعاراً ، بل وأنشأ فرعاً متميزاً في الطريقة أبرز به – نظرياً وعملياً – معالم فلسفته وتفكيره المنهجي

---

[1] الشيخ قريب الله ودوره في الفكر والدعوة إلى الله / البروفسيور الشيخ حسن الشيخ الفاتح ، ص٢٠

[2] هذا البيت للنابلسي وعليه بنى الشاعر القصيدة .

[3] أشعار / للشيخ يوسف الخليفة

والسلوكي[1] فسنعرض فيها بايجاز معالم ذلك التفكير الذي أثر سيدي الشيخ قريب الله سلوكه ، ودعا إليه الآخرين قولاً وعملاً ، معتمدين في ذلك على ما خلفه من تراث مضئ ، التزم به هو في حياته ، وسار عليه خلفاؤه وأتباعه بعد رحيله وانتقاله، مصنفين ما سنذكر تحت العناوين الجانبية الآتية :

العقيدة:

حيث أنّ (أول واجب على من كلفا ممكنا من نظر أن يعرفا * الله والرسل بالصفات مما عليه نصت الآيات) فإن فاتحة علاقة العبد بخالقه – عند سيدي الشيخ قريب الله وعند غيره – لا تتم إلا بغرس الروح الإيمانية في قلوب الجميع ، خاصة وهي لها قوت وزاد كما هي لها معراج تسمو به من الدرك الاسفل إلى اوج العلا ، اسمعه يقول :

هو الإيمان للأرواح قوت * ومعراج إلى أوج العلاء [2]

لقد بنى مشائخ الطرق الصوفية قواعد أمرهم على أصول صحيحة من التوحيد، صانوا بها عقائدهم من البدع ، ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل أو تعطيل[1] أو تشبيه أو تجسيم. لقد آمنوا بوحدانية الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله ، وتزهوه عن الشبيه والنظير والمكافئ فكان مما قالوا:

يا واحداً في ذاته وصفاته   وفعاله يا موجداً لا يُولدُ

يا أولاً قبل الخلائق كلِّها   يا آخرُ يا قادر يا مفردُ

أَخَمِدُ بعزّكَ نار سوءٍ اوقدت   من حاسدي و لم تزلْ تَسْتَوْقِدُ

---

[1] راجع : الطريقة السمانية الطيبية القريبية – اتجاهاتها في التربية والسلوك – للدكتور حسن الشيخ محمد الفاتح – دراسات افريقية / جامعة أفريقيا العالمية – العدد الثاني والعشرون رمضان ١٤٢٠هـ – ديسمبر ١٩٩٩م .

[2] رشفات المدام ص ١٥

[1] الرسالة القشيريه، عبد الكريم القشيرى، تحقيق وإعداد معروف زريق وعلى عبد الحميد، بيروت، دار الجيل ١٩٩٠، ص ٣.

وأذَنْ بفضْلكَ للخطوب لتنجلي فسِواكمُ لجلائها لا يُقصدُ[٢]

الشريعة :

يلي الإيمان وتصحيح العقيدة والثبات عليها – التمسك بالشريعة ، فهي الحصن الحصين الذي أبانه رسول الله صلى الله عليه وسلم للأمة :

تمسكْ بالشريعةِ فهي حصنٌ حصينٌ شاده طه الحبيب [٣]

الاستقامة على الشريعة لا يتسنى للفرد ما لم يهجر ما أراده هو لنفسه إلى ما أراده له المولى جلَّ وعلا بأن يستقيم على الشرع :

كي أستقيمُ كما أمرتُ بشرعكمُ وأحجُّ من عرفاتِكم عرفاتي[٤]

ويقيد نفسه بالشريعة وبها يتمسك دون مراعاة فيها لرضاء الناس أو خشية من ملامتهم :

وعليك نفسكَ بالشريعة قيِّد وأجهدْ ولا تَخْشَى الملامة سيدي[٥]

لقد أصبح الهوى المتبع هو الحاجز بين الناس وبين أتباع شرع الله ، مع علم الجميع بأن من فرَّ إلى الله فاز بمعية رسول الله صلى الله عليه وسلم بل وبنى له أساساً متيناً عماده رضاء الله عنه .

وخلِّ الهوى وأهْرَع إلى الله تابعاً * لطه تُفُزْ منه بخير معيّة

ولا تبرحن عن شرع أحمد لمحة * إذا رُمْتَ تَنْجُو من حُلُولِ البليةِ[١]

وقال الشاعر المترجم له في قصيدة أخرى متحدثاً عن الشريعة :

---

[٢] رشفات المدام ص ١٠٠.

[٣] رشفات المدام رقم القصيدة (٤٧) ص ٤٣ .

[٤] رشفات المدام رقم القصيدة (٥٨) ص ٥٢.

[٥] رشفات المدام رقم القصيدة (٢٢٣) ص ١٥٣.

[١] رشفات المدام رقم القصيدة (٧٩) ص ٦٤

أسير على مرضاته مُتبتلاً * وأبني على الشرع المعظم اساسي[٢]

لقد فاز من قصد المهيمن صادقاً مشتاقاً ، والتزم حتى الممات بالتأسي التام بالمنهج الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يفرط في صيام أو صلاة أو غيرهما أو يدعي كما أدعى غيره (سقوط التكاليف الشرعية)[٣] عنه .

فاز الذي قصد المهيمنَ صادقاً * أكرم به من مسلم مُسْتسلم

عبر الشريعة لا يميلُ إلى الخطأ * وخُطاه بالنهج القويم الأقوم[٤]

وهذا ولئن عانى الناس فيما مضى من أمثال من أسقطوا العمل بشرع الله فقد عانى الناس مؤخراً ممن تركوا الشريعة واقتدوا بهواهم وتجبروا وتكبروا في المآثم :

أشكو إليكَ بقيةً قد جَدَدت * بدِعًا وظلْماً كامناً لم يُفْصَم

تركوا الشريعة واْقتَدُوا بهواهم * وتجبرُوا وتكبرُوا في المأثم [٥]

الجهاد الأصغر:

لقد أدرك سيدي الشيخ قريب الله (رضي الله عنه) أنّ من أحبَّ الله وباع نفسه له وفنى فيه عمّا سواه فإنّ أيسر ما يلاقيه في سبيل ذلك هو القتل .

فإنّ أيْسَرَ ما في الحبِّ للمريد قَتْلَه * وأصعبُ مِنْ قَتْلِ الفتى يومٌ هَجْرُنا[١]

وحيث أنّ هجر المولى للعبد أشدُ من قتله فإن الجهاد الأصغر عنده مرحلة تدنو عن الجهاد الأكبر لأن فيها قتلاً مؤقتاً لنفس العدو الخارجي لا قتلاً دائماً متواصلاً لنفس العدو الداخلي ، وهو مع ذلك فرض كفاية لا فرض عين وعندما نتكلم عن الجهاد الأصغر لا يعني إهمالنا للجهاد الأكبر أو عدم الاعتناء به أو الرغبة عنه ، فالجهاد

---

[٢] المرجع السابق رقم القصيدة (٣٠٢) ص ٢١٢

[٣] من الصوفية ممن ادعوا سقوط التكاليف الشرعية – راجع البوق الحداد في اعناق أهل الزندقة والالحاد لسيدي الشيخ البكري ، وكشف الاستار عن اسمه تعالى القهار لسيدي الشيخ محمد عبدالكريم السمان .

[٤] الرشفات رقم القصيدة (٤٦٨) ص٣١٤

[٥] الرشفات للشاعر المترجم له رقم القصيدة (٤٦٥) ص ٣١٢

[١] الشيخ قريب الله ودوره في الفكر والدعوة إلى الله / الدكتور الشيخ حسن الفاتح قريب الله

الأصغر وإن كان فرض كفاية فقد يتعين أحياناً ، وهو في ذلك يماثل الصلاة والصيام والحج ، بل قد تسقط به عن الفرد حكم وقت احتدامه فريضة الحج ، وقد تُغيَّر له صورة الصلاة العادية المألوفة . وقد يدفع به عن الفرد حكم الصيام إذا عجز المجاهد عن الجمع بينة وبين مواصلة القتال ساعة المعركة.
لقد جسَّد الصوفية باندفاعهم إلى ميادين الجهاد الارتباط الاسلامي بين العبادة والجهاد ، واشاعوا في أماكن وجودهم سواء في المعارك أو الثغور والرباطات شعوراً دينياً خاصاً كان له أبعد الأثر في الصمود والنصر في كثير من المواقع[٢] .
إن عشق الصوفي للجهاد الأصغر أشهر من أن يدل عليه ، فهو الذي لأجله اقام بالثغور وانشأ الرباط في اطراف دار السلام ليفدي المسلمين بنفسه حتى لا ينالهم أذى أو مكروه من اعدائهم .
وهو الذي من أجله ألّف سيد الزهاد عبدالله بن المبارك أول مؤلف له فيه ، وألف كذلك فيه الشيخ عبدالغني النابلسي كتابه الذي أسماه : (بيان الجهاد لأهل الوداد) ، وألف محمد أديب النقشبندي (المتوفى عام ٨٠٣هـ) كتابه الذي أسماه : (رسالة في الجهاد) كما ألف عن دور الصوفية الاستاذ أسعد الخطيب كتابه : البطولة والفداء عند الصوفية . [٣]

وعن هذا الجهاد الأصغر وأهميته يقول سيدي الشيخ قريب الله :

ومَنْ لِي بسيفٍ في الجهاد أَسِلَّه * لنصرة دين الله شوقاً إلى الله[٤]

الدعاء :

من خلال ديوانه يدرك القارئ مدى ولع الشيخ قريب الله بالدعاء ، بل وبمراعته لآدابه من تقديم البسملة والحمدُ له والصلاة على الرسول (صلى الله عليه وسلم) والختم بها .

هذا وبالرغم من أن الدعاء يشكل مجموعة وحدة موضوعية إلا أنه يتنوع تنوعاً كبيراً ويتباين تبايناً واسعاً ، حيث أن منه :

- الدعاء الإيماني الذي من نماذجه قوله :

ثبتَ الإيمانُ بالشراب يادانٍ * أنتَ ذُو الإحسانِ مُسْعفُ الطلاب[١]

---

[٢] المطوعة ودورهم في حراسة ديار العروبة والاسلام ، احسان صدقي ، راجع مجلة العربي الكويتية العدد ٢٨٧ لسنة ١٩٨٢م. البطولة والفداء عند الصوفية لاسعد الخطيب ص ٨٣ وما بعدها.

[٣] طبع الطبعة الأولى بالشام ١٤١٧هـ : ١٩٩٦م

[٤] رشفات المدام للشيخ المترجم له رقم القصيدة (٥٨٠) ص ٣٩٦

- دعاء الثبات على الشريعة فيقول :

وأسْلُكْ بنا شرعَ خيرِ الخلقِ أحْمَدَكُم * وأسْكُبْ علىّ حِيناً غيثه سُحُبا[٢]

- دعاء الاقبال الجاد على الله فيقول:

أجْذِبْنيِ بالأنوارِ إليك ربى * وأَدِمْ بكُم مولاي وصْلي وقُرْبى

أدْخِلني سُربى القوم وأجْعَلْه سري * واغْمِسْنيِ في النَعْمَا وأصْرِفُ بلائى[٣]

- دعاء مكارم الأخلاق فيقول نثراً:

اللهم إنك امرتني وعلمتني كيف أقوم وأحجم وأصمت وأتكلم ، وأنت تعلم بأني مقهور مغلوب وتعلم بعجزي وتعلم بتسلط الاعداء علي من نفس وهوى وجِنْهُما ، إلهى أتوسل إليك بقدمك وعلمك وحلمك وكرمك وقدرتك التي قدرت بها على كل شئ أن تأخذ الساعة بيدي أخذاً لا أحتاج بعده إلى معالجة نفس ولا هوى.[٤]

- دعاء قضاء الحوائج فيقول :

ونجْنِى من صروفِ الدهرِ أجْمَعُها * وَوقِنِى المكرَ والحسادَ والنصبا

- دعاء طلب الشفاعة المحمدية فقال :

يا أكرمَ الخلقِ لا مَوْلى نلوذُ به * إلاّك يا خيرَ مَنْ يُغْنِى عن الطلب

أنت الشفيعُ وأنت الذخْرُ يا سندي * أنت الوليُّ وأنتَ الغوثَ في الكُرب

الحالُ ضاق بنا من أزمةٍ نزلت * شديدةُ البأسِ والتبريح والعطب

فامْدُدْ يَدَيْك بتفْرِيجٍ ومرحمةٍ * قبل الهلاكِ فَمَنْ ناداكَ لم يَخِبَ[١]

- دعاء الأمل في رضاء الله وعفوه فقال:

إلهى بذاتٍ ثُمّ وصفٍ وأسماءٍ * وأحمدَ والأملاكِ ربى وأنباء

أجِبُ دَعْوَتِى وأغفر ذَنوبى بفضلكم * وعفوِكُم أشْفِ سَقامىٍ وأدوائي[٢]

---

[١] رشف المدام للشيخ المترجم له رقم القصيدة (٥٨٠) ص ٢٥

[٢] المرجع السابق ص ٢١

[٣] المرجع السابق ص ١٧

[٤] الدعاء المبارك – راجع جامع الأوراد القريبية ص ٧١-٧٢ طبع سنة ١٣٩٢م هـ = ١٩٧٢م

[١] الرشفات ص ٣٥

* دعاء العناية بالأرحام فقال :

ولْتَكْفنِ همَّ أولادي وعائِلتي * ولْتَكْفِهِم كلَّ أمرٍ في الدُنا صعبا[٣]

العلم:

العلم مأمور به شرعاً ، وعنه يقول سيدي الشيخ قريب الله :

تَعلَم وكُن بالعلمِ والصدقِ عاملاً * تجد من ولي المتقي فوق ما يُرضي[٤]

هذا العلم إذا لم يقرن بالعمل ولم يتحل صاحبه بما ينتج عنه من ثمار يانعة كان الحامل له أشبه ما يكون بالحمار أو الجمل يحمل اسفارا

تعلم العلمَ وأقرن ذاك بالعمل * ولا تكن في الذي حَمَلْت كالجمل[٥]

وقد ولع سيدي الشيخ قريب الله بالعلم مما دفعه أن يوصي تلاميذه وأحبابه بأن يقيموا عبادتهم على أساس من العلم سليم ، وهو أن طالبهم بتحصيل مطلق بالعلم من ناحية، وعلم الشريعة من ناحية ، فقد أوصاهم في بعض ما كتب بأن تكون صلتهم بالتصوف صلة ادراك الابعاد ومراميه وأهدافه ، ومن ثم قال في إحدى وصاياه لهم: (عليكم بمطالعة كتب الطريق)[٦]

القرآن الكريم والسنة المطهرة:

حيث أن عماد الشريعة وأساسها هو القرآن الكريم ، فقد تمسك سيدي الشيخ قريب الله (رضي الله عنه) وأكثر من تلاوته ، وعمل جاهداً على تشنيف آذانه وآذان محبيه وزواره بسماع آياته لترسخ معانيها في النفوس فيقبلون على العمل بها محب لها، عاشق للإلتزام بها ، خاصة وكلام الله تعالى هو أحلى ما يسمع أو يتذوق ، وهو كذلك أفضل ما به يتمسك الفرد :

إطرح كلام العاذلين وشَنفَن * سَمَعي بآياتِ الكتابِ المُحْكَم

---

[٢] المرجع السابق ، ص ١٧.

[٣] المرجع السابق ، ص ٢١

[٤] المرجع السابق ، ص ٢٢٢

[٥] المرجع السابق ، ص ٢٨٤

[٦] الحضرة الإلهية لسيدى الشيخ قريب الله (مطبوع) ص ٣٣٧.

أحلى الكلامُ كلامُ رَبِي قُلْه لي * أُهيْلِلن وعلى المشفع سَلِمِ[١]

الثقة بكتاب الله وبحديث النبي (صلى الله عليه وسلم) والتوقي عما سواها – هو مدخل كل فرد إلى ميدان ساحات رضاء الله عنه ، وإقبال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نحوه :

ثِقْ بالكتابِ وبالحديث من النبي * لا تَعْتَقِدْ في ساحرٍ ومُنَجِم[٢]

وقال السير وفق الشريعة وطبق الكتاب المنزل هو أمل كل مسلم ، وإليه يدعو الشاعر سيدي الشيخ قريب الله قائلاً :

ومَنْ يسيرُ من كتاب وسنةٍ * وخِلْعَةٍ قَرْبَ مِن بهاءِ بهاكُم[٣]

محبة النبي (صلى الله عليه وسلم) وآله:

لئن كان حبُ سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وآله فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، فإن بغضه آية شقاء ، علماً بأن المسلم الحق هو الذي لا دين له غير التمسك بوحدانية الله تعالى ، والعمل وفق شرعه ، ومحبة من أرسله إليه بكتابه بشيراً ونذيراً .

إن استغاثتنا بالرسول (صلى الله عليه وسلم) واستجارتنا بعزته عند الله – إن دلت على شيء فإنما تدلُّ على محبتنا له ، وثقتنا في إكرام الله تعالى لنا عبره ، فهو إمام للرسل ومنتقاها ومصطفى مولاه ، وهو الغوث لنا والمجيد والشفيع والأمير :

رسولُ الله إنيِّ مُسْتجيرٌ * بعزتكم أجيروني أجيروا

رسولُ الله جئتكم فقيراً * فأنت الغوثُ والركنُ المجُير

رسولُ الله لا مَوْلَى سواكم * له ظِلٌ يقيلُ به الفقير

رسولُ اللهِ ما أمْلتُ غيراً * فكيف إليومُ أهْملُ يا نَصِير

---

[١] الرشفات ص ٣٣٧

[٢] المرجع السابق ص ٣٣٩

[٣] المرجع السابق ص ٢١٦

أليسَ الكونُ عبدَكُم جميعاً * ولم يكُ غيرُكُم فيه أمير

إمامُ الرسلِ أنت ومنتقاها * وصفوةُ من له ثَم المصير

وإنّى يا رسولَ اللهِ ضيفٌ * وإن قِراكُم الكرمُ الغزير

فهلاّ يا رسولَ اللهِ براً * يُغطى العيبَ مِنى يا بشير

فليس اليومُ غيَرك من نصير * وإنّى عائذ بك مُسْتَجير

وأنت رجائِى في الدارين حسبى * تَداركنِى فأنت بنا بصير

رسولُ اللهِ أنت لمن ينادىِ * سميع بالمكارم قد تشيرُ

وحاجاتِى رسولُ اللهِ ها هي * وإنى يا زكى بها أسير

أمدُونى بأيدِ النصر دوماً * فأنت بنُصرةِ العانِى جديرُ

رسولُ اللهِ حقِقْ ما رَجَوْنا * فجاهُكَ عند مولانا كبير

وما الحاجاتُ في جَدْوَاك شيئٌ * ولا الأفلاكُ لَوْلاكم تدورُ [١]

<u>طريق القوم هو طريقُ أولى العزم:</u>

مما يحويه هذا الديوان (الرشفات) الحديث عن طريق القوم وهو طريق الجهاد الاكبر الذي تميّز به السادة الصوفية وعنه يقول شاعرنا:

جاهِدوا قبلَ المَنُونِ * كى تفوزوا بالحياةِ

سارِعُوا فالليلَ جَنَّ * فهو وقتٌ للهباتِ

وأجعلوا الذكرَ الانيسَ * في الملأِ والخلواتِ [٢]

لقد تنوعت مناهج طريق الجهاد الاكبر عند شاعرنا الشيخ قريب الله فكان منها:

---

[١] الرشفات ص ١٧٩ – ١٨٠

[٢] المرجع السابق ص ٥٩.

*** في مَيْدَان العبادة:**

ويتمثل هذا في الميدان عنده في صلاة الجماعة، وعن ذلك يقول: أوصيكم بالمحافظة على صلاة الجماعة، واحذركم من التكاسل عنها، فمن ترك منكم صلاة الجماعة تكاسلاً بغير عذر شرعى فقد نقض العهد.[١]

---

[١] الحضرة الإلهية للشيخ المترجم له، ص١٧.

المحافظة على الأوراد :

يقول شاعرنا عن ذلك : إن المريد لا يجوز له التخلف عن (الأوراد) للأمور العادية قطعاً إلا لمرض أو ضيف غريب هجم عليه فجأة ، ولم يجد سواه من يقوم بشأنه ، ولا يجوز له إجابة دعوةٍ زمن الأوراد ، ولا مجاملة أخٍ أو غيره في وقتها ، ولا التخلف لإصلاح شأن من شئونه يجد له وقتاً آخر ، فإن من آثر الأوراد شيئاً من الأمور العادية كان مؤثراً ما سوى الله عليه والعياذ بالله. علماً بأن الإنسان لا يؤثر شيئاً على غيره إلا لمكانة ذلك الشيئ في قلبه [(١)] ومن قوله :

وأدِمْ لنا الأورادَ في وقتها * ولكم بفضلك دامت الأوراد

وأجعل لنا أنساً بكم لا ينقضي * حتى يجئ الوقت والميعاد [(٢)]

وقال في موضع آخر :

أُجِلُّكَ إجْلالُ المصاحف يا وردي * ولن أرى الأشغال في وقتكم عندي

فيا أيها الزوار بالله سامحوا * عبيداً له قلبٌ يخاف من الصدِّ

فأنتم كرام عندى حيث جئتموا * ولكنه في ساعة الورد لا بيدي[(٣)]

الملازمة على الأذكار :

فيقول عن ذلك شاعرنا :

الذكرُ عيد أعيدوا وقت أعيادي * وليلةُ الجمع فيه الريّ يا صادي

تعال وأشرب الراح وأجْلِ به * داءَ قلبك و اسمع نقمة الحادي

وطّهر القلب وأدخُل بالسكينة فيه* حظيرة الذكر كي تحظى بإمداد

وغمِّض العين حال الذكر من أدب* واطف السراج وشاهد سر أوراد

واهتز كُلك مثل الغصن من طرب* وغب عن الناس واشهد حضرة الهادي

ومد لاماً من الذكر الشريف تفز * بكل خيرٍ وإكرام وإسعاد [(٤)]

[(١)] حلية السالكين للشيخ المترجم له ص٢٢.

[(٢)] الرشفات ص ١٠٠.

[(٣)] المرجع السابق ص ١٠٥

[(٤)] المرجع السابق ص ١٦٤

في الميدان الأخلاقي :

أهم المعالم التي بعث بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو إتمام مكارم الأخلاق ، وهي صفة كانت الوضوح والجاذبية بحيث ركز عليها المهاجرون الأول من الدعاة إلى الله ممن قدموا إلى (السودان) المعروف آنذاك بلفظ(الحبش) [١] حيث كان مما قالوه للنجاشي ما نصه: أيها الملك: كنا قوماً جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميته ونقطع الأرحام ونسيئ الجوار ويأكل القوي الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولاً . فأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة. [٢]

وهذا النوع من مكارم الأخلاق كان شائعاً في المجتمعات الإسلامية الأولى ولكن انصرف كثير من الناس في هذا الزمان عن ذلك لانشغالهم بالدنيا وولعهم بها ، والذي زاد الطين بلة أن مناهجنا الدراسية صارت توضع من بعض متعلمينا –بوعي أو دون وعي – تحت تأثير البيئات ، والتآمر، والإعلام المعادي لمسيرة الإسلام، الأمرالذي صبغ التعليم والتربية في البلاد الإسلامية مما أبعدها عن الأصالة ونجد شاعرنا قال في ذلك :

ودع نفس سوء قد دعتك إلى الردى * وأنت لها تحنو حنو الولية
وجاهد تشاهد وأترك النوم والونا* فذا دأبُ أرباب النفوس الذكية[٣]

ويقول في موضع آخر :

وجنةُ الخلد زارت للفؤاد فيا * لله من مجتنى داني الجنا أرح
أعكف عليها ولا تطلب بها بدلاً * فهي المُنى وهي روض الغوث والفرج
ما النار تخشى ولا الجنات تطلبها * إذا صدقت إلى الأغيار لا تعج[٤]

في الميدان المظهري :

يتميز أهل الله عن غيرهم بحلى عرفوا بها ، كان من بينها :

---

[١] راجع : السودان دار الهجرتين الأولى والثانية للصحابة للدكتور الشيخ حسن الفاتح.

[٢] إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المعروفة بالسيرة الحلبية لعلي برهان الدين الحلبي طبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٨٢هـ – ١٩٦٢م ج١ ص ٣٧٠ – ٣٧١

[٣] الرشفات ص ٦٤

[٤] المرجع السابق ص ٧٧

الفرار إلى الله ، الوارد في قوله تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [1] علماً بأن الفرار عمل تربوي ينتظم كل شئون العبادة من صلاة وصوم وحج وزكاة وصدقة وغيرها بحيث يهجر بها العابد كل مألوفاته التي تهبط بانسانياته لدرجة تجعله يدور كحجر الرحى أو كالترس في الآلة.

وفي هذا الإطار كان الشاعر الشيخ قريب الله يقسم بعض أصحابه واتباعه إلى مجموعات يؤمِّر عليهم فيها أحد المقدمين أو المشائخ أو غيرهم ممن يصطفيهم ليقضوا ولو ليلة واحدة من كل أسبوع بعيدين عن ضوضاء العاصمة وأضوائها وصخبها ، بحيث يؤدي كل فرد منهم عبادته المحددة له ، بعيداً عن أخيه، فإذا ما قرب الفجر تجمعوا ورجعوا سوياً إلى المسجد.

ومن الميدان المظهري المحافظة على شعار الطريق مثل شد الوسط أو (الكرابة) الوارد في قوله (صلى الله عليه وسلم) : (أربطوا على أوساطكم) ، وقوله: (شد حقويك ولو بصراره)، وعن ذلك يقول شاعرنا في كتابه (الحضرة الإلهية): فاليحذر المريد كل الحذر أن يمر ببقعة المسجد سادلاً ثيابه متبختراً كأبناء الدنيا أو لابثاً ثياباً شفافة.

وأيضاً من ميدان المظهر استعمال السبحة ليركز المريد على العبادة حتى لا يتشتت ذهنه بينها وبين العد. علماً بأن ذلك لا يعني منع العبد من استعمال الأصابع في العد لمن يعرف العد بالأصابع المشهور بـ(علم حساب العقود) وهو علم أشار إليه كل من النووي في شرح صحيح مسلم وزاد عليه طاش كبدي في كتابه : (مفتاح السعادة ومصباح الزيادة في موضوعات العلوم)[2] ، وحاجي خليفة في كتابه : (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون)[3] ومؤلف هذا الكتاب في كتاب له عنوانه : (السبحة

---

[1] سورة الذاريات الآية ٥٠

[2] مفتاح السعادة – دار المعارف العثمانية بحيدر أباد ص ٣٩-٣٩٧.

[3] كشف الظنون – المطبعة الاسلامية بطهران سنة ١٣٨٧هـ- ١٩٤٧م المجلد الأول عمود رقم ٦٦٤ – ٦٦٥ تحت عنوان (علم الحساب).

مشروعيتها – أدلتها)[١] ، والشيخ داؤود الضرير الأنطاكي في كتابه : (النزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة) تحت عنوان (علم حساب اليد)[٢] ، والحافظ اليغموري في مختصره (نور القبس من المقتبس)[٣].

---

[١] طبع في بيروت – لبنان – ط١ سنة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م ص ٤٦

[٢] راجع: تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب مطبعة حجازي القاهرة ١٣٥٤هـ – ١٩٣٥م ، ج١ ص١٨

[٣] تحقيق رودلف نلهايم طبع فسيادن سنة ١٩٦٤م ص ٥٦

المبحث الثاني: **حجته وتعلقه بالأراضي الحجازية**

أما الحجاز فحدث عن حب شاعرنا له ولا حرج، فقد هام به (القريب) وأمضى حياته متعلقاً بالاماكن الطاهرة فيه ، بل عشق حتى كثبانه ورماله ونجده ووهاده وأوديته وجباله ، وتغنى بكل ذلك في أشعاره وملأ من ذكر كل بقاع الحجاز ديوانه الأمر الذي جعل (الحجازيات) من شعره تمثل جزءاً كبيراً وهاماً .

إن شوق (القريب) إلى البلد الرحيب ، كان يعاوده إذا ما غاب عنه ، وتتبعه إذا ما حلَّ فيه . فقد شغل حب الحجاز عليه قلبه ، وتتسم ذروة الحب في تفكيره ، فلم يعد الصبر على البقاء بعيداً عنه ، أسمعه يقول :

بدأ شوقي إلى البلد الرحيب** يعاودني ويتبعه نحيبي

وليس إقامتي بالبيت تجدي ** بنفع في شروق أو غروب

وقد نامت عيوني في منامٍ** بليلةٍ سبتها حرمُ الحبيب

عساها العام تنظره عياناً** وتظفر فيه بالمدد السكوب[١]

شوقه إلى مهبط الوحي أملى عليه إنشاء أكثر من (ستين) قصيدة ، وقد كان (القريب) في تلك القصائد يحن إلى البيت العتيق كما يحن إلى ماء زمزم ، وغار حراء ، والخيف ، ومقام ابراهيم ، وعرفات ، وطيبة ، مع ما جاور تلك الأماكن المذكورة من بلاد ووديان ، علماً بأن أهم ما كان يرمي إليه من وراء ذلك كله هو ذات البارئ تعالى :

ونشتاق للبيت العتيق وزمزم ** وغار حِرَى والخيف وهو المطلب

ومسجد ابراهيم والوقفة التي** على عرفات نحوها الوفدُ يجذب

وطيبة مع سلع وأحد كذا قبا** كذاك نخيل عندها القلب يسلب

ووادي النقا ثم العقيق ورملة ** تحار النُهى في وصفها والمحصب

وما مقصدي إلاك يا بارئ الورى** ولكنني ما زلتُ بالنفس أعطب[٢]

لقد كانت أصعب الفترات التي يمر بها شاعرنا في كل عام هي أشهر الحج. ففيها يزداد شوقه ويكثر ولعه ويشتد نحيبه ويكن بكاؤه ويولوع خاطره فيقول :

---

(١) الرشفات ص ٢٢

(٢) المرجع السابق ص ٣٦ – ٣٧

نفس الوفود اليوم لوَّع خاطري ** وأفاض مني مُرِسلٌ العبرات

واثارني نحو الحجاز بهمة ** كالعيس يحدوها ذوو النفحات

وأنالنِي هماً مقيماً في الجوى** يزداد في الغُدُوات والرَوَحات

والعجز قيد ظاهري عن نبل** ما وفدت لمطلبه ذوو الخيرات

لكن من يرجو الوصال بربه** حاشا تعود أكفه صِفْرَات[١]

كان إذا قدم موسم الحج يخاطب كل ما استحضره من مكان وزمان ، وتراه يقول وهو يخاطب الجبال :

يا جبالاً من حولها البركات ** لي اليكنّ ما حييت إلتفات

يا حراء ويا ثبير ويا ثور** يا زرود الحمى ويا عرفات

يا جبالاً بأرض طيبة حفت** حولها الدين والهدى والهبات

هل لنا بعد حالِنا ذا الوخيم ** لإله الورى العلي نهضات[٢]

ويقول عن عرفات :

عرفات فيها السير والقربات ** عرفات فهيا الجذب والنفحات

عرفات تهدي كل قلب شارد** عن ربه وبها المنى عرفات[٣]

ويقول عن أرض الحجاز عامة :

أصبحت أنشد والحجاز مرادي ** نِعم المراد وحبذا انشادي

ومعاهد فيها بلوغ مقاصدي ** هي بغيتي هي طارفي وتلادي[١]

---

[١] الرشفات ص ٦٩

[٢] المرجع السابق ص ٤٦ – ٦٥

[٣] المرجع السابق ص ٥٤

[١] الرشفات ص ١٣٨

أما عن مكة والمدينة يقول :

سفري لمكة والمدينة عيدي ** مولاي يسر عودتي لمعيدي[٢]

أما عن مكة والحظيم وزمزم

شوقاً لمكة والحطيم وزمزم ** والطائفين وساجد ومهمهم[٣]

إسمعه يخاطب (الصبح) البهيج سائلاً عن أهل المنحنى وعن الحجيج فيقول :

أيها الصبح البهيج ** ريحك اليوم أريح

كيف أهل المنحنى** وحتى كيف الحجيج[٤]

وهذا وقد يلتفت شاعرنا من مخاطبة الأماكن والبقاع إلى مخاطبة (النسيم) إذا سرى، و(البروق) إذا لمعت ، والوفود) إذا لبت ، والرياح إذا هبت فيقول :

يا نسيم في المحصب هبت ** عرفها المسك نشقها الجَذَبات [٥]

ويقول :

عرف الحجاز لقد أثار شجوني ** وأهاج وجدي للحمى وجنوني[٦]

ويقول :

حنّ المشوق إلى الأحباب والوطن ** وفاض مدمعه بالخد من شجن

أهاج البرق من أرض الحجاز ** إلى سكان أهل ذاك المنظر الحسن[٧]

ويقول :

ركائب القوم قد أمت حمى الأحد ** يحثها الشوق حثاً غير مرتفق[١]

---

[٢] المرجع السابق ص ١٤١

[٣] المرجع السابق ص ٤٨٧

[٤] المرجع السابق ص ٧٦

[٥] المرجع السابق ص ٦٥

[٦] المرجع السابق ص ٣٧١

[٧] المرجع السابق ص ٣٧١

ويقول :

إذا هبت الأرياح من نحو طيبة** فقد طابت الأرواح وانكشف الخطب

وإذا فاح عرف من هناك فقد بدا ** لسرك معنى لا تفيدك الكتب[٢]

ويقول :

نعم قد سرت ريح الصبا من أحبتي ** وقد شدت الأطيار من فوق دوحة

أيا لامعاً بالشرق شوقنِي إلى رحيلي** إلى تلك البقاع الكريمة

إلى بيته المعمور والمسجد الذي** به الأنبيا طراً إلى البيت صلّت [٣]

إن قلباً تعلق بالحجاز كل ذلك التعلق كان من الطبيعي أن يكثر من آداء الحج ومن الاقامة لفترات طويلة بتلك الأماكن الطاهرة ، وهكذا فعل شاعرنا فقد حج إحدى عشر حجة ، بالإضافة إلى سبعة حجات أداها حين كان يقيم بالحجاز علماً بأنه لولا الحاج سيدي الشيخ عبد المحمود بن نور الدائم وهو شيخه الذي دلاه عليه أبونا الشيخ البشير بن عبدالرحمن بأي قمرى بالعودة – لما رجع إلى البلاد ولما أقام بها ذلك أن شيخه الشيخ عبدالمحمود كتب خطاباً له بتاريخ ١٢ رمضان ١٣٢٢هـ جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على أفضاله ، والصلاة والسلام على النبي وآله .

أما بعد: فإلى اكسير إخوانه ، وروضة أقرانه ، فاكهة عقول المخلصين ، ومعانق جسد الحق والدين ، وارث آبائه الفخام ، أخى وثمرة فؤادي البركة الصالح : الشيخ قريب الله بن والدنا وخليفة جدنا الشيخ أبي صالح ، آدام الله مفاخره ومعاليه ، وأضاء به قلوب محببيه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، قد طال تشوقنا اليكم تشوق الظمآن للماء البارد ، والحميم إلى الحميم الماجد، والمريض إلى الشفاء ، ومجتهدي السير إلى حالة الصفاء ، نسأل الله أن يجمعنا وإياكم روحاً وجسداً ، ويهيئ لنا من أمرنا رشدا.

---

(١) الرشفات ص ٣٧٠

(٢) المرجع السابق ص ٢٥

(٣) المرجع السابق ص ٥٦

إعلم إنه ليس لي سواك ارتجيه ، لأنك قد عفوت أثر الجد وتابعيه .. الخ .

وهذا وأردف سيدي الشيخ عبدالحمود الخطاب السابق بقصيدة يمدح فيها تلميذه الشيخ قريب الله ويدعوه للعودة إلى السودان وفيها يقول :

لا تشغلن منك الفؤاد ببلدة ** حتى ولو أرض الحجاز أو الحرم
فالمصطفى مع كل شخصٍ تابع ** لطريقه وله يقي من كل غم
شمر ووسع للطريق على هدى ** وعلوم حق فيضها منك انسجم
مالي سواك إليه قلبي عاشق** أرجوه يحي نهج طيبنا الأتم
إني أراك على كمالٍ ظاهرٍ ** في دين خير الأنبياء رب العصم
وعلى صلاح في الفؤاد ونية** محفوفة بين البرية بالنعم[١]

فما كان من شاعرنا إلا أن استجاب لشيخه وعاد إلى السودان ولكن ما زال يذكر تلك الأماكن ويتعلق بها .

---

[١] الرشفات ص ٣

المبحث الثالث: عبادته وسياحته (رضي الله عنه)

الإعتكاف والجد في السير:

إن مجرد إقبال فرد ما على سلوك طريق القوم يله السير فيه بعزم وجد يؤكد صدق العابد في إرادته ، ورغبته الجادة في التأسي برسوله (صلى الله عليه وسلم) وبالتابعين له من أمته ، صحابة سموا أم تابعين أم متصوفة ، علماً بأن من أراد أن يعرف منزلته عند الله فليعرف منزلة الله عنده ، إذ كما يدين العبد يدان، فمن عظَّم الله عظمه الله في الدنيا والآخرة ومن تهاون تهاون به ، ويقدر الإهمال تموت القلوب وتحبط الأعمال .

طريق القوم مبني على الكتاب والسنة وهو شريعة انتهج فيها راغبوها نهج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، إذ ورد أنه كان في مبدأ أمره يصعد إلى رأس الجبل(جبل النور) فيتحنث في غاره الليالي العديدة ثم يرجع لسيدتنا خديجة رضي الله عنها فيتزود لمثلها ، وورد أنه قام حتى تورمت قدماه الشريفتان ، وصام حتى قيل أنه لن يفطر ، وجاع حتى عصب الحجر على بطنه الشريفة، ونام على الحصير حتى اثرت في جنبه الشريفه ، ولم يتخذ من نوع اثنين ، فلا قميصين ، ولا إزارين ، ولا رداءين .

هذا ولئن كانت الفرائض وسيلة لتقرب العبد إلى مولاه فإن النوافل وسيلة لتجيبه إليه ، وحيث أنه بالتحبب يكون المولى لعبده – يده التي يبطش بها وسمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به فقد آثر بعض المتأسيين برسول الله (صلى الله عليه وسلم) عدة طرق ومناهج تربوية في سيرهم إلى الله تعالى ، كان منهم على سبيل المثال التركيز على :

- طريق الذكر والجهر به ، مع عدم إهمال غيره .
- طريق الذكر والإسرار ، مع عدم إهمال غيره.
- طريق التلاوة ، مع عدم إهمال غيره.
- طريق الجوع والسهر والعزلة والاجتهاد مع عدم إهمال غيره.

كان منهج عمل شاعرنا يقوم على تربية نفسه وتربية مريديه على أسس ومناهج نابعة مما ذكرناه ، منها على سبيل المثال :

- ملازمة تلاوة القرآن الكريم .
- ملازمة الأوراد بصورة مكثفة غير التي يلزم بها مريديه .

- ملازمة الأوراد النهارية والليلية على نمط ذكر جده سيدي أحمد الطيب بن البشير.
- ملازمة قراءة (مولد سيدي السمان)[١] ليلة الاثنين ، و (المولد البرزنجي) ليلة الجمعة وقد يضيف اليهما أحياناً (المولد القريبي الطيبي) الذي أنشأه هو .
- ملازمة ذكر الجمعة مع المريدين.
- ملازمة ليلة الاثنين مع المريدين.
- ملازمة ليلة الجمعة مع المريدين.
- ملازمة ورد السحر لسيدي الشيخ مصطفى البكري ويبدأ عادة في الثلث الأخير من الليل ولربما واصل سيدي الشيخ قريب الله (رضي الله عنه إلى الصبح) كما قال أحد الشناقيط[٢] .
- ملازمة خواتيم الصلوات الخمس على حسب ما ورد في كتابه (جامع الأوراد القريبية) .
- ملازمة الورد الصباحي الذي ينتهي عند الشروق .
- ملازمة ورد الضحى.
- ملازمة ورد الغروب .
- ملازمة ختم (دلائل الخيرات) للجزولي ، وهذا الورد قد أوصى به سيدي السمان تلاميذه حسبما ورد في رسالته (كشف الاستار فيما تيعلق بالاسم القهار).[٣]
- ملازمة الصيام .
- ملازمة الاعتكاف والعبادة المكثفة والصوم خلال أربعة أشهر سنوياً هي :

جمادي الثاني ، رجب ، شعبان ، رمضان[١]

- ملازمة تدريس تلاميذ كتب التفاسير والحديث والتصوف والتوحيد والفقه .

---

[١] مشار إليه في كتاب (باعث النهضة الروحية) للشيخ حسن الفاتح.

[٢] التجانية والمستقبل للفاتح النور ط١ دار كردفان للطبع والنشر ص ٢٥٨

[٣] كشف الاستار ص ١٨

[١] إيماء إلى حياة القريب للشيخ عباس العبيد (مخطوط)

- غرس محبة اللغة العربية في نفوس أبناء الطريق وأحبابه .
- غرس محبة الرسول (صلى الله عليه وسلم) .
- غرس الأخلاق الكريمة .
- يعمد إلى أن يسمع الأحباب والمريدين الآيات القرآنية والأشعار الصوفية التي تنفعهم في دنياهم وأخراهم ومن ذلك قوله :

أجعل همومك كلها في واحدٍ ** وهو الذي رفع السما سبحانه

وقوله :

تجمعت الأهوا له في حبيبة ** فليس له إلاه فهو به حرٌ

لا يلتوي يوماً إلى غير ذاته** وإن ضاقت الدنيا وضاق بها الأمر

ليس له هم سوى قرب ربه ** سواءٌ لديه الموت والعسر واليسر[٢]

السماع على حسب ما يقر في القلوب:

هذا وحيث ان السماع[٣] إنما يكون على حسب ما يقر في القلوب من حيث شغل السامع ووقته وحضوره[٤] فإن من طريق ما ورد في شأنه أو الولع والتأثر بمدلول ألفاظه من حيث فهم السامع لها ، لا من حيث قصد (القول) أو المغنى أو المنشد ، ما يأتي :

* يقول الدراج : كنت أنا وابن الغوطي مارين على الدجلة بين البصرة والأيلة وإذا بقصر حسن ، له منظر وعليه رجل بين يديه جارية تغني وتقول :

كلُّ يوم تتلون ** غير هذا يك أجمل

في سبيل الله ود ** كان مني لك يبذل

قال وإذا بشاب تحت المنظر بيده (ركوة) وعليه (مرقعة) يستمع ، فقال يا جارية بالله وبحياة مولاك إلا أعدت عليّ هذا البيت ، قال : فأقبلت الجارية عليه وهي

---

[٢] الرشفات ص ١٩٩

[٣] عن موقف العلماء من السماع وآلاته ، راجع : إحياء علوم الدين للغزالي ، وبمعارف المعارف للسهروردي ، وأيضاً الدلالات في سماع الآلات للشيخ عبدالغني النابلسي ، ط٢ دار الفكر بدمشق ١٤٠١هـ – ١٩٨١م والسماع عند صوفية الإسلام للدكتورة فاطمة فؤاد ، طبع بالقاهرة سنة ١٩٩٧م

[٤] اللمع لأبي نصر السراج الطوسي – تحقيق الدكتور عبدالحليم محمود ، وطه عبدالباقي سرور ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠، ص ٣٥٧

تقول هذا البيت الذي ذكرناه سابقاً ، وكان الشاب يقول : هذا والله تلوني مع الحق في حالي، قال : فشهق شهقة وجمد فتأملنا فإذا هو ميت.

* يقول الطوسي : سمع أبو حلمان الصوفي رجلاً يطوف وينادي (يا سعترايري) فسقط وغُشى عليه ، فلما أفاق سئل عن ذلك فقال : سمعته يقول : أسع ترى يرى.[١]

* يقول الاستاذ حسن نجيلة في كتابه (ملامح من المجتمع السوداني) : إن النسيم حمل إلى سيدي الشيخ قريب الله ذات ليلة صوت(كرومة) وهو يغني في حفل زفاف:

يا ليل أبقالي شاهد   على نار شوقي وجنوني

يا ليل...!!

بالليل صار ليلك معاهد

طرفي اللي منامو زاهد

يا ليل...!!

ونالي سهرك .. وشاهد

فوق لي نجمك ظنوني

يا ليل...!!

يقول: فأرسل إليه (الشيخ قريب الله) من سيدعيه فأضطرب لمهابة المرسل وخشي من عاقبة ما كان يتغنى به واشابه قلق وحيرة فصحبه إليه – مشجعاً – الشاعر (عمر البنا) ، وعند وصولهما قابلهما الشيخ المستضيف في بشاشة ولطف هذأن من روعهما ، غير أنه لشد ما أدهشهما – بعد اكرامهما – أن قال الشيخ للمغني (كرومة): لقد سمعتك الآن تنشد كلمات عن الليل .. فهلا اسمعتني أياها ؟!! فنهض (كرومة) منتشياً بهذا الطلب ، ونهض معه (عمر البنا) ليقوم له بمهمة (الشيال) أو (الكورس) .. ويغني المغني وكل على هواه ، إذا ما أبعد الشقة بين ليل (كرومة) الـلاهٍ عن الله ، وليل الصوفي العابد (الشيخ قريب الله) .. الشيخ في تسبيحه وتهليله وما يلاقي في (الليل)

---

[١] اللمع للطوسي ص ٣٦٢

من تعلق وشوق للذات الإلهية ، و(كرومة) فيما كان عليه مما نحسب أن رحمة الله تعالى قد أظلت منه[١].

سياحته وحجه :

دعت هواتف السياحة والإرشاد والدعوة إلى الله والفرار نحو – دعت استاذنا وشيخنا (رضي الله عنه) أن يجوب كثيراً من مدن البلاد وقراها ، بل بعض البلاد الإسلامية المهمة ، فكان أن زار مصر وهو في متقبل شبابه والتقى فيها بسيدي الشيخ عليش فتتلمذ عليه وسلك الطريقة الشاذلية بديه ، وكرر الزيارة مرة أخرى إلى مصر لتوثيق صلاته بأسرة شيخه بعد وفاته من ناحية ، ولزيارة الأولياء والصالحين من ناحية أخرى وقد نزل في هذه الزيارة ضيفاً على صهرة (الزبير باشا رحمة)[٢] الذي كان يقيم بالقاهرة مما سهل عليه الإلتقاء بجمع الكثير من أهالي البلاد وقادتها وذوي الرأي والفكر والمشورة فيها .

وكان لسيدي الشيخ قرب الله علاقة خاصة بعلماء الأزهر الشريف، ومشايخ الطرق الصوفية ، ومجالس العلم والسلوك فقد وثق بأهلها صلاته ، وزين بالنقاش العلمي معهم والسلوك إجتماعاته ، فاستمعوا منه إلى دور البيانات تفيض من لسانه، ورأوا الخُلق الرفيع يعكس طهر جنانه ، فأحبوه عن معرفة ،وتأسوا بسلوكه ومنهجه في الحياة على خبرة وتجربة ، وتقاطر عليه الكثيرون من خاصة البلاد وعامتها يسلكون عليه الطريق ، وينهلون من إرشاده عبير الرحيق .

وبعد نهاية هذه الزيارة ذهب الشيخ (رضي الله عنه) لزيارة سيدي احمد البدوي (رضي الله عنه) بطنطا فاستقبلوه كل من خليفة سيدي أحمد البدوي واتباعه بالتقدير والإكبار والاحترام، وقد سعد الجميع معه بزيارة المقام ، والتبرك برؤية مخلفات وراث خير الأنام ، سيدي أحمد البدوي المتمثلة في العمامة والعباءة والقميص والمشط والسبحة كما

---

[١] ملامح من المجتمع السوداني الاستاذ حسن نجيلة ، ج٢ ص ١٥٩ – ١٦٢

[٢] كان سيدي الشيخ قريب الله متزوجاً بإبنته .

تبركوا معه بـ (الشبت)[1] الأحمر المصنوع من الصوف الذي خلفه خليفته سيدي الشيخ عبد العال.

وبعد طنطا سافر الشيخ (رضي الله عنه) إلى الاسكندرية فزار بها كثيراً من الأولياء وفي مقدرتهم :

- العارف بالله سيدي الشيخ شهاب الدين أبو العباس المرسي ، واسمه أحمد بن عمر بن على .
- العارف بالله سيدي الشيخ البوصيري وأسمه محمد بن سعيد بن حماد.
- العارف بالله سيدي الشيخ ياقوت بن عبدالله الحبشي (السوداني) وهو تلميذ المرسي.

هذا وقد تعددت زيارة سيدي الشيخ قريب الله (رضي الله عنه) لعدد من مدن مصر وقراها وكان من البلاد التي زارها بالإضافة إلى ما ذكرنا:

- حميتزا ، وهي قرية في صعيد مصر في صحاري عيذاب وكان قد توفي بها سيدي الشيخ أبي الحسن الشاذلي.
- طنط أبي تراب ، في الغربية ، حيث زار بها قبر سيدي ابراهيم بن قشيط ، وهو الصحابي الوحيد الذي له قبر محقق بمصر ، كما جاء ذلك عن الإمام الشعراني في كتابه (لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية) طبع الحبلي سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦٢ ص ٤٣٣ .
- مدن وقرى صعيد مصر حيث جدد العهد فيها مع من تتلمذوا من قبل على جده سيدي الشيخ أحمد الطيب (رضي الله عنه) وعلى أخيه ابن عمه سيدي الاستاذ محمد شريف (رضي الله عنه) وكان قد التقى أيضاً ببعض مشايخ الطريق السماني أمثال :

---

[1] هي خرقة التصوف أو زي الفقراء – راجع : السيد البدوي أو دولة الداروبش في ملة (ط١) بمصر سنة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م ص ٥٠ - ٥١

- الشيخ محمد الأمير النعماني ، نجل الاستاذ الشيخ محمد حسين الخزرجي العمراني الذي وصف نفسه في نهاية كتابه (النفحات الزكية بمولد خير البرية)[١] بأنه السماني طريقة .

هذا ومما يذكر هنا أنه كان لهذا الشيخ صلة خاصة بسيدي الأستاذ الشيخ محمد شريف حتى أنه سنة ١٣١٧هـ راسله الأخير من الخرطوم وطلب منه أن ينشئ (رجزية) في فن الصرف على نمط (الخزائن) في السهولة والترتيب ، وقد جاء في نص خطابه له ما يأتي:

طاب الزمان بسيد العلماء ** وهو الأمير اليوم بالسودان
العالمُ العلامة بن محمدٍ ** الخزرجي تابع النعمان[٢]

وقد رد الشيخ محمد الأمير المذكور على اسناده الشيخ محمد شريف بقصيدة جاء فيها :

سعدُ الطالع ذاهلاً أجراني ** حتى انزوى في طاعة اجراني

وهي قصيدة كما ترى (نونية القافية) جعل ناظمها كل شطره منها تاريخاً للعام الذي راسله فيه استاذه وهو سنة ١٣١٧هـ على أن الأمير قد أكمل نظم (الرجزية) في سنة ١٣٣١هـ وأسماها (مصارف التصريف إجابة لشيخنا شريف) .

وكان من التقى بهم سيدي الشيخ خليفة الشيخ الأمير (حسن محمد آدم) وأيضاً التقي بخليفة الشيخ حمد العبادي خليفة (سيدي السمان) وهو الشيخ الجمل، ومن الأقطار التي زارها سيدي الشيخ قريب الله (رضي الله عنه) لبنان وزار الحبشى (السوداني)[٣] ، وسيدي عبدالله بن جعفر الطيار ، والسيدة حفصة بنت سيدي عمر وزوجة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وزار ضريح السيدة سكينة بنت سيدي الإمام الحسين (رضي الله عنه) ، وضريح السيدة زينب الصغرى الملقبة بأم كلثوم بنت الإمام على بن

---

[١] ط١ السعادة بمصر

[٢] الشيخ قريب الله والدعوة إلى الله / الدكتور الشيخ حسن الفاتح ص ١٥٦

[٣] السودان ، أو طلائع الفتح الإسلامي ، أو اعلام المهاجرين كلها للدكتور الشيخ حسن الفاتح.

أبـي طالـب (كـرم الله وجهـه ورضـي عنـه) ، ثـم زار قبـر سـيدي أوس بـن أوس الثقفـي صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وقد صلى الجمعة بالمسجد الأموي .. وفيه التقى بعدد كبير من العلماء والصوفية الذين تعرف عليهم أثناء إقامته بالحجاز فأكثروا من إقامة الحضرات والمدائح على شرفه ابتهاجاً منهم بزيارة الشيخ لبلادهم.

ثـم غـادر دمشـق إلـى العـراق ، ليشـرف بزيـارة سيدي الشـيخ عبـدالقادر الجيلانـي سلطان الأولياء وشيخ العارفين (رضي الله عنه)[١]، احتفل به خليفة المقام ودعا إليه مشايخ الطرق الصوفية وأعيان الجميع ، فخطب فيهم سيدي الشيخ قريب الله (رضي الله عنه) خطبة ارتجلها لهم فأحبه الجميع واحسنوا رفادته ، وأكثروا من زيارته ، والتبرك به ، وطلب الدعاء منه .

ومن بعد ذلك إتجه إلى (الأردن) فقابله قضاة البلاد وعلماؤها ومشائخها وأعيانها، وصحبه جمع كبير لزيارته لمقام سيدي موسى عليه السلام وعلى نبينا أفضل السلام وهو بالقرب من البحر الميت ، ومنها إنتقل إلى (فلسطين) فزار بيت المقدس ، وصلى به ، وأقام أياماً هناك يتردد على المسجد ، وعلى قبة الصخرة، وعلى الأماكن الطاهرة المقدسة مـن مقامـاتٍ كثـر للأوليـاء والصـالحين ، بـل الأنبيـاء والمرسـلين ، كمـا أنـه زار الحـرم الإبراهيمي ، وأيضاً مشاهد للأنبياء أمثال سيدنا يوسف ، وسيدنا يعقوب عليهما السلام وعلى رسولنا أفضل الصلاة والسلام .

أما عن سودانه الحبيب فقد زار فيه كثيراً من المدن والقرى ، إما سياحة أو قياماً بواجب الدعوة إلى الله ، أو وصلاً لرحم ، أو استجابة إلى دعوات كان يتلقاها من معارفه وذويه وأحبابه واتباعه ، أو مشاركة للناس في أفراحهم واتراحهم .

ومـن القـرى التـي زارهـا وهـو صـغير تلـك القـرى المجـاورة (لأمرحـي) الغربيـة والشرقية بلدي جده سيدي الشيخ أحمد الطيب (رضي الله عنه) ووالده سيدي أبي صالح، وأيضاً زار منطقة (الجيلي) التي تقع على الشاطي الشرقي من النيل ، وأقام بها فترة حفظ خلالها القرآن الكريم في خلوة خاله الشيخ أحمد أبو قرين .

---

[١] دور رائد الطريقة القادرية في الفكر والدعوة إلى الله / الدكتور الشيخ حسن الفاتح.

ثـم أمَّ حلقـات العلـم والسـلوك بأمـدرمان ، يرشـف مـن معـين العلـم ، ويعـب مـن فيوضات الواجبات والنوافل، وكان يزور اتباع والده القاطنين بـ(جبرة) واصـلاً بزياراته لهم ما انفصم من علاقات وطيدة كان قد أقامها معهم والده سيدي الشيخ أبو صالح قبل وفاته .

وقد فرح أهالي (جبرة) بزيارته وزوجوه بإحدى بناتهم ، وأقام معهم فترة يدرسهم الفقه والتوحيد، وكان يرشدهم إلى العمل والإكثار من النوافل.

ثم انتقل من جبرة إلى (النهود) حيث إقامة اخيه (الشيخ البشير) وذلك في سنة (١٣٠٦هـ) ثم رحل إلى (الفاشر) وتزوج بإمرأة في مكان يقال له (أم بل) وحصلت له كرامات كثيرة ، وفي هذه المنطقة يوجد عدد من العلماء أشهرهم الشيخ زكريا بن عبدالله ، والشيخ عبدالجبار وتدارس معهم أمهات الكتب الدينية في الفقه والتوحيد من مثل : مختصـر خليـل بحواشــي الرهـوني والزرقـاني والدسـوقي مـع شـرح للشـيخ علـيش علــى المختصر اسماه (شرح منح الجليل على مختصر خليل) . وتدارس معهم (البرهان) لإمام الحرمين الجويني ، وشرح (ياقوتة التوحيد) و (كتاب الحكم) لسيدي أحمد الطيب (رضي الله عنه) ، وشرح (العقيدة) للإمام الدرديرى، وقد أبدى الشيخ (رضي الله عنه) ذكاءاً خارقاً مما ادهشهم فقدموه عليهم ، واكثروا من الثناء عليه وزوجه بعض أعيان قبيلة الهواوير من إبنته ، فأنجب منها أبناً اسماه: (الصادق) ولكن راح سلفاً لوالده ذخراً ، فمات ولما يزال صغيراً يافعاً .

ثم رجع مرة اخرى إلى أم درمان ليواصل من دراسة وتدريس واتخذ منها مركزاً دائماً لناشطه في الدعوة إلى الله وفي أم درمان زار مناطق كثيرة منها :

- عطبرة حيث أسس بها مسجداً ما يزال قائماً حتى الآن ، يمارس الشعائر يؤدى الواجبـات ، وكـان يـزور هـذا المسـجد بـين كـل فتـرة واخـرى ، ويقـوم علـى أمـره مجموعة من المريدين والمحبين .
- بورتسودان ، وقد اسس بها (زاوية) حوّلت اخيراً إلى (مسجد) .
- شندي ، وقد أقام بها (زاوية سجِّل باسم ابنه سيدي الشيخ الفاتح) وقد حوّلت إلى (مسجد) أفتتحه الدكتور/ الشيخ حسن الفاتح.
- مدني، وقد أقام بها (زاوية) .

- الفاشر ، وأيضاً اقام بها (زاوية).

واخيراً من المدن التي زارها الشيخ المترجم له ونحن نتكلم عن سياحته مدينة (بربر) ، و(سواكن). وأيضاً زار (طابت الشيخ السماني) ، و(طابت الشيخ عبدالمحمود) وقد ارتجل بها قصيدة يخاطب فيها شيخه وأستاذه بعد وفاته قائلاً:

محمود سيدُنا عليك سلامي ** يا طيب الأفعال والاقدام
ذهبت لياليكم بأحسن سيرة ** في الله في الإقدام والإحجام
واليوم انتم عنده في داره ** سبحانه ذي الخير والإنعام
رضوانه يغشاكم ما دمتم ** في جنةِ الرضوان والإكرام
واليه نضرع أن يجيب دعاءنا** فضلاً ويحشرنا مع الأقوام[١]

---

[١] رشفات المدام / الشيخ المترجم له ط٢ ص ٢٠١

الفصل الثالث: جهاد سيدي الشيخ قريب الله وخلقه وثناء العارفين عليه

المبحث الأول: جهاد سيدي الشيخ قريب الله في سبيل الدين والوطن

يعتبر الشيخ قريب الله أول سوداني جاهر (الكفار) من الإنجليز بالعداء ، وأعلن أمامهم إستنكاره قولاً وفعلاً لما قاموا به من هيمنة عسكرية على البلاد الإسلامية مع قهر لأهلها من الشيب والشباب .

وقد تمرد على الكفار الغزاة في مناسبات كثيرة مركزها (مسيده بأمدرمان) حيث ناكفهم كتابة ، وتحداهم فعلاً بعمل إسلامي كانوا يناهضون قيامه ، وقلل من قدرهم امام من كانوا يخشون بأسهم ، فأضطر مندوب (الحاكم العام) وقد طرده (الشيخ قريب الله) من مسيده بعد أن أسمعه ما ينم عن احتقاره له – أن ينحني للعاصفة فيوافق مكرهاً على تنفيذ ما كان يرمي إليه سيدي الشيخ قريب الله من غرس الروح الإيمانية والخلقية في نفوس الشباب والأحباب تمهيداً للتحرر الاكبر عن ما سوى الله .

وكان أسلوبه ضد الكفار الطغاة أسلوباً يحث فيه على الجهاد لكي يطردهم من هذه البلاد وجميع بلاد الإسلام فيقول في هذا الشأن:

جاهدوا لا تقعدوا ** وأذكروا يوم المفر

اصدقوا من تقصدوا** قبل ما يأت السفر

كل شيء هالك ** غيره سبحانه

فاستمع يا سالك** واتبع قرآنه[1]

ويقول داعياً إلى الحرية

بالله ذكر يا أخا الحذاق** بأكابر قاموا بجد الساق

لله درهم لقد فازوا بما ** فات الملوك من الشذا العباق

بل فالملوك همو لعمري إذ همو ** قد حَرَروا عما سوى الخلاق[2]

وفي قصيدة أخرى حث المسلمين على الجهاد ضد هؤلاء الطغاة محذراً إياهم عن الإنثناء عن واجبهم بسبب هموم العيش ورعاية أسرهم حيث تجده يقول :

تنحي يا هموم العيش عني ** الستِ لَدَى الحروبِ عَرَفْتِ مني

---

[1] الشيخ قريب الله والدعوى ال الله / للدكتور الشيخ حسن محمد الفاتح، ص ١٦٣ – ١٦٤ .

[2] الرشفات ص ٢٤٦

بأني محتمٌ بالله ربي ** ولم يزل الدعاء له مُجِنِي

وأني حيثما هَجَمَتْ جيوشُ ** من الأعداء هناك قرعت سني

وأسبلت الدموع على خدودي ** وقمت لخالقي أنثني وأثني

وناديت الرسول وأهل بدر ** ورباً عند خطبي لم يدعني[١]

وكان أول شعلة أشعلها الشيخ (رضي الله عنه) ضد الكفار هي ثورته الرمزية في سراي (الحاكم العام) وذلك أنه أشهر الأذان لصلاة العصر أثناء احتفال (الحاكم العام) ولعله يريد بذلك إعلان العصيان المدني عليه وغرس روح الإيمان في أعيان أهل البلاد، وإعلان الجهاد لطرد الغزاة ، ومبيناً لهم أنه لا مانع لديه من حمل السلاح لطردهم ونصرة لدين الله وتحريراً للوطن فقال :

ومن لي بسيفٍ في الجهاد أسله ** لنصرة دين الله شوقاً إلى الله[٢]

ولم يجد الشيخ رضي الله عنه استجابة فورية ممن شهدوا تمرده الفعلي على الكفار فما كان منه إلا أن أتجه إلى الجماهير المسلمة وصاح فيهم بالجهاد والدفاع عن المال والعرض والوطن وكل ذلك كان في منشورٍ ضد هؤلاء الكفرة .

وذكر في (منشوره التحريضي) أنه لا بد من تطبيق كتاب الله الذي أهمله القادة ومالوا إلى الشيطان ، بل أبو الاستجابة لنداء من دعاهم إلى تحكيم كتابه ويقول :

قد أهملوا الدين الحنيف وفارقوا ** للحق وانحازوا إلى الشيطان

واستنكفوا أن يذكروا خلاقهم ** وتكبروا حتى على الآذان

واستثقلوا شرع الرسول محمد** وأبوا سماع الحكم بالقرآن

ليس الأذى مستبعداً عمن أذى ** رب الورى و محمد العدنان

كفرت بواطنهم بدين نبيهم ** يا ويلهم من لفحة النيران[٣]

كانت الثورة الإسلامية العملية من (القريب) عارمة ومفاجئة للكفار فقد ألجمت الحيرة جموع الحاضرين ، ولكن لم يشترك معه في هذه الثورة القاصدة لله أناس كثيرون

---

[١] الرشفات ط٢ ص ٣٧٦

[٢] المرجع السابق ص ٣٩٦

[٣] الرشفات ط٢ص٤٣٦

وهذا لم يأثر على مسيرة (القريب) بل قوى من عزيمته وهمته واجتهاده في أمره فخرج في ثورته إلى عامة الناس، حيث اصدر لهم (منشوراً) شعري غاضباً مثيراً[1]. جاء فيه :

تعرض قوم للوعيد بعمدهم** لتركهم المفروض في حفلة (السر)
يدينون دين الكافرين بتركه** وتأخيره عمداً حياء من الكفر
ويدعوهم داعي الصلاة محيعلاً** فيرمونه جهلاً مضلا ورا الظهر
وإن قال بعض منهم انهضوا بنا ** نصلي صلاة الفرض قالوا له بدري
ورب مصل قام من بينهم لها **رأى بعض منهم يغمز البعض كي يزري
وإن سبح الله المهيمن بينهم** أذوه بتجبيه يزيد على السخر
أجابوا لداعي الكافرين وأهملوا** إجابة داعي الحق للفوز في الحشر
فهل كان ربي عنهم ثم غائباً** أم الغير أولى من طاعة الأمر
فكيف استحوا من غيره وهو حاضر** عليهم بما يخفون من باطن السر
فهلا استحوا من عينه حيث آمنوا ** به أنه الموجود في السر والجهر
ولم قدموا داعي العبيد وأخروا ** لدعوته هل كان هذا من الكفر
وهذا على مرأى مشايخ ديننا** ومسمعهم قل لي أيا حيرة الأمر
ألا فانظرن يا صاح أهل زماننا ** وما آثروا من حظ نفس على الذكر
فما قدروا الله المهيمن قدره** وما نصروه كيف يرجون للنصر
جزى الله (عثمان المديني) أجره ** وأعطى لـ(زياد) الزيادة في الأجر
فإن له في الدين غيرة صادق** و لم يكترث فيها بزيد ولا عمرو
ولم يختش في الله لومة لائم ** إذا حيعل الداعي لمكتوبه (العصر)
فسبحان من للبعض أشهر قربه** كما حجب الباقين عن ذاك بالقهر
أيا معلناً ذكر الجلالة لا تخف ** ولا تستحي من منكر جاحد غر
يفوه بعصيان المهيمن في الملا** ويهجر ذكر الله سبحانه البر

---

[1] راجع مجلة الخيري – مجلة عسكرية ثقافية اجتماعية يصدرها فرع التوجيه المعنوي الخرطوم – (فقال : الشيخ قريب الله ، وصلاة العصر في سراي الحاكم العام) ، رجب ١٤١٢ يناير – فبراير ١٩٩٢م ، (ط) دار هايل للطباعة والنشر والتغليف ، ص ٣٥- ٣٦

على أنه يحتاج في كل حالة ** إليه مدى الأوقات في العسر و اليسر

ولم يلق رزاقاً سواه وراحماً ** و لا ساتراً إلاه يشمل بالستر

ولا محسناً بالفضل والجود والندى** مع البعد بالعصيان والجهل والكفر

فهم صاحبي في الله وأفنا بذكره ** ودع عنك ناساً في الغباوة كالحمر

فأنت على خير ورب محمد ** وعند ارتفاع الحجب تظفر بالبشر

سيندم من كان الجحود حجابه ** ويبكي على عمر مضى منه في خسر [١]

ومن هنا يتبين لنا أن سيدي الشيخ قريب الله (رضي الله عنه) قد اثار بثورته حفيظة الأمة على النصارى ، وأشعل روح الجهاد فيهم ، وايقظهم إلى واجبهم فاقتفوا اخيراً أثره، وإن لم يتبعوا نهجه في تبني إقامة شرع الله وتحكيم القرآن والسنة .

ولهذا يكون قد ناهض سلطة الكافر (الحاكم العام) ووصفه بالظلم واثارة الفتن فقال فيه :

فاحموا البلاد من الكفر البغيض ومن ** ظلم الولاة وجهالٍ قد احترموا[٢]

وما زال يحض الناس على محو الضلال، وإزاحة كابوس الكفر الذي حلَّ بالبلاد، فغير حالها ، وأفقر أهلها ، فيبست منه الاشجار ، ونضبت بفعله الثمار فقال :

وأنصر بفضلك دين الحق واهد به ** قلوب قوم علاها الران و انتشرا

واشرح صدورهم من بعد جفوتها** للحق وامحض لمن بالحق كفرا

واجعل شموس الهدى في الارض مشرقة**تمح الضلال وزح عن أهلها الضررا

وأمطر سحائب إرشادٍ على بلدٍ ** اشجارها يبست وأجعل لها ثمرا[٣]

ويقول حاثاً الناس على التخلق بأخلاق الأبطال ببذل الروح في ساحات الجهاد، مع التذلل للمولى والتقرب إليه وسؤاله العون :

ابذل الروح إلى ساحاته** بجهاد دائم كالبطل

بطريقٍ قد مشاه المصطفى ** لعزيز بالكتاب المنزل

---

[١] رشفات المدام – لسيدي الشيخ قريب الله (حرف الراء) الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠هـ – ١٩٩٧م ص ١٦٤ فما بعدها رقم القصيدة ٢٣٤

[٢] المرجع السابق ص ٣٣٠

[٣] رشفات المدام ص ١٨١

واسأل العون من الله تجده ** أنه قال إسألوا فلتسأل[1]

ويقول وهو يحث الجميع على أن يدعوا اهواءهم وحظوظهم جانباً ليعملوا متكاتفين على تحكيم شرع الله بينهم :

قد خاب من جحدوا حلاوة ذكره ** وتعرضوا للمقت والخسران

وأعماهم تبع الهوى عن اسمه ** سبحانه ملك عظيم الشأن

وتأولوا حكماً يلائم حظهم ** وهواهم ما جاء في القرآن[2]

ويقول داعياً مولاه مستعيناً به في تخليص الامة من أعدائها بمدد رباني وخير إلهي يرسله اليهم لينصرهم على الأعداء وعلى الأهواء التي تبعدهم عن تحكيم القرآن الكريم والشريعة المحمدية المطهرة :

مولاي خلصنا بجاه محمد** وتولنا يا رب يا رحمن

وابعث الينا جند نورك ربنا** ليسوقنا بالشوق يا حنان

ومن النصير لنا يرد عدونا ** عما يريد بنا أيا منان

واكتب لنا سيراً حثيثاً طيباً ** نحو الحمى والقائد القرآن

وشريعة الهادي الرسول محمد ** صلى عليه الواحد الديان[3]

وبهذه المناهضة والثورة من (القريب) ما كان من الحاكم العام إلا أن طلب مهادنة من الشيخ الثائر ، علماً منهم بأن ثورته ناجحة مفسدة لأمنهم لأنها حركة صوفية والحركة الصوفية في مفهومها الأصيل ما هي إلا تكوين أجيال من المسلمين على التربية النفسية المفطومة عن الشهوات القادرة على مواجهة إنحلال المجتمعات بايجابية وقوة ، ومجابهة الغزو الخارجي بنفسية المجاهد الذي باع نفسه لله فلم يعد يأبه بها في سبيل رضاء مولاه .[1]

---

[1] المرجع السابق ص٢٩٢

[2] المرجع السابق ص٣٢٠

[3] الرشفات ص ٣٧٢

[1] البطولة والفداء عند الصوفية – دراسة تاريخية لأسعد الخطيب ، ص ٩٧

ويظهر من ذلك أن القريب كان في تحدي سافر على الحاكم العام مما جعل الحاكم العام يرسل خطاباً بمثابة إنذار للشيخ بواسطة أحد أمرائه وما أن وصله المأمور واعطاه الإنذار فما كان من (القريب) إلا مزقه وطرد المأمور ، وللمرة الثانية يرسل إليه إنذاراً وبنفس الصنيع الأول فعل (القريب) بالإنذار ، وللمرة الثالثة يرسل الحاكم العام إنذاراً مخطوطاً بالمداد الاحمر على ورقه الخاص ، وهو إجراء لا يلجأ إليه (الحاكم العام) إلا عند الضرورة القصوى والخطر المدلهم ، ففعل (القريب) بهذا الإنذار كما فعل بسابقه مما أخاف الحاضرين وجعلهم يتحدثون مع الشيخ بأن يستجيب لأمر الحاكم العام ولو مرة واحدة ، ولكن (القريب) أبى أن يسلم لغير الله فكتب قصيدة بين فيها لا تسليم ولا خضوع إلا لله ، وما فاعل سوى الله فقال :

أرح جنانك بالتسيلم لله ** فكل أمر بدا من قدرة الله
القول والفعل والأحوال أجمعها ** كانت مقدرة من حكمة الله
تبارك الله عن ندٍ يشاركه ** في خلق شئ بدا من أعبد الله
إياك إياك والشرك الخفي فما ** ف'ي هذه الدار فعال سوى الله
وأنت فانٍ وكل الناس فانية** والله باقٍ فكن عبداً إلى الله
ما هذه الدار دارٌ للإقامة يا** مغرور فيها فلا تغتر بالله
عليك بالشرع والنهج القويم تجد ** يوم القيامة منجاة لدى الله
ولا تنازع ولا تجزع لكائنة ** من المكاره خل الأمر لله
ما قدر الله لن ينفك عنك ولو** جمعت حيلة كل الخلق والله
والله والله ما في الكون من أحدٍ** يُعطي ويمنعُ يا هذا سوى الله
والقول والفعل مخلوقان كليهما ** قبل البروز فقل آمنت بالله
إلى متى أنت في شرك وفي عمةٍ** والعمر قارب أن يمضي إلى الله
هذه النصيحة فأقبلها تعش رجلاً ** ترى وتسمع في الدنيا من الله
يا رب هدياً إلى رضوانكم أره ** قبل الحمام أجد فيه من الله
وصلاً إليه وفصلاً عن سواه إلى ** يوم القيامة يوم الجمع بالله[١]

---

[١] الرشفات ص ٣٩٢

وبعد ذلك كله أدرك المستعمرون من الكفار الدرس ، وعلموا أنهم في الفتنة سقطوا ، ورأوا أنهم بمجابهتم (للقريب) وتهديدهم له بالويل سيكونون كناطح صخرة ليضيرها أو يوهنها ، وهو أمر وإن صدق على غير (القريب) ممن يؤثر العاجلة على الآجلة ، فلن يصدق علىمن يتشوق لليوم الذي يكتب له فيه لقاء الله تعالى ، وبه يترنم قائلاً :

حلفت بربنا وهو المجيد ** ليوم الموت للفقراء عيد

أليس الموت فيه لقاء مولى** له كل الورى طرّاً عبيد

وليس العيش إلا بعد موت ** بدارٍ حبذا فيها الخلود

فنحن المؤمنون بلا خلافٍ ** وقد صدقت لنا منه الوعود

ونحن المقتفون لإثر طه ** ومن وفدوا ويا نعم الوفود

فما الدنيا بدارٍ يا جهول ** وما يقضي بذا إلا بليد[٢]

لقد جسّد (القريب) بما قال وفعل لخاصة الناس وعامتهم من الجماهير عزة المؤمن وكرامته وقوته حتى ولو كان أعزل من السلاح ولكنه مدجج بالإيمان وبذلك أعلن الجهاد المدني والعسكري على المستعمر وخرج عليه ولم ينصاع لتوجيهاته وهذا يجب على كل من مسلم ويعتبر الشيخ (قريب الله) أنموذجاً صوفياً للإسلام والمسلمين في هذا العصر وقد سجل له التاريخ ذلك بمدادٍ من ذهب وهذه الرسالة التي خاصة بديوانه الرشفات تعتبر من هذا القبيل.

---

[٢] المرجع السابق ص ١٤٦

المبحث الثاني: خَلقُ سيدى الشيخ قريب الله وخُلُقه وثناء العارفين عليه:

خَلقه :

كان سيدي الشيخ قريب الله أسمر اللون حسنه، جميل الطلعة ، ذا هيبة وجلال ووقار ورزانة ، ضخم الهامة، من غير إفراط ، واسع الجبين حسنه ، طويل العنق من غير تفاحش. بعيد ما بين المنكبين ، واسع الصدر ، كريم الشمائل، واسع الكفين ، مربوع القامة ، نحيف الجسم ، ذا جمال في الصوت أخذا يذكر مزمار داؤود، أو صوت ابن مسعود ، لا يملك سامع تلاوته أو انشاده أو قراءته للمولد النبوي إلا أن يصيغ بأذنه وقلبه [١].

خُلُقه:

كان ذا خلقٍ قراني ، يحترم أهل الفضل ويجلهم ، ويكبر طلبه القرآن والعلم ويباسطهم، ويرفع أمام الجميع من قدرهم ومكانتهم، يعود المرضى ويجبر خاطر المنكسرين ، يجلس مع الفقراء والمساكين بل ويخدمهم بنفسه ، ويجيب لدعوة من دعاه منهم غير مستنكف أو مترفع .

كان كريماً تعودّ بسط الكف وندى اليد ، حتى عرف بذلك ، وكان كعبة للقصاد، وموئل المحتاجين ، ومحط آمال من يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف.

ثناء العارفين والأحباب عليه :

المكاتبات النثرية :

تنوعت الفاظ الثناء عليه وذلك تميزه خطابات ارسلها إليه بعض احبابه ومريديه ومعارفه ، بل وأبناء أسرة سيدي الشيخ محمد عبدالكريم السماني ، وعبر كلمات قالها عنه الكتاب أو الشعراء ، فنذكر شذرات منها :

خطابات سيدي الشيخ محمد حسن بن سيدي الشيخ أبو الحسن سمان :

إن تفضلتم بالسؤال عنا فالحمد لله على كل حال ، وقد وردا منكم جوابان، أحدهما بتاريخ ١٠ والآخر بتاريخ ٢٠(جمادي الثاني) ١٣٢٤هـ وفهمنا من سطورهما عدم ميلكم لتوجهنا للآستانه العلية ، فبناءً على ذلك قد عدلنا عليه عولنا ، وستكون الإقامة إن شاء الله بين الصعيد ومصر إلى انقضاء شهر رمضان وبعده نتوجه إلى طرفكم .

---

[١] حياة القريب للشيخ يوسف الخليفة عبدالرحمن ص ٢٢.

وقد أرسل إليه سيدي الشيخ محمد حسن سمان خطاباً فحواه الآتي :

خلاصة المحبين الشيخ قريب الله زد توفيقه آمين . وصلنا جوابكم فعلمنا منه اشتياقكم للمدينة المنورة ونسأل الله أن يجمعنا بكم في زاويتنا عاجلاً وسلموا لنا على ابنكم محمد الفاتح وفي هذا دلالة واضحة على مكانة شاعرنا عند مشايخه .

خطابات سيدي الشيخ عبدالمحمود بن نور الدائم وهو شيخه :

جاء في هذا الخطاب:

إلى اكسير أخوانه وروض أقرانه فاكهة عقول المخلصين وحقائق جد الحق والدين، وإرث أباءه الفخام ، اخي وثمرة فؤادى البركة الصالح الشيخ قريب الله ابن والدنا وخليفة جدنا الشيخ أبي صالح، أدام الله مفاخره ومعاليه ، واضاء به قلوب محبيه . السلام عليكم ورحمة الله وتعالى وبركاته ، قد طال تشوقنا اليكم كشوق الظمآن للماء البارد، والحميم للحميم الماجد، والمريض للشفاء ، ومجتهدي السير إلى حالة الصفاء ، نسأل الله ان يجمعنا وإياكم روحاً وجسداً ويهيئ لنا من امرنا رشدا.. إعلم إنه ليس لي سواك ارتجيه لأنك قد غفوة اثر الجد وتابعته .. فساعدونا بالدعاء .

- ومن الخطابات النثرية التي وصلت إلى شاعرنا ذلكم الخطاب الذي جاء من الشيخ محمد المجذوب والذي يطلب فيه من الشاعر الدعوات وسائلاً فيه عن حاله .
- وأيضاً من الخطابات خطاب الشيخ محمد ماضي أبو العزائم وليس هو خطاب واحدٌ بل اكثر وفي كلها يوصي الشاعر بالإكثار من الذكر ويذكره بأن لا ينساه في كل حالةٍ واصفاً لشيخنا بأنه من أهل الولاية الكبرى.
- ومن الخطابات التي وصلت إلى شاعرنا ذلك الذي جاء من الشيخ أحمد المدني محمد الحسن والذي صدره بأبيات شعرية قال فيها :

الله يعلم وهو أفضل شاهد ** بغرام حبٍّ في الفؤاد غزير

والنفس في شوقٍ وتوقٍ دائم ** تهواك ما عقب العشاء بكور

حتى أتاها مشيراً مسطوركم ** في يوم عيدٍ والسرور كثير

تا الله ما أحلى الوداد لذاته ** سيما الخطاب من الأحبة نور [١]

- وهنالك خطاب من السيد محمد بن صادق احمد سرتي وفيه يسأل عن صحة الشيخ بعد المرض الذي ألم به والذي أزعجهم كثيراً وهكذا المحبة الصادقة .
- وأيضاً خطاب السيد أحمد الصاوي والذي يسأل فيه عن صحة الشيخ والذي وعد فيه الشيخ بالزيارة .
- ومن الخطابات أيضاً الشيخ محمد المبارك وهو إبن شيخه والذي فيه يرسل تهانيه بتشييد المسجد ، ويصف فيه الشيخ قريب الله بصفات الكمال البشري المفيد.
- وقد وردت إليه خطابات كثيرة من أبناء طريقته وأخرى مسوغة كلها تدلل على مكانة الشيخ (القريب) حسِّاً ومعنى وهو من أهل هذا الشأن نفعنا الله ببركته .
- ومن الخطابات التي هي ألفاظ شعرية تلك التي وردت من الشيخ يوسف الخليفة وهو تلميذه قائلاً :

يا رب أرض عن القريب المجتبى** محي الطريقة وكعبة الإرشاد

الذاكر الأواه في جنح الدجى ** الزاهد المتواضع السجاد[٢]

ويقول :

فسلوا الحجاز عن القريب وفعله ** يخبركم أن للقريب هبات

وسلوا جبال الخير في أم القرى ** فله خصال فيها محمودات

وسلوا تبيراً والمحصب من فتى ** فلكم بها طابت له ليلاته[٣]

ويقول في نهايتها :

أبتي لقد كنت الملاذ ولهفنا ** حامي الزمار إذا بدت سطوات

أبتي لقد كنت الرؤوف بحالنا ** كنت الحليم إذا أذاً اتت هفوات

كم كنت قواماً وصواماً وما ** رُدت لكم يا سيدي دعوات

كنت القريب من الله حقيقة ** شهدت بذا رغم العدا الاوقات

---

[١] الشيخ قريب الله والدعوة إلى الله / الدكتور الشيخ حسن الفاتح

[٢] حياة القريب للمرسل ص ٤

[٣] المرجع السابق ص ٥٠

فالشعر كان شعاركم ودثاركم** بحداكم قد طابت الحضرات

كم للشريفة قد اشدت منارها ** بالنصح قد شهدت لك السادات

يا قائماً بالذكر يا خفر العلا ** يا مرشدا ضاءت بك العرصات

أحييت آثار الكرام ونهجهم ** فطريقهم خفقت له الرايات

كم من مريد ساح في روض الهدى ** بالسر قد ضاءت له الوجنات

كم من رياض الذكر هام مريدكم ** كم بالرطين قد علت أصوات

كم للعصاة إلى الرشاد جلبتهم ** وسقاهمو بالسر منك سقاة

شيبة الحمد الذي هبت له** من وادٍ اسرار الهدى نسمات

فتعطرت بها الرحاب بأسرها** وتكاثرت من سرها الخيرات(١)

---

(١) حياة القريب للمرسل ص٥٥-٥٦

المبحث الثالث: الوفاة والمواساة

لما أرد الله جلا وعلا رحيل(القريب) إلى ساحات كرمه الواسع اشتاقت نفسه إلى جوار الرفيق الأعلى ، وأصبح حريصاً على لقاء الله ، وبدأ يشدو به ويترنم فقال :

أطار نومي ذكر الموت والكفن ** والقيح والاسواء والعفن

ومنكر ونكير والسؤال وما ** حواه من شدة الأهوال والمحن[١]

وقال :

يا ورق ذاك الحمى بالله غنينا ** واحد المطايا إلى حضرات بارينا

ويا نسيم الصبا أصبي خواطرنا ** ولتجذبها إلى اقصى مرامينا

ويا لوائح ذاك الحي لا تدعي** لنا التفاتاً لهذي الدار وأرعينا[٢]

وقال :

فما يغتنى بالدور والأهل والبنا ** وفي الله عنهم غنية والذي احيا

فبادر فما التأخير إلا رزية ** وشؤم وتقصير عن الحالة العليا

فوالله عند الله كل مسرة** وعيش رغيدٍ فيه طول المدى تحيا

بدارٍ بها خير الخليقة كلها** كذا الأنبياء مع آل احمد والآسيا[٣]

وبالإضافة إلى هذه الاشعار هنالك دلالات أخرى على قرب الوعد مع الله منها:

- الإكثار من قراءة سورة (النصر) في الركعة الثانية من صلاة العشاء .
- افراد اسرة السمان بالمدينة المنورة على صاحبها افضل الصلاة والتسليم يراسلونه ويدعونه بالزيارة .
- أن أخاه الشيخ أخبره بأنه قادم من غرب السودان[٤]
- تشوقه إلى وصول ابنه الشيخ الفاتح من مهمة صلح كلفه بها بين قبائل الكبابيش آملاً من أن يودعه اسرار الطريقة قبل وفاته .

---

[١] الرشفات ص ٣٥٨

[٢] المرجع السابق ص ٣٦٩

[٣] المرجع السابق ص ٤١٧

[٤] حياة القريب للشيخ يوسف الخليفة عبدالرحمن ص ٦١.

وبعد غروب الشمس عن ليلة الاثنين الثالث والعشرين من شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن الكريم فتحت أبواب القبول لروح (القريب) الذاكر الأواه الذي لم يفتر لسانه حتى وهو في أشد ساعات الألم من عبادة مولاه ، وعندها ارتقى بسلم السعادة إلى الرحاب القدسية ليجاور النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ممن تحسن رفقتهم ويتحقق بالوصل إليهم قوله الذي طالما كان يردده :

أهلاً وسهلاً باللقاء ** والإجتماع بذي البقا

يوم أموت به سعيدٌ ** والله ذاك إليوم عيد

يا سكنى بطن القبور ** فرحت بكم دار البقا

دار بها الرسل الكرام ** والمصطفى الهادي الامام

دار الحلال مع السلام ** دار الاحبة مطلقا

من آدم والى النبي ** من مكرم ومقرب

جدي وأمي بل أبي ** لم لا احن تشوقا[١]

ومن بعد ذلك انتقل إلى جوار ربه كما سبق ذكره ووري جسده (بود نوباوي) بأم درمان مسيده نفعنا الله ببركته .

وبعد ذلك توالت المواساة النثرية ، وأولها جريدة السودان التجارية الأدبية الاخبارية الزراعية التي تصدر يومي الثلاثاء والجمعة من كل اسبوع حيث نشرت هذا الخبر تحت عنوان (مصابٌ جلل) . ونشرته أيضاً بعنوان آخر في صفحةٍ غير الأولى وهو : (تعازي في فقيد الوطن الولي الاستاذ قريب الله بن أبي صالح) ، ومن بين هذه التعازي جواب (الحاكم العام) الذي هو بمثابة عزاء لولده الشيخ الفاتح. وكذلك من التعازي جواب (مدير الخرطوم) وتوالت التعازي من (بربر) و(ملكال) ، ومن (السادة الأدارسة) ومن أماكن كثيرة مدن وقرى داخل وخارج السودان وهو فعلاً ممن يستحق العزاء لأنه وليٌّ ينشر العلم والفضيلة تخلى عن الدنيا وزخرفها واتجه إلى جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين .

---

[١] حياة القريب للشيخ يوسف الخليفة ص ٣٨.

وهنالك مواساة شعرية في فقيد الدين والوطن ومن بين هذه تلك المرثية التي نشرتها جريدة السودان للاستاذ عبدالحميد جعفر (مدرسة بربر) فيقول :

رأيت البكا من أجل فقدك لا يجدي ** وذكرُك لا يبلى ورزؤك قد يردي
دميت قلوباً قد أطاح بها الأسى** وآلام حزن لا تكيف بالعد
بكاك رجال الدين والعلم والحجى ** وخير كهول الارض والشيب والمرد
وحتى قصورات الخدود نوائحاً ** حملن تراب الأرض في الشعر الجعد
دعوت إلى مولاك دعوة صالح ** سيذكرُها الرحمن في موقف الجد
ووفقت بين الدين والزهد والتقى** وما حدت طول الدهر عن سنن الرشد
وهل كنت في دنياك إلا موفقاً** لمكرمة تولى و حسن يد تسدي
طريقتك المثلى رفعت منارها** بآراء أقطاب تجل عن النقد
لقد فَجَعَ الإسلامَ منك بما جَدَّ** أخي ثقةٌ نال الكمال من المهد

إلى أن قال :

عليك سلام الله حياً وميتا **مدى الدهر ماهزّ الغصون الصبا النجدي
ولا برح القاع الذي انت جاره ** يرفرف في عليائه ضاحك الود
عزاءُ لمن أثكلتهم وفجعتهم ** بنار احتراقٍ مالها الدهر من برد
فلا وصل حتى ينجز الله عهده الـ ** قريب المدى إذ تجمعون على وعد
فكم في عظيم الاجر والصبر راحة ** تبدلُ عنكم طالع النحس بالسعد[١]

وهنالك مواساة شعرية كثيرة من عدة علماء وشعراء كثر فنكتفي بذكر تلك القصيدة التي هي من تلميذه الشيخ يوسف الخليفة التي هي رثاء في شيخه الذي تربى على يديه ونهل من معينه الصافي فأصبح الآن مفجوعاً بهذا الخبر الذي انحل جسمه ، وغير لونه فنظم قوله قائلاً :

اليوم زلزل صرح الدين وانهدما ** ولامعُ النور اضحى اليوم منعدما
وهامع السحب بالأشواق أمطرنا ** وبارق الشوق منا هيجا السقما
ودك طود قلوب عندما صدحت ** نواحُ القريب سيد العظما

---

[١] الشيخ قريب الله والدعوة إلى الله / الدكتور الشيخ حسن الفاتح ص ٢٤٢ – ٢٤٣

واليوم شمس علا الإرشاد قد كفت ** فأين نور الهدى الأذهب الظلما
أين (القريب) وأين المجد صنعته ** اين الفخار به قد كان مبتسما
يا قائم الليل بالإذكار يا بطل** يا واحد الدهر يا من أذهب الوهما
يا منبع الخير فقت السابقين به** فخير فضلك فاق الغيث حين همى
تلك الجموع لقد أبدت عواطفها ** بفقد علم وحلمٍ فيك قد رسما

***

يبكي الحجاز ويبكي الشرق أجمعه ** تبكي المدينة جسماً كان محترما
يا (فاتح) الخير قم بالذكر احي به ** نهج (القريب) الذي كان مبتسما
وأعل (الطريقة) كالغوث (القريب) ولذ ** بمنهج الصدق وابعد عننا اللمعا
فأنت للدين حقاً فيك قد جمعت** فضائل السابقين السادة الزعما
أخوان روحي وأبناء (القريب) لكم** منا جميل عزاءٍ يبعد السقما[١]

واختم هذه المراثي بتلك الأبيات التي علقت على جدران قبر سيدي الشيخ قريب الله وهي :

يا زائراً قبر (القريب) تقربا ** بشراك ما قد نلت من امداد
فانزل على ساحاته متأدباً** تجد الهنا والمبتقى للزاد
وكذا الملائكة الكرام بسوحه** طافت لبذل حوائج القصاد
طابت به شمس الحياة وإنها** للأنس في الحضرات ثم تنادي
حفت به حور الجنان بفرحة** تدعو القريب بوافر الاسعاد
فالباب بل والسعد قال مؤرخاً ** سر القريب مسرة للهادي [٢]

---

[١] الشيخ قريب الله والدعوة إلى الله / الدكتور الشيخ حسن الفاتح

[٢] الثمار اليانعة ، الاستاذ الدكتور حسن الشيخ الفاتح – قسم (الرثا) ص ٨١

(إكرامات المولى جل وعلا لعبده قريب الله)

للمولى جلّ وعلا عطاء على عبده غير مجذوذ[1] أو محظور[2] ، وهو وإن عامل العبد عامة بما هو له أهل ، لا بما هم له أهل ، فإن إكرامه لخاصة هؤلاء العبيد – سواء اكان خارقاً للعادة ام غير ذلك ، أحياءً كانوا ام أمواتاً – قد نوه إليه جل وعلا بقوله : (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَّن نَّجْعَلَهُمْ كَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ)[3] وقوله : (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّار)[4] وقوله : (أَ فَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ)[5] وقوله : (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)[6].. علماً بأن لأنواع التكريم الإلهي الخارق للعادة إصطلاحات معينة تعارف عليها العلماء، فما كان للأنبياء والرسل منها سمي (معجزة) بعد النبوة وإرهاصات قبلها ، وما كان للصالحين من غير الأنبياء والرسل من الرجال سمي (كرامة).

لقد اشار القرآن الكريم ، كما اشارة السنة المطهرة إلى بعض أنواع هذه الإكرامات أو العطاء غير المجذوذ الذي كان يمن به المولى على بعض عبيده ، فكان من جاء عنها :

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [7]

---

[1] (مجذوذ) اي لا ينقطع ، اشارة إلى قوله تعالى : (وأما الذين سعووا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض إلا ما شاء بك عطاء غير مجذوذ) سورة هود الآية (١٠٨)

[2] محظور ، أي ممنوع ، اشارة إلى قوله تعالى : (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) الاسراء الآية ٢٠

[3] سورة الجاثية الآية ٢١

[4] سورة ص الآية ٢٨

[5] سورة القلم الآيتان ٣٧ – ٣٨

[6] سورة الملك الآية ٢٢

[7] سورة آل عمران الآية ٣٧

- قوله تعالى : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾[١]
- قوله تعالى : ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [٢]

أما ما ذكر عن إكرامات في السنة المطهرة قوله صلى الله عليه وسلم : (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة)[٣] عيسى ، وكان في بني اسرائل رجل يقال له جريح يصلي جاءته أمه دعته ، فقال : أجيبها أو أصلي ؟ فقالت : اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات ، وكان جريح في صومعته فتعرضت له إمرأة فكلمته فأبى ، فأتت راعياً فأمكنته من نفسها فولدت غلاماً ، فقال : من جريح ، فأتوه فكسروا صومعته فأنزلوه وسبوه ، فتوضأ وصلى ، ثم أتى الغلام فقال : من أبوك يا غلام؟ قال : الراعي ، قالوا : نبني صومعتك من ذهب ، قال : لا ، إلا من طين[٤]. ومثل ذلك كثير في السنة المطهرة .

وبعد هذه المقدمة التي استندنا فيها على الكتاب والسنة لكي نصل إلى إكرامات الله تعالى لعبده (القريب) منها ذلك الطفل يعاني من جرح في الرقبة وصفه الطبيب بأنه سرطان ولا بد من عملية متعجلة وربما تنجح هذه العملية ام لا يعني الطبيب غير متفائل ، فخرجت به والدته إلى الشيخ (قريب الله) وقصت عليه القصة فقال لها إن شاء الله سيشفى ، والشفاء بيد الله ، فأخذ دواية من السكن والصمغ ومسح بها مكان الوجع وأمرها أن تذهب به إلى المنزل لا المستشفى ففعلت وعندما جاء الليل سمعت همس أصوات وصوت مقصات واشتمت رائحة دواء فلما استيقظت من نومها وجدت الورم قد زال الامر الذي أدهش الجميع حتى الطبيب وهذه الكرامة نشرت في جريدة (الرأي العام) عدد رقم (٧٦٦) الصادر يوم الجمعة ٢٨ جمادي الثاني سن ١٤٢٠هـ الموافق الثامن من شهر اكتوبر سنة ١٩٩٩م.

---

[١] سورة الكهف الآية ٢٥

[٢] سورة النمل الآية ٤٠

[٣] يقول الشيخ عبدالله الصديق في كتابه (الحجج البينات) ص ٢٩

[٤] كرامات الصحابة ص ٤٠ وجامع كرامات الأولياء ج١ ص ٨.

ومن بعض الاكرامات لسيدي الشيخ قريب الله ، أنه له تلميذ بالدامر يسمى عبدالوهاب أحمد المدني قد اصيب بقرحة وقد قرر الأطباء إجراء عملية له مع ضعف نجاحها ، وعندما رأى الشيخ قريب الله رؤية منامية يقول له قم فصل قال فقلت له لا استطيع ، قال فأنتهرني وعندما استيقظت وإذا بالساعة الثالثة صباحاً ، وعندما جاء الطبيب ليجري العملية وجدني سليماً فقال لي هل أخذت دواءاً فقلت لا قال ، ابشر أنت لا تحتاج إلى عملية . [١]

واختم هذه الكرامات بأن الشيخ قريب الله كان على فراش الموت وكان في أشد الشوق للقاء بابنه وخليفته (الشيخ الفاتح) الذي كان قد بعثه في مهمة صلح في الكبابيش فسرعان ما أتى المطلوب في الوقت الذي طلبه فيه الشيخ قريب الله ، فالتقى الأب بابنه واسرّ الأب له بأمورٍ روحيه وغيرها وعندها سلم وجهه لله تعالى راضياً بقضائه مبشراً به ولسان حاله ينادي :

سفرُ المريد إلى لقائك عيدٌ ** فالعيش حلوٌ دائماً ورغيد
ما ضره فقرٌ ولا ذلٌ ولا ** جوعٌ ولا عطشٌ ولا تقييد
هو في النعيم وليس يدريه إمرؤ ** عن حيٍّ سلمى مبعدٌ مطرود
ما الفقد إلا فقدكم يا سيدي ** عذنا بفضلك منه أنت حميد[٢]

وما ذكرته في هذا المجال هو قليل من كثير ، على سبيل التبرك لا الحصر ، فنسأل الله أن يمدنا ببركته ويسيرنا بسيره وجعلنا تحت لوائه لأنه من المفلحين إن شاء الله ، فمن كان تحت لواء المفحلين ضمن سعادة الدارين .

---

[١] من مذكرات الشيخ عبد الوهاب مسجلة بصوته ومدونة في اوراقه (من تلاميذ الشيخ قريب الله)

[٢] الرشفات رقم القصيدة ٤٣ ص ١٠٣

الباب الثاني

الموضوعات الشعرية

الفصل الأول (الموضوعات التقليدية)

المبحث الأول: المدح

المبحث الثاني: الوعظ والنصح والارشاد

المبحث الثالث: الفخر

المبحث الرابع: العتاب

المبحث الخامس: الوصف

المبحث السادس: الغزل

الفصل الثاني (الموضوعات المستحدثه)

المبحث الأول: الاجتماعيات

المبحث الثاني: التشطير

المبحث الثالث: المجاراة

المبحث الرابع: التصوف

الفصل الأول
الموضوعات التقليدية

تناول الشاعر الشيخ قريب الله بن أبي صالح في ديوانه الرشفات عدداً من الأغراض الشعرية ، كالمدح والرثاء والعتاب والنصح والإرشاد والإستغاثة والإبتهالات والفخر والغزل الرمزي والتصوف والوصف وتكاد تكون هذه الأغراض التي اكثر منها وعُرف بها في المديح النبوي لذا كان هذا الغرض أهم الأغراض التي تناولها هذا الديوان وسنبدأ بهذا الغرض لأهميته :

المبحث الأول: المدح:

استحوذ المدح على معظم هذا الديوان وهو أكثر الأغراض الشعرية انتشاراً في الأدب العربي قال عنه سامي الدهان : (هو في الثناء والإكبار والإحترام قام بين فنون الأدب مقام السجل الأدبي لجوانب من حياتنا التاريخية ، إذ رسم نواحي عديدة من أعمال الملوك وسياسة الوزراء وشجاعة القواد وثقافة العلماء فأوضح بعض الخفايا وكشف بعض النوايا وأضاف إلى التاريخ صادقاً أو كاذباً ما لم يذكره التاريخ)[١] وذلك فيما عدا المديح النبوي .

وشعر المديح كما أسلفنا بالذكر اكثر الأبواب إنتشاراً وشيوعاً بين شعراء العربية، وكل ذلك يرجع في أغلب الأحيان إلى أنه وسيلة كسب لدى أكثر الشعراء إذ يحاولون بهذا المدح ان ينالوا عطايا وجوائز الحكام والأمراء وغيرهم ممن يمدحونهم لذا كان لا بد من الإجادة والتحسين للقصائد حتى ينال الشاعر أكبر قدر من الجوائز.[٢]

ويقول العقاد عن شعر المديح : (فلا ضير على أعظم الشعراء أن يصوغ القصيدة في مدح عظيم يعجب به ويؤمن بمناقبه. ولا ضير على الأدب أن يشتمل على باب المديح بين أبوابه الكثيرة التي يعرفها الغربيون والشرقيون).[٣]

---

[١] المديح: فنون الأدب العربي ، الفن الغنائي (٤) بقلم سامي الدهان ، الطبعة الثانية ، جدة .

[٢] المرجع السابق ، المديح : فنون الأدب العربي ، ص ٥

[٣] حافظ إبراهيم شاعر النيل : الدكتور عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، ص ١٢٣

وشعر المديح في الأدب العربي يمكن تقسيمه إلى قسمين الأول منها هو الذي يمدح فيه الشعراء الملوك والأمراء والقواد والعلماء ومدح البلدان وغيرها.

أما الثاني هو المديح النبوي الذي يتحدث فيه الشعراء عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وعن صفاته الخُلقية والخَلقية وعن معجزاته والحديث عن الحوادث الإسلامية الكبرى كالحديث عن ليلة الإسراء والمعراج وهجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، والحديث عن غزواته " صلى الله عليه وسلم " .

والمدح من الفنون القديمة في الشعر العربي، وقد حدد بعض النقاد اتجاهات المدح وحصروها في بعض الفضائل وهي : (العقل ، الشجاعة، العدل، العفة).[١]

وقد ارتبط فن المدح بالقصيدة الجاهلية منذ نشأتها وأحتل الشاعر مكانة رفيعة في المجتمع الجاهلي ، ذلك لحاجة القبيلة إليه لتخليد مآثرها ورفع مكانتها بين القبائل الأخرى ، ولم يكن غرض المدح في العصور التي تلت العصر الجاهلي بأقل أهمية وانتشاراً منه، خاصة في العصر الأموي والعباسي بل كان أكثر جذباً للخلفاء والأمراء والحكام حتى بلغ الأمر ببعضهم أن يستأثر بشاعر معين فلا يذكر المتنبي إلا وذكر سيف الدولة مثلاً . فقد هيأت فترة الحروب الصليبية المناخ لبروز هذا الغرض الشعري وتفوقه فأحتل مكانة الصدارة بين الاغراض الشعرية الأخرى. فقد اتجه الشعراء في هذه الفترة إلى تخليد وتمجيد أبطال الحروب الصليبية فستثاروا حماسهم وهممهم وأعلوا من مكانتهم ، فأبانوا حميد خصائلهم من عزة وكرامة، ومجدوا انتصاراتهم على أعدائهم الصليبيين حتى يكون ذلك دافعاً لهممهم وتثبتاً لنفوسهم وإحياء لروح الجهاد.

وشاعرنا الشيخ قريب الله أحد الشعراء الذين لعبوا دوراً مهماً في مسيرة الجهاد ضد الإنجليز، فإنه قد لازم الإنجليز بالعدا وأعلن أمامهم قولاً وفعلاً استنكاره لما قاموا به من هيمنه عسكرية على البلاد الإسلامية مع قهر لأهلها وزرع لروح الولا، واستغلال لطاقاتها ، وصرف لشبابها وشيبها عن التمسك بدينهم والولاء لمعبدوهم.

---

[١] نقد الشعر: قدامة بن جعفر ، تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجة ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م ، الناشر مكتب الكليات الأزهرية ، القاهرة، ص٩٦.

فمن هنا بداء تمرده على الكفار الغذاة في مناسبات كثيرة كان مركزها (مسيده) من أم درمان حيث ناكفهم كتابةً وتحداهم فعلاً بعمل إسلامي كانوا يناهضون قيامهم، وقلل من قدرهم أمام من كانوا يغشون بأسهم ويسيرون في ركبهم وينفذون أوامرهم، فأضطر مندوب (الحاكم العام) وقد طرده الشيخ قريب الله من مسيده بعد أن أسمعه ما ينم عن احتقاره له – أن ينحني للعاصفة فيوافق مكرهاً على تنفيذ ما كان يرمي إليه شاعرنا سيدي الشيخ قريب الله من غرس الروح الإيمانية والخلقية في نفوس الشباب والأحباب تمهيداً للتحرر الاكبر عن ما سوى الله .

ونجد ان شاعرنا اهتم بالنوع الأول وهو المديح النبوي الذي يقول عن نشأته الدكتور الحسين النور : (لقد نشأ هذا النوع منذ نشأته وميلاده ووجوده " صلى الله عليه وسلم " في هذا الكون ولقد بدأ الأمر من الخالق جلَّ وعلا حينما خاطب نبيه في القرآن الكريم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] وحينما قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[2] وثبت في الحديث الشريف عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت : ﴿ كان خلقه القرآن ﴾[3] فهذه الإشارات وأمثالها في القرآن الكريم تزيد فضل النبي صلى الله عليه وسلم ، واقتداءاً بذلك ذهب العلماء لذلك المذهب في مدحه[4]

ولعل أقدم ما مدح به النبي صلى الله عليه وسلم ما نسب إلى أبي طالب عم الرسول (صلى الله عليه وسلم) يذكر فضله ويمدحه وذلك في قوله :

إذا اجتمعتْ يوماً قريشٌ لمَفْخَرٍ   فعبد منافٍ سرُّها وَصمِيمُها
وإن حصلتْ أشْراف عبد منافها   ففي هاشم أشرفها وقديمُها
وإن فَخُرَت يوماً فإنَّ محمداً   هو المصطفى من سرِّها وكريمها[5]

كما مدحه ايضاً بقصيدته التي منها البيت المشهور:

---

[1] سورة القلم – آية رقم (٥)

[2] سورة الأحزاب – آية رقم (٥٦)

[3] صحيح مسلم، ١٠، ٥١٢، ٧٤٦.

[4] من شعراءالمديح النبوي ، الدكتور الحسين النور ، الخرطوم ١٩٩٥/٧/٣م ، مطبعة جامعة الخرطوم ، الطبعة الأولى ، ص ١٢

[5] السيرة النبوية لإبن هشام ، تحقيق مصطفى السقا ، وآخرون ، ج ، مطبعة الباجي الجيلي بمصر ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م ، ص٢٦٩.

وأبيضَ يستسقى الغمامُ بوجهه   ثِمالٌ اليتامى عصمةٌ للأراملِ

وقسم البروفسير عبدالله الطيب المديح النبوي إلى أربعة أطوار إذ يقول في ذلك:(أطوار المدح النبوية على وجه التقريب لا الحصر أربعة أطوار طور الدعوة وطور السياسة وطور التعبد وطور النضج) [١] .

وأشهر شعراء الطور الأول شعراء النبي صلى الله عليه وسلم الثلاثة حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحه ، فقد ارتبط شعر هؤلاء الثلاثة بالدعوة إلى الإسلام والزود عن حياطه والدفاع عن النبي (صلى الله عليه وسلم) . ولحسان بن ثابت همزيته المشهورة التي قالها يوم الفتح :

عَفّت ذاتُ الأصابع فالجواءُ إلى عذراءَ منزلُها خَلاَء [٢]

وقال حسان في قصيدة نقض بها لامية ابن الزبعري التي يقول فيها :

ليت أشياخِي ببدرٍ شهدوا   جزعَ الخزرجِ من وقع الأسَلِ

فقال:

ذهبَتْ بابن الزبْعرِى وِقعةٌ   كان منّا الفضل فيها لو عدل

وقد نلتم ونلنا بسبكم وكذلك الحربُ أحياناً دول[٣]

إلى أن يقول مادحاً الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

رسولُ اللهِ حقّاً شاهداً يومَ بدرٍ والتنابيلَ الهُبُل[٤]

ولا بد أن نشير إلى شعراء مدحوا النبي (صلى الله عليه وسلم)في هذه الفترة ولهم قصائد مشهورة أولهم أبو بصير ميمون بن قيس الأعشى وهو صاحب القصيدة المبدوءة بقوله :

ألَم تَغْتمِضَ عيناكَ ليلة أرْمَدَا   وبتُّ كَمَا باتَ السليمُ مُسْهَدا

وفيها يقول مادحاً المصطفى (صلى الله عليه وسلم):

---

[١] المرشد إلى فهم اشعار العرب ومصفاتها ، ج٤، ص ٣١

[٢] سيرة ابن هشام ح١ ص ٤٣.

[٣] من شعراء المديح النبوي – ص ١٦

[٤] المرجع السابق ص ١٦

وآليتُ لا أرْثِى لَهَا من كَلالةٍ ولا مِن حَقىٍّ حتى تلاقِى محمداً
متى تُنَاجِى عند باب ابن هاشِمٍ تراحِى وتَلْقِى من فواضِلِه ندا
نبىٌّ يَرَى ما لا تَرَوْنَ وذكرهُ أغَارَ لعمرِى في البلاد وانْجدَا[١]

ومنهم كعب بن زهير صاحب اللامية المشهورة :

بَانَت سعادُ فَقلْبىَ اليومُ متبولُ متيمٌ إثرُها لم يفد مكْبُوُلُ

ومن الذين مدحوا النبي (صلى الله عليه وسلم) في هذه الفترة الشاعر النابغةُ الجعدىّ الذي وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم في جماعة من المشركين .

وقد كانت قصيدته في المديح من حيث المعاني ، والالفاظ وإن خالطتها بعض القيم الإسلامية إلا أنها لم تخرج عن روح العصر الجاهلي فمن ذلك لامية كعب التي أشرنا إليها سابقاً فنراه يبدؤها بالمقدمة النسيبة المعروفة ، ويمدح الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه بصفات تشبه الصفات التي تمدح بها الشعراءُ ساداتهم وكرماءهم[٢].

ويعتبر الشعر في هذه المرحلة من المصادر المهمة التي أرَّخت للسيرة النبوية وذلك من خلال ما قام به الشعراء من وصف المعارك وفي أثناء ذلك كانوا يمدحون الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويتحدثون عن شمائله ومعجزاته.

وفي القرن الثاني الهجري دخلت المدائح النبوية طوراً جديداً إذ وجدنا الشيعة في هذه الفترة يمدحون صلى الله عليه وسلم من خلال مدائحهم لآل البيت النبوي الشريف، ومن أبرز شعراء هذه الفترة الكميت بن زيد صاحب الهاشميات، ودعبل بن على الخُزاعي وغيرهم.

أما في القرن الثالث الهجري فقد قلَّ المديح النبوي إلا من محاولات لا تعدو أن تكون سرداً لأحداث السيرة النبوية وذكر الرسول (صلى الله عليه وسلم) من ذلك القصيدة التي نظمها أبو العباس الناشئ[٣].

أما القرن الرابع الهجري فقد خلا من قصائد المدح إلا قصائد متفرقة من ذلك ما مدح به أبو العلاء المعريّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

دعاكُم إلى خيرِ الأمور محمدٌ وليس العواليِ في القَنَا كالسوافِلِ

---

[١] سيرة ابن هشام ج١ ص ٢٦-٢٧

[٢] رسالة ماجستير عن الشيخ عبدالله محمد يونس – إعداد الطالب الضو عثمان التي نقلها من رسالة ماجستير عن الشهاب محمود الحلبي إعداد الطالب طلال الطاهر قطبي مكتبة جامعة أم درمان الإسلامية ١٩٩٦ – ١٤١٧هـ ص ٣٣.

[٣] المرجع السابق ص ٣٤

هداكمُ إلى تعظيم من خَلَقَ الضحى وشهبَ الرجاء من طالعاتٍ وآفِل

وحثَّ على تطهير جسمٍ وملبسٍ وغاضب في قذف النساء الغوافل

فصلى عليه كلما ذر شارفٌ وما فَتَّ مِسْكاً ذكرُه في المحافل[١]

وفي القرنين الخامس والسادس الهجريين ظهرت بعضُ القصائد التي تمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) تحمِلُ كثيراً من سمات المديح النبوي الناضج ولعل أقدم ما وصل إلينا من قصائد هذه الفترة رائية الزمخشري التي مطلعها :

قَاْمَتْ لِتَمْنَعنى المَسيرَ تماضرُ أنىّ لها وغرارُ عَزْمِى باترُ

شَاْمَتْ عَقَيْقَةُ عَزْمِى فَحَنِينُها رعدٌ وعيناها السحاب الماطِرُ[٢]

وفيها يقول :

بفناء بيت الله أضربُ قُبتي حتى يَحِلُّ بي الضريحُ الغابرُ

فَأقبّلُ الحجَر الممسح مُلصَقًّا خدي به وعليه دمعي قاطَرُ

فبذلك البيت المطهّرِ طائفٌ في ثوْبَي الإحرامِ اشعثُ حائرُ[٣]

وهذه القصيدة تعد كما أشار البروفسيور عبدالله الطيب أقدم ما عرف من شعر المديح النبوي التعبيري .

أما في القرن السابع الهجري فقد وصلت القصيدة النبوية إلى مرحلة النضج والإكتمال بعد أن أسهمت في تكوينها عناصر أهمها التصوف الذي أمدها بأذواقه ونظرياته وشاعت معاني الزهد والتصوف من ذم للنفس وترك للدنيا وتحقيرها[٤].

وبرز في هذه الفترة من شعراء المديح النبوي الإمام البوصيري والإمام الصرصري البغدادي ومن شعراء الرمز سلطان العاشقين ابن الفارض ، ومن بعده في القرن الثامن الهجري كان هناك الشهاب محمد الحلبي وشمس الدين الأندلسي والصقر الحلبي .

---

[١] اللزوميات، أبو العلاء المعري ، ج٥ ، بيروت –١٣٨٠هـ – ص ٣٢٢

[٢] المرشد ج٤ ط٢ .

[٣] من شعر المديح النبوي ص ٤١–٤٢

[٤] رسالة ماجستير عن الشيخ عبدالله محمد يونس ص٦١.

وفي القرن التاسع كان البرعي اليماني ، وقد كثر شعراء المديح في الفترة من القرن السابع حتى العاشر فبجانب من ذكرناهم سابقاً نذكر الوتري[1] والفاذاني والطرائفي وغيرهم .

وينقل الدكتور الحسين النور عن النبهاني قوله : (أعلم أن مداح النبي صلى الله عليه وسلم في كل عصر كثيرون لا يحصيهم عدد ولا يحيط بهم حد ولو جمعت مدائح أهل عصر واحد منهم لبلغت عدة مجلدات وكثير منهم نظموا في ذلك دواوين على أنحاء مختلفة فمنهم من التزم في شعره أمور لا يتلزمها البعض كالوتري والطرائفي).[2]

أما شعر المديح النبوي في السودان فقد بدأ مبكراً منذ دولة الفونج حيث كان هناك من الشعراء الذين نظموا قصائدهم في مدح مشايخهم ومن خلالها مدح المصطفى (صلى الله عليه وسلم) منهم الشاعر اسماعيل بن مكي الدقلاش[3] وله قصيدة في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) أوردها ود ضيف الله بيتاً واحداً وهو قوله :

إنىِّ رأيتُ في ليْلتيِ في منامِى خيرَ البريةِ ضاحكاً مستبشِراً[4]

ثم تطور بعد دولة الفونج المديح حتى وصل إلى مرحلة النضج إذ وجدنا شعراء سودانيين لا يقلون شيئاً من شعراء المديح خارج السودان . والملاحظ عن شعر النبي (صلى الله عليه وسلم) في السودان ينقسم إلى قسمين من حيث اللغة ، فمنه ما نظم باللغة الدارجة ومنه ما نظم باللغة الفصحى ، وهناك عدد من شعراء المديح السودانيين الذين أثروا المكتبة السودانية بروائع شعر المديح النبوي ، وظهرت عدة دواوين شعرية

---

[1] الوثري هو : أحمد بن محمد الوثري الشافعي الرفاعي ضياء الدين ابو محمد الموصل الأصل البغدادي الدار المصري الوفاة ، شيخ فيه فضل وصلاح وله ارصفة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين ، وهو صاحب القصائد الوترية المعروفة.

[2] من شعراء المديح النبوي ، ص ٤٥

[3] الشيخ اسماعيل بن مكي الدقلاش (صاحب الربابة) شاعر وحافظاً للقرآن الكريم وعالماً ودارياً للفقه والتوحيد . جمع بين الشعر والتصوف وبين العشق الإلهي وله من المؤلفات كتاب (طريق اهل الله).

[4] معجم أدباء السودان ج١، تأليف مجموعة من الأدباء ، الهيئة القومية للثقافة والفنون – ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م ، ص ١٤

لعدد من الشعراء كالأستاذ الشيخ عبدالحمود (بطابت) وأستاذي الشيخ قريب الله الذي أكتب عنه والمادح ود سعد، وولد ابي شريعة والشيخ حياتي والشيخ مجذوب الشيخ عبدالله الذي صدر له ديوان (الدر النظيم في مدح النبي العظيم) صلى الله عليه وسلم[١].

بعد هذه المقدمة عن شعر المديح النبوي وتطوره نتحدث عن شعر المديح عند شاعرنا وأستاذنا الشيخ قريب الله ، ونرى أن شعر المديح عنده ينقسم إلى قسمين الأول منهما مدح نبوي ، والثاني في مدح أناس لهم صلة وعلاقة بالشاعر .

أولاً : المدح النبوي :

هو أكثر الأغراض نظماً عند شاعرنا حتى يمكن ان نطلق عليه مادح الرسول (صلى الله عليه وسلم) فلا يقل مكانة عن سابقيه في هذا المضمار وقد نظم شاعرنا قصائد كثيرة في مدح المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وألف في ذلك دواوين عديدة بلغةٍ عربية فصيحةٍ وذلك لإمتزاج روحه بحب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) . والمعروف عن هذا الشيخ ان مدح المصطفى هو شاغله وهمه ومن مدحه يعلن انه سيظل مادحاً للرسول (صلى الله عليه وسلم) ما بقي في هذه الدنيا.

وشاعرنا في مدحه للمصطفى (صلى الله عليه وسلم) سار على نهج شعراء المديح القدماء ، فسمات قصيدة المديح النبوي واضحة كل الوضوح، فالشوق والإخلاص والمحبة الصادقة أقصى ما يصاحب الشعر النبوي الذي عادة يبدأ بالنسيب وذكر الديار والشوق والإخلاص ، وأحياناً يذكر المطايا والدواب والرياح والبروق فمن بين أمداحه للنبي (صلى الله عليه وسلم) تلك الأبيات التي نظمها الشاعر عند زيارته للنبي (صلى الله عليه وسلم) فكانت هذه الأبيات من ذلك الفم واللسان المعطرين بعطر وعنبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث أنه قال :

قصدتُ رسول اللهِ و هو منائي ومَقْصدَ آمَالي وكنزُ رَجَائِي
حَطَطْتُ رِحالِي وأرْتميتُ ببابه وأنهيتُ سيري عنده وسُرائي
تفاقمَ دَائِي فالتجأتُ إليكموألا يا رسولَ الله جد بِشفَائي

---

[١] أنظر من شعراء المديح النبوي ، ص ١١٥

فلولاكَ ما كنّا ولا كانَ كائِنٌ أيا خيرَ من فوقَ الثَّرى وسماء
فأنتَ شفيعٌ المذنبين محمدٌ أقِل عَثْرتى وأذن برفع بلائى
عليه صلاةُ اللهِ ثم سلامُهوآلٍ وأصحابِ لكم عظماء[١]

فنجده في هذه الأبيات قد علّق آماله بيد البشير وشكا حاله إليه فنعم المشتكى إليه (صلى الله عليه وسلم) . ونراه في قصيدة أخرى يمدح المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وأنه لائذ به وطالباً منه الغوث العاجل والشفاعة التي خصه الله بها دون الرسل والأنبياء الآخرين وهذا شرف للأمة المحمدية يوجب الحمدَ والشكر بنبيها (صلى الله عليه وسلم) فقال :

يا أكرمَ الخلقِ لا مولى نلوذُ به إلاك يا خيرَ من يُغْنِى عن الطلبِ
أنتَ الشفيعُ وأنت الذخرُ يا سيدي أنت الوليُّ وأنت الغوثُ في الكُربِ
الحالُ ضاقَ بنا من أزمةٍ نَزَلَت شديدةُ البأس والتبريح والعطب
فامددْ يديكَ بتفريجٍ ومرحمةٍ قبل الهلاكِ فمن ناداكَ لم يَخِبِ
صلى عليك إلاهى دائماً أبداً والآل والصحب أهل الرفد والقربِ
والحمدُ للهِ حمداً لا انقضاءَ له أرْجُوه بالفَضل يُغنيني عن السبب
والشكرُ للهِ شكراً لا انصرامَ له مدى الزمانِ مدى الأعوامِ مدى الحقب[٢]

---

[١] رشفات المدام للشيخ المترجم له ، ص ١٧

[٢] المرجع السابق ، ص ٣٥

ثانياً : المدح العام :

بعد أن تحدثت عن مدح المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ، أودُّ هنا أن أقف على قصائد مدح أخرى للشاعر لكنها ليست من المدح النبوي وإنما هي نوع آخر للمدح عن شاعرنا يمكن أن نطلق عليها المدح العام غير النبوي .

وهذا النوع من القصائد التي نظمها الشاعر في مدح شخصيات تربطها علاقةٌ بالشاعر ، وهذه الشخصيات إما من أهل التصوف ، أو العلم أو السياسة ، فهي قصائد كثيرة . فمن هذه القصائد تلك التي مدح بها جده (سيدي الشيخ أحمد الطيب بن البشير) التي تحدث فيها عن جدِّه بأن طيب معطر لكل من أراد ذلك حيث يقول :

طيّب فؤادَك بالأريجِ الطيِّب من أحمد نجلِ البشيرِ الطيب[1]

وأيضاً من الذين مدحهم الإمام محمد أحمد المهدي (رضي الله عنه) وفي هذا المدح دلالة واضحة على صدق الشاعر وأمانته العلمية ومسيرته القاصدة لله وذلك لأن الإمام محمد أحمد المهدي هو سماني الطريقة بل من تلاميذهم واتباعهم حيث إنه أخذ الطريقة على إبن عمه الاستاذ الشيخ محمد شريف ود نور الدائم (رضي الله عنه) ومع هذا يمدحه قائلاً:

شَوقِي إلى المهدى الإمامِ الهادي   زاكي الخِصَالِ الراكع السجّادِ
القانت الأواه في غسق الدجى   الخاشعِ الداعِي إلى المَيْعَادِ
الزاهد التالي المراقِبِ ربَّه   الخاضع المتواضِع الجوّاد
ليثِ اللُّيوثِ الفارسِ البطل الذي   يومَ اللقا لِم يخش من آسادِ[2]

ومن الذين مدحهم شاعرُنا ذلك الورع السيد سر الختم السيد محمد عثمان الميرغني حيث إنه مدحه بقصيدة تزيد عن المائة بيت ذكره فيها بكل صفةٍ حميدةٍ كيف لا وهو نجل الرسول المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وسوف نذكر منها ما يدل عليها:

---

[1] رشفات المدام للشيخ المترجم له ، ص٤٧٠

[2] المرجع السابق ص ٤٣٩.

أنْخَ الفؤاد بكعبةِ الاحسانِ   قطبُ الوجود الميرغني عثمان

نجلَ الرسولِ محمدُ خير الورى   غوثَ البريةِ إنْسُها والجان

السيدُ البطلِ الشهيدِ أخَى النَدَا   من حُبُه فرضٌ على الأعيان

لا تعجبُوا فهو القريبُ من النبي   ومحبةٌ القُربى من الإيمان

ونجده في قصيدة أخرى يمدح جده الغوث الشهير (سيدي احمد الطيب بن البشير) مبيناً فيها أنه (لا فتح رباني على كل وليّ إلاّ بواسطته رضي الله عنه) .

وما قُلتُ هذا القولَ عنيِّ   وإنما رويناه عن قوم جبالٍ شوامخ

أي أن هذا الكلام أثبته سيدي الاستاذ الشيخ عبد المحمود ود نور الدائم (رضي الله عنه) في كتابه أزاهير الرياض، فمن هنا نجد شاعرنا قال في جده رضي الله عنه :

طيّبُ القومِ أبا الأعلامِ   طيبنا من الآلامِ

فقدْ طَابَتْ بك الأيامُ   وسّرْ بنا إلى العلاّم

ألا أنْشِلْنا من الأوحالِ   كذا ولِتُصْلح الأحوال

نجد من صالحِ الأعمالِ   مقاماً يَحْبطُ الآثَام

طيب القوم تداركنا من الأوَحالِ خلِصنا

كذا يا جد طيْبَنا   بطيب السادة الأعلام

طيبُ القوم لقد تُهنَتا ولولا فضلهُ ضَعْنا

طيبُ القوم لكم بُحنا أقْبَلُونا أبا الأعلام

أبا محمودِ يا سيّار   بكم قد تحصل الأوطار

إليكُم نشتكِى الأوزار   فأنتم نُصْرةُ الاسلام

ألا فألفني وأدْركنا وبالإقبال سيرنا

وسلْ مولاك يَقْبلنا   ويُخْرِجنا من الأوهام

وشكراً لِلَذي أوْلَى نوالا منه لا يَبْلَى

وهَا قَدْ زَادَنِى فَضْلا   وإحساناً من الإنْعام

وصلى اللهُ موْلانا   على المختارِ ملْجَانا

وأصحاباً وأعواناً   أُوْلِى المجدِ والإكْرام[1]

وقد أورد شاعرنا قصيدة يمدح فيها استاذ الطريقة وصاحب الحقيقة ومربي الخليقة العابد الهائم القائم الشيخ عبد المحمود ود نور الدائم قائلاً :

محمودً سيدُنا عليكَ سلامى يا طيب الأفعال والإقْدام

ذهبتْ لياليكُمُ بأحسن سيرة في الله في الإقدام والاحجَامِ

واليوم أنتم عنده في داره سبحانُه ذو الخير والإنعامِ

رُضْوانُه يغشاكمُ ما دمتمو في جنةٍ الرُضوانِ والإكرام

واليه نضرعُ أن يجيب دعاءنا   فضْلاً ويحشُرنا مع الأقوام[2]

الشعر التعبدي (الدعاء والتقديم والإبتهالات):

يعتبر هذا النوع ثاني الأغراض نظماً عند شاعرنا فنجده قد نظم كثيراً من القصائد خاصة بهذا النوع فمن بين ذلك قصيدته التي نظمها بالأسماء الحسنى إمتثالاً لقوله تعالى : ﴿ وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ . حيث صاغها صياغة ممتازة صياغة تعجز غيره من فحول العلماء ولم يوجد أحد مثله نظم كما نظم شاعرنا فإنه قد سلسلها بقلب خالٍ من عوج، ولسان طهور حالي الشرب حتى ان القارئ يحس بحلاوة الإيمان وبنور قذف في قلبه وفي ذلك إشارة إلى أن شاعرنا نهج نهج آبائه وأجداده وخاصة شيخه الاستاذ الشيخ محمود بن نور الدائم تلك الدوحة العلمية التي تفرع منها الشيخ قريب الله الذي يقول :

بدأتُ بسم الله في أولِّ الذكر   وأردفتُ بالحمد الجميل وبالشكر

وصليتُ في التالي على خيرِ خلقه   محمدٌ والآل الجحاجحة الغر

---

[1] رشفات المدام ص ٣٤٦

[2] المرجع السابق ص ٣٢٥

وادعوكَ يا الله يا مبدع الورى يقينا وتثبيتاً كما جاء في الأمر
سألتك يا رحمن نظرة رحمة وأنت رحيم فأكشفن أزمة الضُر
ويا مالكاً للنفس أياي ملكن وقدس أيا قدوس سري عن الغير
سلام فسلمنا جميعاً من الضنى ويا مؤمن جد لي بصدق أبي بكر
مهيمن أشهدني جمالك سرمدا عزيز أتينا بالمذلة والفقر
وإنك جبار وإني كما ترى كسير أسير بالذنوب أجبرن كسري
(وكبر شؤني فيك يا متكبر) وخالق الأكوان جد لي بالسير
ويا بارئ الأنفاس أنت مصور رجوتك أسرع بي لداعيك كالطير
ويا رب غفار فأغفر ذنوبنا وعمر لنا الأوقات مولاى بالذكر
ويا رب يا قهار فأقهر عدونا من النفس والشيطان والأحمق الغر
وهب لي أيا وهاب علماً و نهضة وجمعاً بكم يبقى إلى ساعة النشر
ويا رب يا رزاق رزقاً مطيباً وصرف له في أوجها الرشد والخير
ويا رب يا فتاح فأفتح بصيرتي بعلم وعرفاناً لسيدنا البكرى
عليم بحالي راحم لشكيتي دعوتك ألبسني بكم حلة الستر
(ويا قايض أقيضنا على خير حالة) ويا باسط الأرزاق في البر والبحر
(ويا خافض أخفض لي القلوب تحبباً) وجد لى سير مثل سيدنا البصري
ويا رافع أرفع لي لديك مكانة وذكراً لديكم بالثناء طيب النشر
معزاً أتيت الباب بالذل ضارعاً فقيراً حقيراً باسطاً راحة الفقر
وأنت مذل ذل النفس كي تقي بأمرك يا مولاى في اليسر والعسر
سميع بصير فاصرف السمع نحوكم كذا بصري والقلب دوماً عن الغير
ويا حكم يا عدل أشكو لعزكم عداوة نفس وانطواها على الشر
لطيف بحالي أنت يا خير راحم خبير بها لا زالت تنعم بالبر
حليم عظيم جل شأنك ربنا غفور شكور انت اجدر بالشكر
على كبير ليس يوصف كنهه حفيظ مغيث أشبع الروح بالذكر
حسيب جليل أنت لا زلت حسبنا فصن وجهنا عن غيركم بأولي امري

كريم رقيب يا مجيب أجب لنا دعاء رجوناه زمناً من الدهر
فإنك بي أدرى وأعلم ربنا فانجز لنا وعداً لنظفر بالنصر
تفضل علينا في الرحيل لقدرنا واثلج لصدري بالوصال من الحر
وتب وتقبل وارحم رب ضعفنا ومن بأس من معتقة الخمر
لنفني بها عن ما سواكم محبة ونلقى بها بعد الوفى سرعة السير
سكارى حيارى غائبين عن السؤال وحيلتنا الاذعان للنهي والأمر
(ويا واسعاً وسع لنا العلم والعطا) حكيم ودود مكن الود في السر
مجيد فبتلنا لتمجيد ذاتك ويا باعث ابعثنا على الدين في الحشر
شهيد فأشهدنا جمالك طاهراً ويا حق حققنا بما جاء في الذكر
(وكيل توكلنا عليك بك ألفنا) واشكو اليك السقم يا ذا العلا فأبر
(قوي متين قوي عزمي وهمتي) ولي حميد جل حمده عن حصر
يا محصي يا مبدى الورى ومعيده ويامحيي أحي القلب كي نحوك يسري
مميت أمت نفسي عن اللهو و الهوى ويا حي يا قيوم قوم بك أمري
ويا واجد يا ماجد أنت واحد ويا واحد خلص فؤادي من الأسر
ويا فرد أفردني إليكم من السوى ويا صمد فاشرح بأنواركم صدري
(ويا قادر اقدرني على صدمة العدى) ومقتدر فرغ لخدمتك سرى
مقدم كن لي حيث كنت مقدماً وكن لي من الأسواء في السر والجهر
مؤخر آخر كل من رام كيدنا وكف يد الأعداء بالبيض والسمر
ويا أول يا آخر أنت ظاهرٌ ويا باطن حف الفؤاد عن الغير
ويا والياً لا زلت تولى عوائداً ويا متعالي أرحم وأعل بك قدري
(ويا بر يا تواب جد لي بتوبة) نصوح بها يمحى العظيم من الوزر
ومنتقم رب انتقم لي من العدا عفو رؤوف جد بعفوك والبر
ويا مالك الملك العظيم تظهره ويا ذا الجلال اشغل بخوفكم فكري
ويا مقسط لا زلت تعفو عن الورى وتمنح من يدعوك خيراً بلا حصر
ويا جامع فأجمع شتات قلوبنا وطيب بكم زي البقايا من العمر

(غني ومغن أغتنا بك سيدي) ويا مانع أمنعنا مخالفة الأمر

(ويا ضار ضر المعتدين بظلمهم) ويا نافع أنفعنا بأنوارك الزهر

(ويا نور نور ظاهري وسرائري) وهاد لنا فأهد طريق أولي الشكر

بديع فعلمنا بدائع الحكمة ويا باقياً أبقنا فيك للحشر

(ويا وارثاً ورثنى علماً وحكمة) رشيداً فأرشدنى إليك على خير

صبور فجد بالصبر في كل حالة كذاك اختم لنا يا ذا العلا منك بالخير

وبعد أن أنتهى من الدعاء بالنظم على الاسماء الحسنى ختم هذه القصيدة بدعاء عام مع الابتهال المخلص قائلاً :

باسمائك الحسنى اتيتك ضارعاً بها أرتجي حسن الأنابة في العمر

بعلم وتوفيق بشرع محمد عليه الصلاة والسلام من البر

وعفواً وغفراناً وحفظاً من لعنٍ وابدال عسر باليسر مع الستر

وحفظاً لأولاد وأهل وصاحب ودين وعرض من فضيحة ذي سحر

ألا وأرض عن ساداتنا اطيب الرضا كأحمد والدرديري والحفنى والبكرى

كذا العارف السمان والطيب الآلى بهم نرتجي من ربنا الجد في السير

ومحمود من حنت إليك ركابه بشوق كما حنت طيور إلى الوكر

وصل وسلم ثم بارك وعظم نبيك خير الخلق من جاء بالبشر

وآل وأصحاب كرام و تابع واختم قولي بالثناء و بالشكر

ثناء جميل فائق متقبل يضوع له عرف يفوق على العطر

الله يا رحمن يا رحيم يا مالكاً لما لـه أروم

قدوس قدسنا من الأوزار سلام سلمنا من الأشرار

يا مؤمن مهيمن اشهدني اياك يا حسبي ولا تبعدني

عزيز يا جبار فأجبر كسري متكبر يا خالق للأمر

يا بارئ مصور و غفار قهار من سواكم يغار

وهاب يا رزاق يا فتاح عليم طرفنا لكم طماح

يا قابض يا باسط خافض أخفض عدوا للحداء رافضنا

يا رافع معز يا مذل … ذلك لنفسي كي لكم تحل
سميع يا بصير أنت الحكم … اشكو اليكم من بظلم حكموا
يا عدل يا لطيف يا خبير … الطف بنا بخيرة تسير
حليم يا عظيم يا غفور … شكور يا عليٌّ يا كبير
حفيظ يا مقيت يا حسيب … جليل يا كريم يا رقيب
مجيب يا واسع يا حكيم … فأشف الفؤاد إنـه سقيم
واحفظ خواطري عما سواك … واصرف إليك القلب كي يراك
والطف بنا في ما ترى وتعلم … فأنت حي أدرى وأنت أعلم
ودود يا باعث يا شهيد … ويا من لديك الفضل والمزيد
يا حق يا وكيل يا قوي … ويا متين الحفظ يا ولـي
حميد محص مبدئ معيد … يا محي يا مميت يا مريد
يا حي يا قيوم أحي قلبي … فأنت مقصودي وأنت حسبي
يا واجد يا ماجد يا واحد … يا من لك الأكوان كل ساجد
يا أحد يا فرد أنت الصمد … فمالنا مـن دونكم مستند
يا قادر مقتدر مقدم … قدم أموري فيكم لا تحجم
مؤخر يا أول يا آخر … أخر هوى غايتـه المناكر
ويا ظاهر يا باطن يا والي … متعالياً أعل بكم أحوالـي
ويا بر ياغفور يارؤوف فأرافن … بحالنا طُراً إلهـي والطعن
يا مالك الملك الذي لم ينفذ … يا ذا الجلال والجمال الأبـدي
يا مقسط يا جامع أجمع قلبي … ومن يودنا وكل حسب
عليك في الحياة ما بقينا … وبعد موت وجهكم ترينا
غني يا معني بكم فلتغن … لنا وعـن سواك أفن
يا مانع يا ضار أنت النافع … ما من سواكم تطلب المنافع
ونحن نحن لا نزال الفقراء … بل الضيوف للفراش والقرا
وأنت رب الدار الكريم … بل الغنى القادر الرحيـم

وأنت أنت ذو الغنى ما زلت ولم تزل ولا تزال أنت

الدائم المعروف بالإحسان الفاخر الموصوف بالغفران

فكم أسأني عامداً عليك وكم رأيت العطف من لديك

لو لم يكن حلمك ما كنت أرى بالباب واقفاً ولا نلت القرى

ولا ودت نحوكم سبيلاً لا منزل آوى ولا مقبلاً

يا بر يا رؤف يا رحيما من الورى أحمياً

وكنت بين الناس كالمعدوم أو كالذباب القذر المحروم

فالحمد والشكر لكم دواماً عليهما يبلغنا المراما

ولم أزل أرى على السفساف وما أنا مثل النقي الوافي[1]

---

[1] الرشفات ص ٤٢٢.

المبحث الثاني: الوعظ والنصح والارشاد

بعد أن فرغ الشاعر من قراءة القرآن الكريم والعلوم الدينية تفرغ بعد ذلك إلى تربية وإرشاد المريدين ومن ثم نتج هذا الغرض من شعره ليعينه على أداء رسالته .

وقصائد هذا الغرض تكاد تنقسم إلى قسمين ، منها ما هو عام ومنه ما هو خاص أو منها أسلوب يخاطب فيه عامة الناس مباشرة ويتوجه اليهم بالنصح والارشاد، والثاني يجعل من مخاطبة نفسه مستنهضاً لها عند تقصيرها متخذاً من ذلك مخاطبة لجميع الناس ، يقول في أحدى قصائده :

كفاكَ قَعُوداً في الديار الدنية ... توجه إلى المولى بصالح نية

فَعُمْرُك ضاعَ الجلُّ منه فكم ... يقينٍ قوىٍّ من حصول المنية

وعمِّر بذكر اللهِ وقتَك دائماً ... تجده قرباً منك ربُّ البرية

ودَعْ نفسَ سُوءٍ قد دعتك إلى الردى ... وأنت لها تحنو حنو الولية

وجاهد تُشاهدْ وأترك النوم والونا ... فَذَا دأبُ أرباب النفوس الذكية

وخلِّ الهَوَى واهْرَع إلى الله تابعاً ... لطه تعزْ منه بخير معية

ولا تبرحن عن شرع أحمد لمحة ... إذا رمتَ تنْجُو من حُلولِ البلية

عليه صلاة اللهِ ثم سلامُه وآل وأصحاب أهيلَ المنية

وحمداً لك اللهم في كلِّ طرفةٍ ... وشكراً أيا مولى الهبات السنية[(١)]

فالأبيات السابقة يخاطب فيها الشاعرُ نفسه لكنها تصلح أن تكون خطاباً لجميع الناس فالشاعر الشيخ قريب الله في أغلب قصائده عندما يعظ نفسه ويرشدها تجده يجرد من نفسه شخصاً آخر ثم يخاطبه وهي عادة معروفة عن شعراء العربية من ذلك أيضاً قصيدته المبدوءة بقوله :

الإعتصام بحبل الله مَنْجَاةٌ ... من الهلاك فلا تَغْرُرك حالاتُ

---

(١) الرشفات ص ٦٤

تبدو لمن لا يرى في العين رائعة	وإنما هي للجُهاّلِ غَرَاتُ
المعتُ بِكْشفُها لِلجاهلينَ بها	عند النِزَاع وقَدْ تبدو الندامات
اسْمَعْ نصحتُك لا تركنْ إلى أحدٍ	دون الكريم فتُزْ ديك البَلياتُ
وكن بربكَ يا هَذَا على ثقةٍ	الرزق منه فتأتيك الكفاياتُ
واحفَظْ أوامره يَحفظُك من محنٍ	في مدة العمر جاءتنا الكفايات
فمن يَدينُ بإحسانٍ يدان به	ومثلُ ذلك في المخلوق عاداتُ
ومن يُعَامِلْ بالمعروفِ يغمرهُ	من المُعَامَل معروفٌ وخيراتُ
كما تُعامِل أخواناً و تخذلهم	عامِل إلهكَ تأتيك المسراتُ
وراقب اللهَ في الأحوالُ أجْمَعُها	فِعْلاً وقَوْلاً تؤاتيُك المناجاتُ
والله واللهِ إن الخلقَ أجْمَعُهم	لن ينفعوك إذا لم تأذن الذاتُ
ولن يضروك دون الله جُمِعُوا	ليأخذوك رعاةٌ أو رعياتُ[١]

ولـه قصيدة أخرى حث فيها الشاعر نفسه التي جردها وطوّعها على الإجتهاد والكدر والمداومة عليه قائلاً :

ذكر المُهيمن بَهجْتي وضيائي	وجلاءُ كُرَبى وإنكشاف بلائى
هو عُدتِى وذخيرتي ووسيلتي	ومهندِى إن أعدّت اعْدَائِى
مالي سواهُ في الحقِيقةِ حَيْلة	لِزَوال ضدٍّ أو بقاء هناءِ
لا فَهْمَ لى كل ولا مال ولا	ركنٌ ألوذُ به من الأسواءِ
ما لِى بَراحٌ عنه في صِغَري	ولا كِبَرى ولا سَوْآى ولا سَراءِ
عَيْشى به عِزى به بَسْطى به	وبه أصولُ بشدَةٍ ورخاء
الله أشكرُ حيثُ وفقني له	وعليه لا يُحْصَى جميلُ ثنائى
ثم الصلاةُ على النبي محمدٍ	والآلِ من همْ في الظلام ضيائي[٢]

---

[١] الرشفات ص ٦٥

[٢] المرجع السابق ص١٧

وله قصيدة أخرى يعظ فيها نفسه بالاجتهاد وعدم التكاسل وداعياً فيها للعلم والتعلم مع العمل قائلاً :

أهل المهيمن سارُوا والسِوى رقدوا عن الدعوب له ياَ لَيتهم وفدوا
وحاصلُ الأمر أن الناس لو عَقَلوا فإنه عسلٌ أي عِنْدَ من وجَدُوا
والسيرُ إن كان مراً في أوائِله لَما وَنَوا عن جنابِ الحقِّ واتأدوا
فاتركْ لنومِكَ يا هذا تذق عسلاً وأخشَ الندامَة في يوم به وُعِدوا
والله واللهِ إن السائرين لهم حظٌ لدى من له في الليل قد سَجَدْوا
دُعاءُهم مستجابٌ كلما سأَلوا وفي القيامةِ شفّاعٌ لمن وردوا
فاستَمسِكُوا بحبال الله يا فُقرا ولتعبدُوه ألا يا فوزِ من عَبَدُوا
وصلى ربيٍّ على المختار سيدنا والآل والصحبِ هم لِيَ الكنزُ والسند
والحمدُ للهِ حمداً دائماً أبداً والشكرُ للهِ في الأنفاسِ يَطرِدُ[١]

وله قصيدة أخرى حث فيها الشاعرُ نفسه وبيّن فيها أن الخير والشرَ كُله من الله عزّ وجل ويجب على كل العبيد أن ينسبوا الأمر له في السراء والضراء قائلاً:

دَعِ الإرادةَ للهِ المريد ولا تكن مريداً لشيءٍ تُحرمِ المددا
وسلِّم الأمرَ للمولى بأجمعه تُحظى بخيرٍ جزيلٍ دائمٍ أبدا
ولاحظْ الحضرة العُليا تكن رجلاً إلى الحقيقة بل والشرع مستندا
إياك إياك أن تمِشي بِغير هُدى وأن تمد بغير الإذن منه بدا
وإحذرْ وحاذِر وكُن بالشرعِ مرتبطاً وقل لمولاك يا مولاي هيأت شدا
واياك والذُنوبَ اللواتي منك قد سبقت لعل ربك يستريك كالعدا

---

[١] الرشفات ص ١٤٤

واشغل عُميرك بالأوراد محتسباً	من ربك الأمر إن الله قد وعدا
وراغب الله في الأحوال أجمعها	واشهده معك فإن الحرّ من شهدا
واذكر فراقك للدنيا و زينتها	وتركك الأهل والأزواج و الولدا
ومضجعاً بطن قبر لا أنيس به	بحيث كنت غريب الأهل منفردا[١]

والملاحظ على كل قصائد الوعظ والارشاد إن كانت عامة ، أو خاصة فالشاعرُ يدعو يها إلى التحلي بالأخلاق الحميدة والمداومة على الذكر وقيام الليل، التزام التقوى والطريق القويم وغير ذلك من الصفات الحسنة مما يوضح لنا كيف استطاع أن يوظف شعره لخدمة رسالته .

---

[١] المرجع السابق ص ١٠٤

المبحث الثالث: الفخر

وهو أحد الأغراض الرئيسية في الادب العربي إذ لا يخلو عصر من عصور الأدب من هذا الغرض.

والشاعر الشيخ قريب الله رضي الله عنه له قصيدة يفتخر فيها بسلفه الصالح وبعلمه وأدبه وإنه لنعم الافتخار. إذ نراه يقول :

يا من تطيب بذكركم أوقاتي	منوا على واجمعوا أشتاتي
وصلوا الحبال بكم وجودوا باللقا	وتفضلوا بالعفو عن زلاتي
ولتحملوني عن جناح نوالكم	ولتلحقوني بسابق السادات
ولتقطعوني عن سواكم جملة	ولتسكروا قلبي بحب الذات
كى استقيم كما أمرت بشرعكم	واحجُّ من عرفاتِكم عرفاتي
وأشمُّ من أعراف رونقكم الشذِى	عرفاً بنشقته تطيبُ حياتي
حتى أرى ما لا يَمُرَّ بخاطري	من حسن ألطاف وخير هبات
حتى أكالمُ في الضميرِ وتتجلي	شمس الحقيقة لي بعينِ الذات
حتى أرى إلا أرى إلا كمو	في الفعل والحركات و السكنات
وأقبل بحقِ محمدٍ ما قد جرى	بلسانٍ مفتقرٍ إلى الصدقات
صلى عليه الله جل جلاله	والآل والاصحاب والقادات
والحمدُ والشكر الجميل لربنا	مولى الوصال ميسر القربات[1]

وفي قصيدة ثانية يتفتخر الشاعر بالفتح الرباني الذي إنهال عليه هبة من الله فزال ما به من حرج فأصبح أهلاً لذلك الفتح وكيف لا وهو حفيد من فتح الله به قلوباً غلفاً وآذاناً صُماً وأجلى به صدً كثيراً هو جده سيد العارفين وإمام المحققين وهادي الضالين من

---

[1] الرشفات ص ٥٢– ٥٣

صحب النزير ذو الفيض الغزير سيدي الشيخ أحمد الطيب بن البشير (رضي الله عنه) حيث إنه يقول :

الحمدُ لله ثم القصدُ فابتهج وزال عن خاطري ما كان من حرج

وجنةُ الخلد زارت للفؤاد فيا لله من مُجتنى داني الجنا ارج

اعكف عليها ولا تطلب بها بدلاً فهي المنى وهي روض الغوث و الفرج

ما النار تَخشى ولا الجنات تطلبها إذا صدقت إلى الأغيار لا تهج

يا رب صلي على المحمود سيدنا والآل والصحب سادات الحمى البهج

والحمدُ لله في سرٍّ وفي علن ما ضاءت الأرض والأرجاءُ بالسُرج[١]

وفي قصيدة أخرى نجد ان الشاعر يفتخر بقومه ويكرمهم وهم أهلُ الكرم إذ يقول :

الا إن حي الأكرمين عطيرُ وفيه الطِلا للذاكرين يدور

وأربابه غرٌ كرامٌ أماجدٌ ليوثٌ وأبطالٌ اليك تغيرُ

عبادٌ إذا استنجدتهم في مُلمةٍ يعود عسير الأمر وهو يسير

فما منهم إلا شجاعٌ وفارسٌ هِزَبرٌ له عند النزال زئير

تفرُ الأعادي منه عند لقائه وليس لها عما يريد مُجير[٢]

وفي موضع آخر من قصائده يفتخر شاعرُنا بطريقته وبأنها كاشفة للحقيقة التي يبحث عنها اكثر الخلق من بين الطرق وهذه الحقيقة هي الارشاد والتوجيه إلى طريق الحق حيث إنه أودع قوله في الآتي :

طريقُ القوم مفتخري وعزي وحصني في الوجود كذا وحرزى

وأهلوه بهم أهلاً وسهلاً وإن بعدوا فهم أهلي وكنزى

وإن أبى هو المعروف منهم بمحمودٍ له سندي وعزي

---

[١] الرشفات ص٧٧

[٢] المرجع السابق ص ١٩٥

وإليه طريقة السمان فاعلم	كذاك لخلوتي بحسن طرز
ولي بالشاذلي ثبوتُ جمعِ	بروحِ في المنامِ إليه أعزى[1]

حقاً له أن يفتخر بطريقته السمانية لأن جده هو الذي أدخلها السودان ، وهو الذي أحياء نار التصوف في السودان وذلك لكماله البشري وهو الذي اجتمعت فيه كلمة (خززرس) هذه الكلمة التي فصلها شيخ واستاذ شاعرنا الشيخ عبد المحمود بن الشيخ نور الدائم حيث أنه قال في تفسيرها :

إن رمت وصلاً للمقام الأقدس	وشهود اسرار التجلي الأنفس
وهدايةٍ وحماية أو	شربة من زنجبيل الأكؤس
سر في طريق العارفين بربهم	أهلُ الوفاء الأولياء بخززرس
فالخا خبيرٌ عارفٌ متمكنٌ	أخلاقه كالمسك أو كالنرجس
والزاي زادٌ وهو تقوى الله في	سر وفي علن خبياً أو كندس
والثاني من زائه زاملةٌ لربه	الهمة العليا أفهمن لا تعكس
والراء رفاقٌ سائرون بخشية	ومحبة وبقلب صدق مؤنس
والسين وهو اسمٌ تلقنه كذا	من شيخه ذاك الخبير الأرأس
وهي السلاح لديه في إدلاجه	من كل وسواس غوي مخنس
وبها يكون الصب من بعد السلوك	بها من الأنوار أعظم مكنس
ويكون فانٍ في الإله وواصلاً لمراتب	فيها كشبه الأخرس[2]

وفي قصيدة اخرى يفتخر بطريقته السمانية التي تنسب إلى سيدي الشيخ عبد المحمود بن الشيخ نور الدائم (رضي اله عنهم جميعاً) حيث أنه يقول :

طريقتنا الى محمود تعزى	الى القرشي ذي الروح الزكي

---

[1] الرشفات ص ٢٠٩

[2] شرب الكأس للشيخ عبد المحمود بن نور الدائم الطيبي السمان ج٢ ص ٥٦

لطيبنا الذي قد طاب ذكراً   إلى السمان والبكرى الولي

إلى قوم طويتهم اختصاراً   وذا اصل دعى بالخلوتي[١]

يقال في الحكمة (من شابه أباه فما ظلم) حيث نجد شيخه قد تحدث وافتخر كذلك بطريقة السمانية التى اخذها عن سيدى الشيخ احمد الطيب (رضى الله عنه) فقال :

على منهج السمان لازلت اننى   ومشورتى فى الناس ان يسمنوا

فلله من نهج إلى الله موصل   به القوم في السر المصون تمكنوا

به كم مريد نال عزاً ومفخراً   به كم أناسٍ في العلوم تفننوا

به كم عبيد صار في الناس سيدا   له القلب يهوى والأكابر تذعن

ومن كان فيه أو محباً لأهله   له اللهُ في الدارين وهو يؤمن

كفى ربه بين الأجلة مفخراً   وأقوام صدق بالولاية زينوا

ظهوره جسماً ثم معنى لطيبة   كشمس الضحى بالرشد للغي يوهن

به ترتجى فيضاً من الله ربنا   علينا مدى الأوقات كالسحب تهنن[٢]

ويواصل استاذه الافتخار لهذه الطريقة قائلاً :

طريقتنا تعزى لقطب المشايخ   محمد السمان شأو البواذخ

إلى الأوحد الجيلاني بحر رجالها   وطود علوم في الحقائق راسخ

بها نحن في ذوقٍ ووجدٍ و فرحة   ورشدٍ كمسك في البسيطة فاتح

هلموا إلى هذا الطريق فإنه موارد   شيخ ثم كهلٍ و شارخ

وصاحبهُ حقاً و لو عند موته   يكون ولياً غائصاً كل صارخ

فلا خوف في الدنيا عليه ولا   غدٍ ولا في القبور الدراسات البرازخ

وما قلت هذا القول عنى وإنما   رويناه عن قومٍ جبالٍ شوامخ[٣]

مواصلاً ذلك الفخر إلى أن قال :

---

[١] الرشفات ص ٤١٤

[٢] شرب الكأس للشيخ عبد المحمود بن نور الدائم الطيبي السمان ج٢ ص ٥٦

[٣] شرب الكأس ج٢ ص ٥٦

كلُّ الرجال على طريق نافع   لكن طريقي أنفع للناس

قد حررته على الكتاب أئمة   والسنة البيضاء طريق الشارح

كذلك تحريرُ الجواهر للذي   في سلكه انتظموا بقلب خاشع

واختتم قوله بالفخر بشيخ العرفان سيدي محمد عبد الكريم اسمان الذي خصه الله تعالى بجوار ابن عدنان (صلى الله عليه وسلم) فقال :

فبسينه سار الرجالُ لربهم   وبميمه ملكوا لسر جامع

وبألفه الف الزمان لرشدهم   في الأرض طراً من قريب و شاسع

وبنونه نور هداية في المر   يد يحل من يوم وقبل الرابع

وبيائه يحي الإله لكل من   اضحى على حب وجفن دامع

وبهائه قد أهديت لمحبةٍ   كل المقاصد من كريم نافع[١]

ومن هذا يتضح لنا أن شاعرنا سار على نهج شيخه الذي بدأ لتلميذه الفخر وهو فخر يعتبر عندنا المتصوفة من باب الحق لما فيه من رفع الهمم ودلالة على الله وقصد السير إليه وما ذلك إلا لأن الشاعر وشيخه تشبعت أرواحهما بمحبة الخير للخلق فأفاضوا عليهم الفخر من باب الارشاد والشكر لله وهما سلالةٌ طيبة من اسرة طيبية طيبة.

---

[١] شرب الكأس ج٢ ص ٤٥ – ٤٦

المبحث الرابع: العتاب

وهو من الأغراض التي تحدث فيها الشاعر بإفاضة وسوف أذكر منها نموذجاً يوضح ذلك:

متى أجدُ الخلاص متى دءوبي	متى سيري فعلام الغيوب
متى أجد السياحة مثل قومي	على قِنَن الجبال و بالشعوب
متى أُنسى يكون بذكرى ربي	متى تسُد بالتقوى ثقوبي
متى تنهل سحب الخير نحوي	فتنتج أرضنا خير الحبوب
متى برق الحمي يسبى بلمع	فيجمع شمل وصلى بالحبيب
متى جيشُ الهدى يأتي لنصري	فنفسي واصلتني بالحروب
متى اجد الأحبة أهل ودي	فأصحبهم وأسلم من عيوبي
متى القي العصا في باب ربي	كأرباب البصائر والقلوب(١)

وفي قصيدة اخرى يعاتب الشاعر نفسه والآخرين :

السرى أهله السراتُ الهداتُ	ما ثنتهم عن السرى الترهات
تركوا الغير للإله وفروا	لكريم تسِح منه الهبات
بشرتهم هواتف الحق بالقر	ب وهبت من الحمى نسمات
فتراهم في جنة و حبور	وعليهم من القبول سمات
يا له من نعيم جنات عدن	وجدوه من قبل يأتي الممات
الحقنا بهم أيا رب فضلا	فلكم منك جاءت الجذبات
فأعِنا ربي فأنت قدير	بك تحي بعد الممات الرفات
وإنا العجز والتواني وصفي	والمعاصي تحوطني والعدات
لك أشكو حالي وانت عليم	وكريم افضاله سابقات
ألمتنى نفسي واقعدها الضعف	عن الحي ربنا والغواة
انصرنِّي ربي بحق حبيبي	قد توالت ببعثة الخيرات(٢)

---

(١) الرشفات ص ٤٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٦

وفي قصيدة اخرى تجده يعاتب نفسه ويخبر بأنه عائش في ظلمات وانه من الفقراء الذين يستحقون الصدقات اي الهبات الربانية فيقول :

يا واردات عَمرت أوقاتي   عودي الى لتنجلي ظلماتى
يا موسم فيه الرضا من ربنا   إني من الفقراء للصدقات
يا موجبات لا تزال من العلا   عطفاً عليّ بطيب النسمات
يا لامعات القرب والى عاجزاً   في غربة يرنو لذى الحسنات
يا ساكبات السحب إني ظامئ   في قفرة جودي بماء حياتي
يا رحمة الله الكريم محمداً   خير الورى المرجو للأزمات
أنظر اليّ بعينكم يا سيدي   واجبر لكسري ولثقل عثراتي
فلأنت عند الله خير مشفع   يرجى لكشف الضُر و الكربات
صلى عليك الله وما أحيا الحيا   ارضاً فجادت بعد بالثمرات
والحمد الله القديم نواله   حمداً به نرقى على الدرجات[١]

وفي مكان آخر من قصائده نجد أن الشاعر يعاتب نفسه ويعظها ويذكرها بأن النعيم هو تقوى الله وإلا كان الشر حصادها في الآخرة فقال :

قعدتُ وركب القوم في الليلِ مُدلج   ونمت وأهل الله تسري وتعرج
فحالك حال الطفل لم يدر ما جرى   وحال صبي لا يخاف ولا يرجو
وغاية ما ترجو حياة و صحة   ومالاً وأكلاً بالنجاسة يخرج
وتنظيم حيطان وقرش والْخُف   وتفعل أفعال اليهود و تلهج
وتلك المنايا أصبحت بغتة تجيى   وأنت صحيح الجسم هل لك مخرج
وليس الذي جاءته غيرك يا فتى   إذا الحكم حكمٌ واحد ليس يخرج[٢]

---

[١] الرشفات ص ٧١

[٢] المرجع السابق ص ٧٥

المبحث الخامس: الوصف

وهو يعد من الأغراض التي درجة السبق في الأدب العربي ، حيث أن هذا الغرض تطور بتطور الشعر في عصوره المختلفة ، وهو تصوير لما تقع عليه حواس الشاعر من طبيعة وغيرها .

وقد إزدهر هذا الفن في العصر العباسي وهذا الإزدهار واضح فمثلاً في العصر الجاهلي كان الشعراء يصفون الصحراء والدابة والغزلان والحرب وأدواتها وغير ذلك، فاصبحوا في العصر العباسي يصفون الرياض والغدور والبرك وما شابه ذلك. أما في العصر الحديث فالشعراء يصفون المخترعات الحديثة من طائرات وسفن وقطارات وما الى ذلك ..

ويرى العالم ابن رشيق أن الكثير من الشعر هو الوصف إذ يقول في ذلك : (الشعر إلا أقله راجع لباب الوصف ولا سبيل لحصره واستقصاه وأحسن الشعر ما نُعت به الشيئ حتى يكادُ يمثله عياناً) .

وشاعرنا في هذا المجال قد أكثر وليس فيه فقط بل في كل غرض من اغراض الشعر عدا الشعر السياسي ، فنسوق نماذجاً توضح كيف كان اهتمام هذا الشاعر الخبير بهذا الفن الذي طرقه الشعراء. فنذكر وضعاً قام به عندما ذهب الى الأراضي المقدسة وكان بمكة التي بها البيت الحرام الذي يعتبر أولُّ شيئ أظهر الله مكانه على وجه الماء (زبدة) بفتح الزاي والياء والدال . اي رغوة بيضاء عند خلق السموات والارض دحيت أيّ مُدّتَ الارض من تحته وذلك إن الله خلق الماء اولاً ، ثم الريح فصارت تحرك الماء حتى اجتمع من على وجهه رغوة وهي المسماة (بالزبدة) ثم دحيت الارض ومدّت من تحتها لأنه أولُّ بيت وضع معبداً للناس بنته الملائكة قبل خلق آدم بألفي عام. ووضع بعده الاقصى وكان بني بناءها أربعون سنة[١] فنجد الشاعر عندما دخل الحرم فرأى أنوار

---

[١] الرحلة الحجازية للساتاذ الشيخ عبد المحمود بن نور الدائم الطيبي السماني ، ص ١١٧

البيت ساطعة ، وضياءاته لامعةٌ داخل قلبه ما أحوجه إلى أن يقول متحدثاً عن ذلك في وصف أشواقه :

سلامِي على أمِّ القرى وعلى الحرم سلامِي على العتيق و مُلتـزم
سلامِي على الحجر الذي هو بغيتي سلامِي على الركن اليمين و مستلم
سلامِي على ذاك الحطيم وزمزم سلامِي على ذاك المقام ومن ألم
سلامِي على باب الصفا و لمن سعى للمروة السامي ذارها في الأمم
وشوقي على حلقٍ هناك بسوقها وتقديم شئ عند ذاك الذي عشم
وعودة شوق للطواف بخشية وهيبة داعٍ حافظٍ حُرمةِ الحـرم
ونهضة حاجٍ قام في يوم ثامنٍ من الحجة الشهر الذي هو محترم
وشوقي على ذاك المبيت بمسجدٍ من الخيف مملوء بأحباب ذي القدم
وشوقي على فجر أصلبه معهم وأشهدُ حتى تظهرُ الشمس بالحرم
أقوم بشوقٍ زائدٍ نحو مشعر أمرغ خدي ثم أسعى على القدم
إلى عرفات موقف القرب والصفا مقرُ الهناء مأوى المسعى يجمع الأمم
أوجه وجهي نحو مولاي داعياً وعيني لها دمع كغيث قد انسجم [١]

وفي قصيدة اخرى يصف الشاعر مناسك الحج فيقول :

إلى مكة شوقي وبيت معظم إلى الرمل في ذاك الطواف المكرِّم
إلى حجر جاءت إليه وفوده بشوقٍ مشوقٍ واصطلام متيم
إلى ركعتين بعد تطواف بيته أيا ربٌّ يسر لي مرادي وارحم
إلى زمزم بالبيت منها تضلعي يكون بهذا العام إنّى له ظمـي
إلى مقصدي باب الصفا أطلب الصفا إلى مروة اسعى فأحظى بمغنمي

---

[١] الرشفات للشيخ المترجم له ص ٣٣٥ - ٣٣٦

إلى الحلق بع دالسبع شوقي تضاعف | إلى عودتي بيت الخليل المعظم
إلى طلبي علم الحديث تشوقـي | وتفسير قرآن ببيت محـرم
فيا خالقي عمراً جديداً بمكـة | وطيبة خير المرسلين المقدم
إلى الصلوات الخمس في المسجد الذي | يُضاعف فيه الأجر من خير مكرم
إلى خطبة في يوم سابع حجة | إلى نية بالحج مع كل محـرم
إلى نهضة في ثامن مع تولـع | إلى رؤية الخيف العظيم المفخم
إلى المنحنى قبل الوصول إلـى منـى | وخير مبيت بطن خيف ميمم
إلى الصبح فيه والصلاة جماعـة | ونفل به بعد الشروق المعمم
إلى نهضة بالشوق مـع وفد ربنا | بوقت تجلى الحق ارحم إرحم
إلى الجمع والتقديم شوقي لمسجد | لسيدنا ابراهيم جد مكـرم
إلى عودة نحو الخيام وجلسـة | بها برهة والقلب بالله متحتم
إلى عرفات الوصل والوقوف التـي | بها سح فياض النوال المقَمم
إلى رفع كفٍ بالدعـاء و حاجـة | لبارئنا سبحانه خير منعم
وتلية بالدمع من غير فاصـل | سوى الذكر بالتهليل مثل المهيم
إلى جبل الرحمات تشتاق مهجتي | وكلي إشتياق نحوه رب فارحم
إلى رفع حاجات إلى رافع السما | لرضوانه الأعلى الكبير المعظم
إلى أن تغيب الشمس في موضـع العطا | إلى نفرة في خير جمـع ميمم
إلى معسكر الذكر الذي جـاء ذكره | بآي كتاب الله أي خير محكم
إلى الصبح فيه والصلاة جماعـة | كما فعل المختار خير معلم
إلى لقطنا ثم الحجارة غدوة | لرمي جمارٍ ضمن وفد مكرم
كذلك شوقي للبيت ليإلياً | وعودتنا للبيت من ذاك فاكرم

المبحث السادس: الغزل

المعلوم أن الغزل اكثر الأغراض شيوعاً بين شعراء العربية إذ لا يخلوا عصراً من عصور الأدب من هذا الغرض قل أن تجد شاعراً من الشعراء لم يتناول الغزل في شعره إن كان الغزل غزلاً حقيقياً او رمزياً .

يقول الدكتور سامي الدهان عن الغزل : (الغزل ألصق الفنون الأدبية بحياة الرجل والمرأة وهو أكثرها رواجاً وامتاعاً لأن المرأة نصف الرجل وتمام عيشه وحياته يكتمل بها ما أنقصه من بهجة وسعادة وهي مبعث الرضى والغضب والفرج والترح ، وهي معينة لإلهامه لأنها مظهر الجمال الحي في دنياه ، شغلت حياة الأدباء والمتأدبين والقراء والمستعمين وألهبت خيالهم وأقلامهم وملأت صحفهم وأوقاتهم . وقد نال الأدب العربي نصيبه من الغزل العالي ، فتغنى بالمرأة وأنشد بإسمها وجعلها موضع الاستهلاك في هجائه ومديحه وحماسته، وخصها بخصائص ومقتطفات. فشغلت عدداً كبيراً من الصفحات يربى على نصف الادب العربي ، لذلك كثر الغزل وتضخم حتى يشكل ديواناً كبيراً جداً ، يحبه الناس ويقبلون عليه سماعاً وغناءاً).(١)

ولكن الغزل عند شعراء المتصوفة يختلف عن الشعراء الآخرين لأن كلاً من الفريقين له نظرته الخاصة الى الجمال والى المرأة على وجه الخصوص يقول الدكتور محمد غنيمي هلال : (فالمتصوفة ينظرون الى معان الجمال الروحي من وراء الحس متخذين من الجمال المادي وسيلة اليه).(٢)

أما الغزل عند شاعرنا فقد لاحظت أنه لا توجد قصيدة كاملة من الغزل ، وكل ما له في هذا الغرض عبارة عن مطالع لبعض القصائد سلك فيها نهج القدماء ، كثيراً ما

---

(١) الغزل ، فنون الأدب العربي ، الفن الغنائي (١) ج١ تأليف لجنة من الأدباء ، دار المعارف ١٩٦٤م ط٢ ، ص ٥

(٢) في النقد الأدبي الحديث الدكتور محمد غنيمي هلال – نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – الفجالة القاهرة ١٩٥

تجد شاعرنا يتغزل في ليلى ، وسعدى ، ورباب ، وغيرهن قاصداً من ذلك هيامه وعشقه (بلا إله إلا الله محمد رسول الله) (صلى الله عليه وسلم) فذلك اعتبره منهجاً وسار عليه . لذلك يمكننا القول بأن الغزل عند شاعرنا هو النوع الرمزي الذي لا يراد منه معناه الحقيقي فكان شأنه شأن شعراء المديح الإمام البوصري والصرصري والبرعي وأحمد شوقي ومن هذه القصائد التي تغزل الشاعر في مطلعها تلك التي يقول:

أكرم بركب العامرية إذ غدا — وفي حيِّها بوصالها يتنعم

لا بؤسٍ يغشاه ولم تنزل به — نوب الزمان ولا عراه تبرم

بيض الليالي كان طالعٌ بدرها — بدر التمام به أضاء المظلم

لله در من أقتفى آثاره — وغدا يحي أهلها ويسلم[1]

وله غزل آخر يقول فيه:

أتت ليلى بحلتنا — وقد كشفت جميع الهم

وقد خلعت خلائعها — على من عندها منعم

وقد سمحت وقد منحت — وقد هزمت جيوش الغم

فيا لله خاصرها — لعبد مسعدٍ مكرم

فيا خلي فلا تيأس — فإن الله كم أكرم

آدم قرعاً مدى الأيام — على أدب فلن تندم

وقل يا رب عبدكم — أتى مسترحماً فأرحم

بحبكم محمدكم — رسولك سيدى الأعظم

عليه صلاتكم دوماً — وآلٍ فَضْلهم قد عم

وأحمدكم واشكركم — متى ما العرف منكم نم

علىّ نِعم أتت تترى — ولم تقطع و لن تفصم[2]

ويقول في قصيدة أخرى:

---

[1] الرشفات ص ٣٢٣

[2] المرجع السابق ، ص٣٠٦-٣٠٧

جئت الفقير الى نداك ونظرة	تمحو الشقاء عني وتصلح حالي
فلأنت سيدة النساء بأسرها	ذات الفخار وجده الأبطال
ولك السعادة من الست بربكم	هلا رحمتين بوصل حبالي
قومي الى مع البتول و نسلها	أهل الوفاء والمجد و الافضال
بي أزمة في الدين أرجو حلها	السير لله العلي الوالي
وطلوع شمس الحق بعد الخفاء	ثم الفناء في وحدة الأفعال
والشوق والدمع الهتون الى اللقاء	والانقطاع لسائر الأعمال
ومعارفٌ صمدية و قدسية	وتجلياً متوالياً بجمال[1]

فنجد الشاعر قد بدأ قصيدته بالتودد والغزل ولكنه في حقيقة الأمر يعنى ويقصد بذلك مدح السيدة خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها.

[1] الرشفات ص ٢٧٢ - ٢٧٣

الفصل الثاني: الموضوعات المستحدثة

المبحث الأول: الاجتماعيات

كان الشاعر قريب الله رضي الله عنه اجتماعياً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ الاجتماعية ويظهر لنا ذلك من علاقاته المتعددة بافراد المجتمع كما أشرا سابقاً ويظهر لنا ذلك من خلال دواوينه الشعرية وخاصة رشفات المُدام .

هذه المكانة الإجتماعية الرفيعة كان لا بد ان يظهر اثرها في شعره ذلك نرى العديد من القصائد الاجتماعية .

والاجتماعيات في شعر شاعرنا تنقسم الى قمسين هما : الأخوانيات والمناسبات .

أولاً : الاخوانيات :

هذا اللون من الشعر يصف العلاقات الاجتماعية بين الشعراء واصدقائهم واحبابهم فهو نوع راقٍ من الشعر فيه سمو ومودة وإخلاص ويتجلى فيه الحبُّ واسمى معانية والقاسم المشترك في هذه الرسائل الأخوانية الحصر على اظهار الود والمحبة والشوق ومشاركة الأحباب مشاركة وجدانية او عتاب لتأخير مراسلات . [١]

وقد عرف شاعرنا هذا الغرض منذ ان كان طالباً للقرآن الكريم على يد مشايخه فمن ذلك قوله :

ألا ليت شعري هل أرى معشر القوم وهل نهضة مني على منهج التوم

وهل انشق العرف الزكى بحيهم وهل بارق منهم الى جمعهم يومي

وهل نسمات القرب منهم تهب لي وهل ثمّ اذن بالانابة والصوم

عن الكون جمعاً ثم يجمع خاطري على الله دوماً في مسائي وفي يومى[٢]

---

[١] شعر أبي فراس الحمداني، تأليف ماجدولين . ط(١) ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م، ص٢٢٥

[٢] الرشفات ص ٣٠٥.

القسم الثاني عند الشاعر هو شعر المناسبات وهو الشعر الذي نظمه في مناسبات معينة او هي المواضع الخصبة للشعراء التقلديين مثل ليلة الهجرة وهلال محرم والمولد النبوي وذكرى بدر الكبرى وغيرها من المناسبات الدينة .

وهذه المناسبات كانت مصدر إلهام له فمن بين ذلك عند زيارته للقبر الشريف أُلهم هذه الأبيات :

جئنا لفضلك سيدي نرتاد	فأمنن علينا إننا قصاد
جئنا اليكم من بلاد محلة	فيكم ينال اليمن و الاسعاد
جئنا اليكم في فاقة و مذلة	والماء عندكمو لنا و الزاد
جئنا اليكم لا غطاء ولا وطاً	ولأنت وحدك سيدى الجواد
جئنا اليكم والاعادي خلفنا	ومن المخاوف ترجف الأكباد
جئنا اليكم والحوائج جمة	ونوالكم لا يعتريه نفاد
جئنا اليكم فقرنا بادٍ يرى	وببابكم يا سيدي الأرفاد
جئنا اليكم هذه حالاتنا	فكفى بكم ولديكم الإمداد
صلى عليك الله يا خير الورى	ما أمكم طول المدا الوراد
والآل والصحب الكرام جميعهم	وأبى الحسين كذاك والأولاد
والأم فاطمة البتول ومن بكم	لعلاقة فوق الورى قد سادوا
والحمد لله الجزيل نواله	ربٌ له الإعدام و الإيجاد [١]

وأيضاً قد أنشد عند زيارته للسيدة خديجة أم المؤمنين (رضي الله عنها) . هذه الأبيات التي تعتبر جزءاً من قصيدة كثيرة قائلاً :

قف بالحجون وناد ام الآل	واسفح مدامع شوقك المتوالي
وقل السلام عليك يا أم الورى	يا زوج أحمد صفوة المتعالى[٢]

---

[١] الرشفات ص ١٢٣

[٢] المرجع السابق ص ٢٧٢.

ثم تجده نظم قصيدة تدل على العتاب فيقول:

ألا فاتعظ إن كنت غير بهيمة	فطيب الحياة اليوم بالموت يمزج
وصحة اعوام تزول بوعكة	بها المرأ انسان تداوله الموج
فلا تأمن الدنيا فإن بها عنا	وكرباً وأهوالاً ما احد ينجو
وكن ممسكاً حبل الإنابة و التقوى	إذا شأت أن يأتيك في الهول مخرج
فوالله مولانا غداً انت ميت	وانت غداً في بطن ثوبك تدرج
وتحملك الأصحاب للقبر سرعة	وتدخل في بطن التراب و تولج
وحيداً فريداً في ظلام ووحشة	وتحيا لتلقى ما بغرسك تنتج
ويأتي نكير للسؤال و منكر	وما أحدٌ عن ذاك تالله يخرج
لديهم من الصلب الحديد مقامع	لضرب الذي بالغش قد كان يمزج
وتأتيك حيات كذا و عقارب	كأعناق بختٍ فلتخف صاح و لترجو
وتغرض ألواح اللهيب لمن طفى	فيا ويله من حر نار تؤجج
وثم بيوم الجمع نارٌ وجنةٌ	مقاماً خلود للشقى ومن ينجو
ورؤية وجه الله جل جلاله	لكل سعيد بالقبول متوج
فيا رب جد لي بالرضى منك منة	فإني اليكم في القيامة احوج
وصلى على المحبوب في كل لمحة	وسلم سلاماً للفقير يؤرج
وبارك وعم الآل والصحب كلهم	وحمداً لك اللهم انت المفرج[١]

ومن هنا يتبين لنا أن شاعرنا يشير بعتابه على نفسه وإنه أصبح ظالماً لها وهذه عادة اهل المعرفة الصادقة بالله دائماً تجدهم يعاتبون أنفسهم ليزدادو اجتهاداً وعملاً وهذه دلالة لأهل العقول النيرة تبين أن شاعرنا عالي الهمة رفيع الذكر عالي المقام صافي الجنان لا يرضى بعتابه أبداً الوسطية لذلك طار ذكره واصبح مشهوراً بالعلم والشعر الدالين على الاخلاق

[١] الرشفات ص ٧٥-٧٦.

الإسلامية الفاضلة . وكان لا يقول شعراً فيه عتاب أو غيره إلا ووجهه الى نفسه منطلقاً به للأخرين .

المبحث الثاني: التشطير

لقد كان الشاعر حاذقاً بكيفية التشطير منذ بداية للشعر فقد شطر لحبور كبار وعلماء اجلاء فمن ذلك تشطيره لقصيدة الشيخ مدثر الحجاز .

(كرام لدى الاعتاب قد اِلفوا الذلا) ومن ذل بالاعتاب والله ما ذلا

كرام بذكر الله قد دام عزهم (وذلك عز لا يبيد و لا يبلى)

(بهم غنني يا صاح واخضع لذكرهم) وعمر بهم وقتى عسى كأسهم يجلى)

وروح بهم روحي لأسعى بهمة (لرب فنوا فيه هو المرتجى جلا)

(وشمرعلى أثارهم متعرضاً) لمولاك قبل الموت و لتترك الكلا

ودم سائراً بالذكر لله راجياً (لنفحة خير والزم الفرض والنفلا)

(وإن شمت من أهل الصبابة واحداً) عليه سمات القرب فأطلب به وصلا

وإن كان في وقت أتاك مريدهم (فبش له واخضع وقل مرحباً أهلا)

(بغية أهل السعد فأعرف مقامهم) وكن حافظاً وداً لهم واطرح الغلا

وسلم لهم أن شئت تحظى بقربهم (ولا تجهلن أحوالهم واترك العذلا)

(ولا تحقرنهم قائلاً ليس هم هم) ابا لفكر يا هذا تحرم ما حلا

ولا تنف في الدنيا هديت وجودهم (ففي كل دهر بعضهم فيه قد حلا)

(وحسن بهم ظناً و لا تعترضهم) بدت آية تنبيك عن فضلهم أم لا

فهم أهل ود الله جلاله (وهم رحمة المولى فحبهم أولى)[1]

وقال الشاعر في موقع آخر مشطراً لقصيدة لم يذكر اسم شاعرها في ديوانه :

(هذه اثوابهم والحلل) هل هم عني اختفوا ام رحلوا

خلفوني بعدهم في غربة (ليت شعري أين قومي نزلوا)

(نزلوا بالشعب من كاظمة) واقتفاهم دمعي المنهمل

---

[1] الرشفات ص ٤١٣

ان تسل ما الشعب ما كاظمة … (فهي قلبي والحشى والمقل)

(فانمحت من ذكرهم آثارنا) … كهذا الشأن متى ما أقبلوا

وفنينا عن وجود حادث … (وبقى ذاك الغرام الأول)

(بربا نجد وقد ذاب الرُّبا) … ليتني كنت الرُّبا يا مأول

ذاب لكن قد ربت اوصافه … (وإنمحى نجد إذا ماأقبلو)

(ونسيم الروض لولاهم لما) … كان مبعوثاً الى من يرسل

فى جميع الكون إطلاقا ولا … (نقل الاخبار عمن ينقل)

(جيرة جاروا على اشواقنا) … وهى منهم مِنّةٌ فليفعلوا

هم ولاة الأمر والحكم لهم … (وإذا جاروا فمن ذا يعدل)

(كل شمس إن راتهم كسفت) … وإذا لم يأذنوا لا ترحل

كل هيجاً إن رأتهم سكنت … (كل بدر من سناهم يأفل)

(هذه طلعتهم في كوننا) … (ظاهر اشراقها لا يجهل)

نحن والعالم اي علويه … (ما لنا كون ولكن عِلل)

(لبسونا او لبسناهم فمن) … يدر هذا العلم فهو الرجل

ليتني كنت الذي يدري فمن … (هو منا اللا لبس المشتمل)

(حالة يعرفها العارف قد) … نالها عبد الغنى البطل

حالة عزت على الأفهام قد … (غاب عن ادراكها من يعقل)

(وبها عنَّها البرايا أشتغلت) … ليتها كانت بها تشتغل

فرغت من أجلها لا للسوى … (وعجيب فأرع مشتغل)[1]

---

[1] الرشفات ص ٢٨٥

المبحث الثالث: المجـــاراة

هذا غرض معلوم عند الشعراء فقد انتهجه شاعرنا كذلك هذا الغرض فمن بين ذلك عندما قال البرعي اليماني في وصف النبي (صلى الله عليه وسلم):

نبى ما رأته الشمس إلا   وكلّت من محاسنه ضياءاً

حيث قال شاعرنا :

إن اشرقت شمس الحقيقة بددت   ظلم الهموم وعوضت أفراحاً[1]

فإنه يعني بشمس الحقيقة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) . ونجد أن استاذه وشيخه يقول:

ما الفجر ما بدر السماء هذا وما   شمس النهار إذا بدأ لك وجهه[2]

فيكون شاعرنا قد جارى استاذه وكذلك البرعي اليمامي .

وأيضاً قد جارى الشيخ ابراهيم المصري في نونيته التي يقول فيها واصفاً لوجه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

بدر ولكن قد تعالى شأنه   عما يُشين البدر من نقصان

فنجد استاذ شاعرنا جارى هذا البيت الذي يصف وجه النبي (صلى الله عليه وسلم) فعنده أنه وجه شريف كالبدر ولكنه فيه التدوير ، ويزيد على ذلك ان البدر نوره مستعار يزيد وينقص ، ولكنه وجه الرسول (صلى الله عليه وسلم) نوره ظاهر في الآفاق والأنفس مع الكمالات الحسية والمعنوية بل في الحقيقة كل نورٍ خُلِق من نوره (صلى الله عليه وسلم) فنور وجهه ذاتي لا يأفل في ساعة من الليالي والأيام وكما أسلفت أن نور القمر مستعار ينقص تارة ويخسف تارة أخرى لذلك أودع هذا الوصف في قوله :

ووجهه مثل البدر فيه فقد حكوا   قليلاً من التدوير من غير كدر

---

[1] الرشفات ص ٨٤

[2] تفتح الروح في جسم الفتوح للاستاذ الشيخ عبد المحمود نور الدائم

جودوا عليه بوصل منكمو كرماً ... ودثروه بأسرار لاوأنوار

وروحوه بعرف من عبيركمو ... فخلصوه كى يسعى إلى الباري

وانفحوه بخير من هباتكم ... واوصلوه بإحسان وايسار

بحق أحمد والآل الكرام ومن ... فداه بالنفس لما كان في الغار

صلى عليه إله العرش ما سجعت ... فوق الأراك حمامات باسحار

والآل والصحب ما حن المشوق ... إلى أهل كرامٍ بدمعٍ منه مطار[1]

وله كذلك من الغزل ما فيه قلب المحب يُشبه قائلاً :

(ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي) ... اعامر أنت بالأحباب ام خالي

وهل سمعوا من سلامي وهل همو ... لأوني كليما يرحمو منهم حالي

ألا أين جدى والآل تبعوه في ... محبة ليلى والعكوف على الوالي

وقطب الورى السمان والبكري شيخه ... وبكريةٌ ساروا بجد و اقبال

وسيدنا الجيلي الشهير و قومه ... وكالشبل والقطب الجنيد وأبطال

وأين السري الغوث أين حبيبهم ... ومعروفهم والبصري من ذكرهم حالي

ومستند القوم الإمام عليهم ... عليه الرضا منه يدوم كهطال

ألا يا رسول الله إنك سامعي ... اغثني اغثني سيدي اصلحن حالي

فإن حويلاتي لديك جلية ... ألا عطفة يا سيدي قبل آجالي

ولست أرى التفصيل يا سيد الورى ... فإنك عن هذا غني باجمال

عليك صلاة مع سلام مسرمدٍ ... ويشمل اصحاباً كراماً مع الآل

واختم بالحمد الجميل على الذي ... حباني بفضل منه سبحانه الوالي[2]

ويستمر الشاعر في غزله في مطلع آخر قائلاً :

---

[1] الرشفات ص ١٩٢

[2] المرجع السابق ص ٢٧٤ – ٢٧٥

هنيئاً مريئاً نلت أشرف منزل بقربك ليلى بعد بعدك فانزل
لقد محَّص الذنب العظيم بغفرها ولاحت من الحي اللوامع فاقبل
وخل الورى والكون اجمعه لها تذلل لها واخضع ودمعك اسبلي
ومد اكف الفقر ما دمت طالباً نداها ولا تعجل وسيرك واصل
فلا بد أن تلقى الذي قد طلبته وفوق الذي ترجو ومالا تؤمل
فحسن بها ظناً وسلم لامرها وطف حول بيت الاتقياء وهرول
بها فاستعذ من كل سوء و قاطع وقل رب فأرحمني عليك معولي
جنود الهوى أوهت قواي تولني بنصر وخذ ثاري بحولك يا ولي
كبرت ولكن الهوى في شبابه فما زال يرمين بسهم معطل
بجاه رسول الله أمن مخاوفي وخذ نحوكم كلي إلهي وعجل
وصلى على خير الورى ما تلامعت بروق وعم الآل والصحب واشمل
واختم بالشكر الجميل لذاتكم على نعم اوليتها لم تحول[١]

وقال أدام الله به النفع متغزلاً وهو يرمي بذلك إلى الارض الحجازية الطاهرة قائلاً :
إلى حي المليحة سر وقل يا رب لي يسر وكن يا خالقي عوني بحق الهادي مدثر وجليني بأنوار وبالأسرار لي عمّر وحصني من الأسوا وبالخيرات لي فاعمر وشد عراي في قصدى والحقنى بمستبصر واجعلنى لكم داع كما قد كان اهل البر واكرمنى بعرفانى وغرس عندكم يثمر واكواب اذا اديرت بكف مديرها تسكر وعَرْفٌ نشرة عالٍ على الافكار لم يخطر وجملنى وكملنى بشمس حقيقة تبهر واحينى واحى بى اصيحاباً ومستمطر ووجهك رب اشهدني ووقتي دائماً عمر ولا تجعلني في شيئ بغير حماك مستتصر وهب لي رب إقبالاً عليك وعنك لا ادبر والبسني ثياباً بها إذا ما قوبلت تسفر وقنعني بكم دوماً من المقناع والمكثر وعلمني وأعلمني وخبرني ولي اخبر وكن لي جابراً كسراً وعند الموت

---

[١] الرشفات ص ٢٧٥

لي فاحضر وقل لي يا قريب الله عفونا عنك فالتبشر وصل على ولي النعما شفيع الخلق في المحشر محمدكم واحمدكم وسلم دائماً واكثر وآل ثم أصحاب ذوي الشكر لمولى البر. [١]

وفي قصيدة أخرى يقول عن وفد الحب الذي غادره إلى الاراضي الحجازية قائلاً :

بلغ سلامي لوفد الحب يا ساري — واقصص عليهم رعاك الله أخباري

واستشفعنّهم عسى عطفاً على زمن — حليف عجز وآثام واوزار

وقل لهم يا كرام القوم فانتشلوا — ذاك المخلف بالآثام في الدار

له بكم حسن ظن لم يزل أبداً — وحسن ود بآصالٍ وأبكار [٢]

فالبنظر إلى شاعرنا ماذا قال مجارياً للبتين السابقين قائلاً :

يلوح من الشرق المقدس كوكبٌ — عسى رحمة جاءت واشرف موكب [٣]

فمن هنا يتبين لنا أن شاعرنا وصف أفضل الخلق (صلى الله عليه وسلم) بأن وجهه كوكب وهو رحمة لاتباعه لأنه وجهٌ مرغوب لا مرهوب .

وفي بيت آخر كذلك يجاري الشيخ ابراهيم المصري في مقطعه السابق

تشبهنا بالبدر هذا وجهه — من جهلنا عما يليق بوصفه[٤]

ثم نجده يصف المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بالبياض كما قال جمهور أصحابه كما روى الإمام الطبراني رضي الله عنه (كان ابيضاً مليحاً) . ولعل شيخ شاعرنا بيته السابق قد جارى لابي طالب عندما قال :

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه — ثمالُ اليتامى عصمة للأرامل

بل قد جاراه ببيت آخر قائلاً :

وأبيض لكن جاء وهو مشرب — كما في روايات الرواة بحمرة[١]

---

[١] المرجع السابق ص ١٨٩ – ١٩٠

[٢] المرجع السابق ص ١٩٢

[٣] الرشفات ص ٢٩

[٤] مخطوطة بقلم الشيخ عبد المحمود بن نور الدائم .

فقد جارى شاعرنا البيتين السابقين قائلاً :

واضرب خيام جمالكم بجوانحي وأمح الظلام بنورك الوضاح[٢]

فلعل شاعرنا يصف وجه الحبيب (صلى الله عليه وسلم) انه نورٌ ليس ابيض فقط وهذا يؤيده قوله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ . قال ابن عباس رضي الله عنه الكتاب المبين هو القرآن الكريم وأما النور فهو النبي (صلى الله عليه وسلم) .

وقد جارى ابن الفارض الذي هو من أئمة التصوف الكبار عندما تحدث عن الكحل المطبوع في عيني الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث قال:

وقل لقتيل الحب وفيت حقه وللمديمي هيهات ما الكحل لما كحل

وقبل أن نذكر قول شاعرنا نقدم ما قاله استاذه وشيخه مجارياً لهذا البيت لندلل على أن الشيخ قريب الله اتجه وانتهج درب شيخه فقال الاستاذ الشيخ عبدالمحمود (رضي الله عنه):

وأكحل[٣] طرفه بادئاً متماسكاً ومعتدلاً اي في حالةٍ وشبه[٤]

وبنفس هذا البيت قد جارى أبا الطيب المتنبي حينما قال :

لأن حلمك حلمٌ لا تكلفه ليس التكحل في العينين كالكحل[٥]

وأيضاً جارى به الشريف الرضي حينما قال :

هيهات لا تتكلفن إلى الهوى غلب التطبع شيمة المطبوع[٦]

ونجده قد اضاف إلى بيته الأول بيتاً آخر ليجاري به البيتين السابقين فقال :

---

[١] تفتح الروح في جسم الفتوح ص ٩٤

[٢] الرشفات ص ٨٠

[٣] أكحل : سواد يعلو جفون العين – المصباح المنير – الفيومى – بيروت – مكتبة لبنان – ناشرون ٢٠٠١م – كتاب الكاف (الكاف مع الحاء واللام) ص ٢٠١.

[٤] نفخ الروح في جسم الفتوح ص ٩٤ للشيخ الشيخ عبد المحمود نور الدائم الطيبيي السمان.

[٥] ديوان المتنبئ، أبو الطيب أحمد بن الحسن ، بيروت، دار الجيل ، دون نشر ص ٤٢٥.

[٦] ديوان الشريف الرضى.

ليس الذي للعين تجليه كمن   قد كان في اجفانها مخلوقاً[١]

فنجد شاعرنا واستاذنا الشيخ قريب الله (رضي الله عنه) في قصيدة يستشفع سيد الخلق (صلى الله عليه وسلم) وفي آخرها يطلب منه (صلى الله عليه وسلم) أن ينظر إليه بجمال وحسن عينيه ولعل في هذا البيت يصف أعين النبي (صلى الله عليه وسلم) المحسوس ولكنه يطلب منه النظرة المحسوسة والمعنوية وبهذا يكون قد جارى الأبيات السابقة التي ذكرتها ونال ما يرمي إليه بنظرة اكرم مخلوق (صلى الله عليه وسلم) حيث إنه قال :

أنعم برؤية لامعات المحسن[٢]   وابشرُ فتلك بشائر لا تنثني

وفي أبيات من قصيدة له يصف فيها النبي (صلى الله عليه وسلم) مجارياً قول شاعر التصوف شرف الدين بن الفارض عندما قال :

لو أسمعوا يعقوب ذكر ملاحة   في وجهه نسى الجمال اليوسفي

أو لورآه أيوب عائداً في سنه   الكرا قدماً من البلى شفى

كل البدور إذا تجلى مقبلاً   تصبو إليه وكل قد أهيف

إن قلت عندي فيك كل صبابة   قال الملاق لي وكل الحسن فى

كملت محاسنه فلو أهدى الثنا   للبدر عند تمامه لم يكف

فنجد شيخه واستاذه الشيخ عبدالمحمود (رضي الله عنه) قد جارى بن الفارض بقوله :

سألت البدر ذا هل أنت راضٍ   بما قد قال أهل الأراضي

بوصف المصطفى بك وهو حالاً   اجاب بلا ولست بذاك راضي

---

(١) مخطوطة بقلم الاستاذ الشيخ عبد المحمود بن نور الدائم رضي الله عنه

(٢) لامعات المحسن هي اعينه (صلى الله عليه وسلم) فذلك من كحلها المخلوق فيها – الرشفات ص ٤٨٥

وقال الكل عندي مثل جور حكاه بمجلس الاحكام قاضي

وكيف وانني لكثير شيب فتعرفه اللواتي مع المواضي

أيحسن ان يشبه بي نبيا كسا جسمي وغيري بالبياض [١]

فيجئ شاعرنا ليجاري ابن الفارض وكذلك يجاري شيخه في وصف الذات المحمدية (صلى الله عليه وسلم) فيقول عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وأنه حضرة بأكملها :

يا حضرة قد شعشعت انوارها ذكر الحبيب شعارها ودثارها

يا حضرة مهما انجلت كاساتها طلعت بقلب مريدها أقمارها

والوقت طاب له بطيب شرابها لما شدت في روضها اطيارها

يا حضرة ضاءت لسكان السما يا حبذا، يا حبذا ، أنوارها

يا حضرة في الغيب شرف قدرها فخرت به وتميزت اسحارها

يا حضرة فاحت لنا اعطارها جوف الدجا فتعطرت ذكارها

عند النزول نزول رحمة ربنا روح الحبيب وقد صفت أفكارها

وملائك الرحمن قد حفت بها والصالحون ومن هم ابرارها

فتمايلت طرباً بذكر حبيبها وحلت لها طبقاتها تكرارها

وتنسمت ريح الصبا بصبابة لما تفنن في الحدا شعارها

هامت بذكر المصطفى محبوبها والكأس دار بشعرهم ادوارها

عظمت بالاسم العظيم ففاخري اهل السما ولتعبدي جبارها

اسم إذا قرع القلوب كما تمايلت طرباً وتمت بالتقى اسرارها

وإذا حدا الحادي بطيب حديثه طابت وفاحت بالرضا اعطارها

ترتاح ان ذكر اسمه ويهزها طرباً إذا حفت به أوكارها

---

[١] مخطوطه بقلم الاستاذ (رضي الله عنه)

وإذا ابتدأت بذكره في حضرة حضر اسرور بها وطاب مزارها [١]

ومن هذا يبين لنا أن شاعرنا نهل من معين صافٍ ومن نورٍ تام ، وأخذ من رجالٍ فيوضاتٍ وعلمٍ وعمائم وعلى رأسهم شيخه الاستاذ الشيخ عبدالمحمود بن نور الدائم (رضي الله عنهم جميعاً) .

ومن موضع آخر يجاري قول الأمام البوصري عندما تكلم عن حسن المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وقال :

وأجمل منك لم تر قط عيني وأفضل منك لم تلد النساء

ولدت مبرءاً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء[٢]

فقال الشيخ قريب الله (رضي الله عنه):

إنس فريد لا يكيف وصفه بل جنةٌ قد عجلت لقلوبنا

الملك والملكوت كان يحفها لا شئ يذ كر بالاضافة هاهنا[٣]

وبهذين البيتين يكون قد جارى شيخه عبدالمحمود نور الدائم الذي قال مجارياً للإمام البوصيري :

ولو اظهر الرحمن حسنه لما قدروا أن يوصفوه بكلمة

ولا أخذوا عنه علوم شريعة واسرار علمٍ من علوم الحقيقة [٤]

وبجانب الشعراء الذين ذكرناهم قد جارى الشاعر عدداً من الشعراء الذين نظموا اشعارهم باللغة العربية الفصحى و الدارجة أمثال – أحمد ود سعد، وابي شريعة، وودتميم وغيرهم (رضي الله عنهم اجمعين) .

---

[١] الرشفات للشيخ المترجم له ص ٤٠١ – ٤٠٢

[٢] البرده للإمام البوصيري (رضي الله عنه) – ديوان البوصيرى

[٣] الرشفات المرجع السابق ص ٣٨٦

[٤] نفخ الروح في جسم الفتوح للاستاذ الشيخ عبد المحمود نور الدائم ص ٦٩

ومجاراة الشاعر للشعراء الذين نظموا بالعربية الفصحى والدارجة فهذه مجاراه كانت في حدود النظم ، إذ كانت لكل شاعر معانيه والفاظه الخاصة التي تميزه عن غيره .

وهذه المجاراة التي ذكرنا نموذجاً منها لشاعرنا تدلل على ثقافةٍ ولطافةٍ وطهارة روح شاعرنا الذي استمد هذا كله من بحر عميق ملئ بالدرر والجواهر التي هي صيغت من عند محبوبه الذي أمر الله تعالى بمحبته واتباعه الا وهو المصطفى (صلى الله عليه وسلم) الذي اصطفاه الله تعالى على سائر خلقه وجعله أخرهم في البعث وأولهم في الخلق عليه أفضل الصلاة والتسليم الذي قيل عنه :

فاق النبيين في خَلق وفي خُلق ولم يدانوه في علم ولا كرم[١]

وأخيراً كل من كانت روحه سامية لهذا السمو الذي وصل إليه الشاعر اوصل غيره إليه فسيكون من العالمين بأسرار الشعر والنثر وغيرهما بإذن الله تعالى .

---

[١] البردة للإمام البوصيري رضي الله عنه

المبحث الرابع: التصوف

هذا الغرض يعتبر من أكثر الموضوعات شيوعاً وانتشاراً في الأدب العربي ، وأنه ظهر عند الشعراء السودانيين منذ عهد دولة الفونج إذ ظهر عدد من الشعراء الصوفية كالشاعر الشيخ إسماعيل بن مكي الدقلاش (صاحب الربابة) والشيخ عبدالنور[1] ومحمد الهميم عبد الصادق الركابي[2] وغيرهم .

وتطور شعر التصوف هذا عند الشاعر الشيخ قريب الله وأكثر الاغراض التي اكثر منها بل يمكننا أن نجعل شاعرنا مع علماء هذا القرن من الشعراء المتصوفة ، ولشاعرنا هذا الديوان الذي نكتب عنه والذي هو مقسم عنده إلى أشياء منها التصوف، وهو الذي أسماه "رشفات المدام " ويعد هذا الديوان الصوفي بعضه من عيون الأدب الصوفي في السودان، أبان فيه المنهج لسالكي الطريق الصوفي الذي هو طريق مبني على الكتاب والسنة كما قال الإمام الجنيد (رضي الله عنه) طريقنا هذا مبني على الكتاب والسنة) وكذلك كما قال الإمام الغزالي (التصوف هو لب الإسلام) .

فمن بين قصائده في التصوف :

حي المجدون من ركبان أسماء	صوت المخلف عنهم حين اسراء
يا أيها القوم والوفد الكريم هنا	مخلف اعرج ظمآن الماء
يبكي اليكم وقد طالت مسافته	وعنده ناقة ضاعت بصحراء
والذئب من حوله طوراً يجاذبه	ونحوه من جيوش شر أعداء
ومآله من سلاح ما يذب به	وسيره بين وديان ظلماء
وبعضه بجبال ثم شامخة	ولا خبير ولا إعلام للرائي

---

[1] جاء ذكره في الطبقات وهو تلميذ الشيخ محمد الشيخ دفع الله بن مقبل العركي ، وأورد له صاحب الطبقات قصيدة في رثاء شيخه ومطلعها :

صوفي الصفات فذاك ** أبو ادريس الورع الوصول

[2] أخذ الطريقة عبر الشيخ تاج الدين البهارى.

ولا بريق له كيما يروحه ولا رفيق ولا من يرحم النائي

قفوا له ساعة ثم أبعثوا رسلاً يأتوا به تؤجروا يا ركب اسماء

فعندما سمع الركب الخطاب وعى وأسرعت من فرسان بهيجاء[1]

وهذه قصيدة أخرى يقول في نهايتها:

وختمي لهذا النسك اي بافاضة وزورة خير الخلق بأحسن مغنم

وآلٍ وأصحاب كرام و تابع وتلك كرمات لأسعد مُسلم

صلاة وتسليم على شافع الورى محمد والأصحاب جمعاً وعمم

وحمداً لك اللهم حمداً مضاعفاً به ارتجي منك الرضاء فتمم[2]

وفي مقطع آخر نجد شاعرنا يصف الذين هم بمكة والحطيم وزمزم وكذلك الطائفين ، والمحرمين وتلهفهم وتشوقهم وفي ذلك إشارة يفهمها من كان من أهل التمكين والوجود ، بأنه تمكن حب الأرض الحجازية من قلبه فأصبح شغله الشاغل فا ينعمة فقال :

شوقاً لمكة والحطيم وزمزم والطائفين وساجد و مهمهم

والمحرمين لربهم بتجرد من ذي الحليفة أو هم بيلملم

والساكبين الدمع من اجفانهم الذاهبين بمشية المستسلم

الصارخين إذا الدجا وافاهموا النهاضين بنهضة المستغنم

العارفين بربهم سبحانه الواقفين بحالة المسترحم

رب بهم هب لي جواراً طيباً بإنابة وكفاية يا راحمي

وولاية ورعاية و هداية وغني بكم عن مشرك أو مسلم

فالطف في الحال يا رب الورى بمحمدٍ ولآلي أهل الأنعم

صلى عليه الله جل جلاله والحمد لله الكريم المنعم[3]

---

(1) الرشفات للشيخ المترجم له ص ١٦-١٧

(2) المرجع السابق ص ٣٤٤.

(3) المرجع السابق ص ٣٤٧

ويقول في نهاية قصيدة أخرى:

فادركوه وقالوا لا تخف دركاً بشراك زال الونى وأنت بالنائي

وأوصلوه وقد زالت مخاوفه وفاز بالنصر في أوقات سراء

وظل يحمد مولاه على نعم طول البقاء ولا يحصى لالائي

فيها شفيع الورى للخلق واسطة صلى عليه إلهي كل آناء

وآله وأصحاب سادة كرماء لا سيما بهجة الأرواح زهراء

وبعلها وبنيه الطاهرين و من يخصهم في الورى منهم باعطاء[١]

فلو نظرنا إلى هذه القصيدة لوجدنا فيها من الإرشاد والإمداد ما لا يحصى، إذ أن شاعرنا يدلل على أن التصوف ما هو إلا رفقة مأمونة وإخاء صادق يجر صاحبه إلى بر الأمان والذي يعمل ذلك يكون من الصادقين ، والصدق من أساسيات التصوف إمتثالاً لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) . ولله در القائل :

والصحبة المأمونة أكد يا فتى من سهر الليالي وصوم كل نهار[٢]

وله قصيدة أخرى تكلم فيها عن الذكر وهو سلعة أهل التصوف فيقول :

ذكر المهمين بهجتي وضيائي وجلاء كربي وانكشاف بلائي

هو عزتي وذخيرتي و وسيلتي ومهندى إن ما عدت أعدائي

مالي سواه في الحقيقة حيلة لزوال ضد أو بقاء هناء

لا فهم لي كلا ولا مال ولا ركن ألوذ به من الاسواء

مالي براحٌ عنه في صغري ولا كبري ولا سراي ولاضراء

عيشي به عزي به بسطي به وبه أصول بشدة و رخاء

الله أشكر حيث وفقني له وعليه لا يحصى جميل ثنائي

---

[١] الرشفات للشيخ المترجم له ص ٣٢٣.

[٢] من أنفاس سيدي الشيخ الطيب بن البشير بأبي قمرى وهو وارث حال جده رضي الله عنهم وهو (سيدي احمد الطيب بن البشير بأمرحي)

ثم الصلاة على النبي محمد والآل من هم في الظلام ضيائي[1]

وفي قصيدة أخرى يتحدث عن طريق القوم وهو المعنى بالتصوف وأنه تحفه صعائب فيجب على المريد السالك أن يكون مؤهلاً وصابراً على ذلك حتى يفوز بالقرب من الله فيقول :

طريق القوم مسلكه صعيب فمن لك بالإنابة يا قريب

وفيه قواطعٌ لم تحص عدّاً مميتات و خداع ضروب

شياطين وشهوات و نفس هوى مرادٌ وأهوالٌ تشيب

هموم معيشة وبنو زمان لديهم كل ذي دين معيب

عوائدهم مقدمة لديهم على طلب الإله وذا غريب

رويدك لا تغنطني فربى قديرٌ ليس يصيبه صعيب

فكم عبد ضعيف فاز فوزاً وكم ناء غدا وهو القريب

ستطلبه بلا ماء وزاد ولا سيف ولا سهم يصيب

ولا كدٍ ولا جدٍ و لكن رأينا الظن فيه لا يخيب

فنلقاه كما نهوى و نعطى عطاء لا تؤمله القلوب

فسبحان الذي أغنى واقنى بلا سبب فيا نعم المجيب

وصلى الله ربي ثم سلم على من فيضه أيدا يصوب

محمدٌ خير خلق الله طُراً وأتباعٍ لهم شرف القريب

وحمداً للمهيمن كل وقت به تمحي عن الجاني الذنوب[2]

---

[1] الرشفات نمرة (١) ص ١٧

[2] المرجع السابق ص ٢٢

ومن قصائده في التصوف الدالة على السير إلى الله وتوجيه المريد إلى مراد الله وعلى أن يكثر ويبحث عن أحبة يأخذوا بيده ويوجهوه إلى ربه قوله :

مرادي من الدنيا لقاء احبتي وأنسى بهم في حال نومي ويقظتي
وان اترك الدنيا جميعاً لاجلهم كأهل وأولادٍ واكل وشربة
وعني أفني ثم افني عن الفنا إلى أن أرى إلا سواهم لوحده
وماذا على المولى عزيزٌ وأنه سميعٌ قريب لا يخيب دعوتي
ايا عالم الاسرار يا بارئ الورى ويا كاشفاً كربي وهمي وغمتي
يا مجدي بعد الفناء وباعثي وكل الورى طراً ليوم القيامة
اقل عثرتي يا سيدي وتولني من النفس والشيطان في كل حالة
وكن لي مجيراً منهما انت ناصري وفرج بفضل منك شدة أزمتي
الا واجمعن قلبي عليك تفضلاً وصف لنا الأوقات من كل كدرة
وأرسل الينا من نوالك سيدي جلالاً يصون الوجه عن حال ذلة
ونور بكم قلبي وسمعي وناظري كذاك احفظن خلقي وخُلقي وخطوتي
وكن لي وأولادي وأهلي وصاحبي ولياً نصيراً في منام و يقظة
الهي وثبتني إذا الموت حلّ بي لآمن من زيغ مخوف و فتنه
كذاك واحشرني مع القوم آمنا مع المصطفى المختار في خير زمرتي
وصلى على خير الوجود وآله وأختم بالحمد الجميل قصيدتي[١]

ومن قصائده في التصوف تلك التي اشار فيها على المريد السالك ان يكون راضياً بقضاء الله وقدره وهذه مرتبة تسمى عند اهل التصوف بالتوحيد حيث قال :

ما أنت بالعبد العظيم على القضا فالأنبياء عليهم الحكم مضى
فدع التبرم بالقضا إن القضا كالسيف يقطع من يجانب الرضى

---

[١] الرشفات للشيخ المترجم له ص ٦٣-٦٤

وأعلم بأنك كنت معدوماً وقد انشأك ربك بعد ذلك وارتضى

لك دينه فضلاً وسوف ترا الجزا يوم القيامة بالشفيع المرتضى

وترى جزاً الاحسان ثم لمحسن وجزا المسئ النار لا جمر القضاء

وترى خلوداً للفريقين معاً من قد رضي عنه ومن قد ابغضا[١]

---

[١] الرشفات ص ٢٢٣

الباب الثالث

الخصائص الفنية في الرشفات

الفصل الأول: اللغة والأسلوب

المبحث الأول: اللغة

المبحث الثاني: الاسلوب

الفصل الثاني: الموسيقى

المبحث الأول: الموسيقى الخارجية

المبحث الثاني: الموسسيقى الداخلية

- لزوم ما يلزم.
- بناء القصيدة

الباب الثالث
الخصائص الفنية في الرشفات
الفصل الأول: اللغة والأسلوب

المبحث الأول: اللغة

تعتبر اللغة من العناصر التي يجب أن يُهتم بها في العمل الفني فهي الآداة التي يزين بها الشاعر أدبه والمادة التي ينشئ بها كائناً سوياً بالحياة. [١]

وقضية اللفظ والمعنى شغلت بال الفلاسفة القدماء والنقاد العرب. ومن الذين تحدثوا عن قضية اللفظ والمعنى عبد القاهر الجرجاني الذي يرى أن اللفظة من حيث هي لفظة لا قيمة لها بمفردها ولا ينبغي الحكم على فصاحتها أو نبوّها دون النظر إلى موقعها من الصياغة والنظم فيقول : (وهل تجد أحداً يقول هذه اللفظة فصيحة. إلاّ وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا لفظة متمكنة، ومقبولة إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناها ، وبالغلق والنبوِّ عن سوء التلاؤم).[٢]

ويقول ابن طباطبا (للمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح من غيرها)[٣].

ولإبن سنان الخفاجي رأي في قضية اللفظ والمعنى يقول فيه : (ألا ترى أن الإنسان إذا مدح ذكر الرأس والكاهل والهامة وإذا هجا ذكر القفا والاخادع والقذال وإن كانت معاني الجميع متقاربة).[٤]

---

[١] قضايا النقد بين القديم والحديث ، محمد زكي الشماوي ، دار المعارف الجامعية بيروت ، بدون تاريخ ص ٩٢.

[٢] دلائل الاعجاز/ لعبد القاهر الجرجاني قرأة وعلق عليه محمود محمد شاكر – الناشر مكتبة الخانجي – القاهرة – ط٦ – ١٩٦٠م ص ٤٥.

[٣] عياد الشعر لإبن طباطبا ، تحقيق احسان عبدالستار – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٨٢م– ص ٨١

[٤] من الفصاحة سنان الخفاجي ، تحقيق على فودة –مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٤٤م ص١٥٥

ويقول ابن رشيق عن اللفظ والمعنى : (الشعر الفاظ معروفة وأمثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر ان يعدوها ، ولا يستعمل غيرها كما أن الكتَّاب أصطلحوا على الفاظ بأعينها سموها الكتابة لا يتجاوزوها إلى سواها)[١].

ويقول : (اللفظ جسم روحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته)[٢].

وأبو هلال العسكري عرّف اللفظ من خلال تعريفه للمعنى فقال : (إن الكلام ألفاظ تشتمل على معاني تدل عليها ، فيحتاج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى كحاجته إلى تحسين اللفظ ، لأن المدار يعد على اصالة المعنى ، ولأن المعانى تحِلُّ من الكلام محل الأبدان، والألفاظ تجري معها جري الكسوة).[٣]

أما الجاحظ وهو من أوائل الذين تحدثوا عن قضية اللفظ والمعنى فيرى : (أن المعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والقروي والبدوي وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج، وفي صحة الطبع وجودة السبك).[٤]

وأخيراً نقف على رأي أحد النقاد المحدثين وهو الدكتور شوقي ضيف الذي يقول: (الشعر الجيد هو الذي يلائم فيه صاحبه بين اللفظ والمعنى بحيث لا يطغى جانب على آخر فلا يصبح لفظياً خالصاً ولا رمزياً خالصاً).[٥]

أما الفاظ هذا الديوان ومعانيه فأول ما يلحظه المطلع عليه يرى استمداده لهذه الألفاظ والمعاني من القرآن الكريم وذلك لتأثر صاحبه وحفظه له منذ صغره كما هو مذكور في الباب الأول.

---

[١] العمدة ج١ص ١٢٨.

[٢] المرجع السابق ص ١٢٤.

[٣] الصناعتين لأبي جلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري – تحقيق على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم – دار الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه ط ٣٧١ – ١٩٥٢م ص ٦٩

[٤] البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ – تحقيق عبدالسلام ، محمد هارون – دار الجيل – بيروت ط٢ ص ١٣١ .

[٥] في النقد الأدبي ، الدكتور شوقي ضيف – دار المعارف ط٥ ص ١١٣

وقد ظهر أثر القرآن الكريم على ألفاظ ومعاني هذا الديوان واضحاً في النصوص الآتية :

ويا لله من نظراتِ عطفٍ ** بها الجاني يُسَرُّ بل بالرضا[١]

فقد اقتبس هذا الكلام من قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) [٢].

وقد قال شيخه الشيخ عبد المحمود بن نور الدائم :

إفتحْ لباب كريمٍ أنت راجيه ** بماله وهو يَرضَى من مَراضيه[٣]

وفي بيت آخر يقول :

أرجوه مغفرةً وتوبة صادقٍ ** وإنابة بمحبةٍ وتودد[٤]

ولعله اقتبس هذا الكلام من قوله تعالى : (واستغفروا ربكم إنه كان غفارا).[٥]

وفي موضع آخر نجده يقول :

من لا تحيط به الأفكار جل ولا

يحدُه قيدُ أزمانٍ وأنحاء[٦]

ولعله أخذ هذا المعنى من قوله تعالى: (لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)[٧]

---

[١] الرشفات ص ١٦

[٢] سورة البينه الآية (٧)

[٣] شرب الكأس ج١ ص ٥

[٤] الرشفات ص ١٣٩

[٥] سورة نوح الآية (٩)

[٦] الرشفات ص ١٤

[٧] سورة الانعام الآية (١٠٣)

ويقول من موضع آخر منادياً المسلمين بالاعتصام بحبل الله وبيِّن فيه أن هذا الاعتصام هو المنجاة من الهلاك :

الاعتصام بحبل الله منجاةٌ ** من الهلاك فلا تغْرُرْك حالات[1]

ولعله اقتبس قوله من آي القرآن الكريم : (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ).[2]

ومن الأبيات التي قالها شاعرنا وهي مقتبسة من القرآن الكريم قوله :

وَيَكفى قوله أدعونِي أجِبْكُم ** لعبدٍ في العقيدةِ ذي ثباتِ[3]

ويظهر أنه اقتبس هذا البيت من قوله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ).[4]

ونجده في أبيات من قصيدةٍ يشير فيها إلى أن الإنسان لا محالة ميت فيحذر المسلم أن يكون على حذر من عواقب الآخرة فيقول :

فواللهِ مولانا غداً أنت ميت ** وأنت غداً في بطن ثوبكَ تُدْرَج
وتحَمْلُكَ الأصحابُ للقبر سرعة ** وتُدْخل في بطن التراب و تولج
وحيداً فريداً في ظلام ووحشة ** وتحيا لتلقى ما بغرسك تنتج
ويأتي نكيرٌ للسؤال ومْنِكرٌ ** وما أحدٌ عن ذاك تا الله يَخرج
لديهم من الصُلْبِ الحديد مقامعٌ ** لضرب الذي بالغش قد كان يمزج
وتأتيك حياتٌ كذا وعقاربٌ ** كأعناق بَخْتٍ فَلْتخف صاحٍ ولْتَرْجو
وتُفْرشُ ألواحُ اللهيب لمن طغى** فيا ويْلَه من حرِ نارٍ تُؤجَج
وثم بيومُ الجمع نارٌ وجنةٌ** مقاماً خُلوُدٍ للشقي ومن ينجو[5]

ولعله اقتبس هذه الأبيات من آي القرآن الكريم ومن بين ذلك قوله تعالى : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ).[6]

---

[1] الرشفات ص ٦٢

[2] سورة آل عمران الآية (١٠٣)

[3] الرشفات ص ٧٢.

[4] سورة غافر الآية (٦٠)

[5] الرشفات ص٧٦.

[6] سورة الزمر الآية (٣٠)

وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)[١].

وفي مطلع قصيدة له يقول :

اشرح بفضلك صدرَ عبدٍ صاد ** ولِتَسقه من موردِ العُباد

وتوله بولايـةٍ وهدايـةٍ ** حتى يسرُ لكم بخير سداد[٢]

ويبدو أنه اقتبس ذلك من قوله تعالى : (مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً).[٣]

وفي مطلع قصيدة تجده يقول :

وجنودُ إبليس اللعين كثيرةٌ ** تدعو إليه طوائف العباد

والحرب بينهما سجالٌ فاعلمن ** والله ينصرُ من إليه ينادي[٤]

ويظهر أنه أقتبس ذلك من قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ... وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[٥].

أما السيرة النبوية والوقائع والأحداث والشمائل والأخلاق فقد حظي في هذا الديوان بنصيب وافر إذ تتجلى معانيها والفاظها في كثير من النصوص فمن بينها تلك الأبيات التي يصف فيها النبي (صلى الله عليه وسلم) ، بأنه شفيع المذنبين وأنه لولاه لما كان كائن فقال :

قصدتُ رسول الله وهو منائي ** ومَقصدُ آمالي وكنزُ رجائي

حَطَطْتُ رِحالِي وارتمِيتُ ببابه ** و أنهيتُ سيري عنده وسُرائي

---

[١] سورة التحريم الآية (٦)

[٢] الرشفات ص ١١٧

[٣] سورة الكهف آية (١٦).

[٤] الرشفات ص ١١٧

[٥] سورة النور الآية (٢٠)

وله قول آخر:

تفاقَمَ دائىَ فالتجأتُ إليكموا ** ألا يا رسولَ اللهِ جُد بشفائى

فلولاك ما كنا ولا كانَ كائنٌ** أيا خيرَ مَن فوق الثرى و سماء

فأنتَ شفيعُ المذنبين محمدٌ ** أقلْ عثرتي وأَذَن برفعِ بلائى

عليك صلاةُ الله ثم سلامهُ ** وآلٍ وأصحابٍ لكم عظماء[1]

وقد تحدث عن شمائله (صلى الله عليه وسلم) فقال :

يا أكرمَ الخلق لا مولى نلوذ به ** إلاكَ يا خيرَ من يُغْني عن الطلب

أنت الشفيعُ وأنت الذْخرُ يا سيدي ** أنت الوليُّ وأنت الغوثُ في الكُرب

الحالُ ضاقَ بنا من أزِمةٍ نزلتْ** شديدةُ البأسِ والتبريحِ والعَطب

فامددْ يديكَ بتفريجٍ ومرحمةٍ ** قبل الهلاك فمن ناداك لم يَخب

صلى عليك إلهي دائماً أبداً ** والآلِ والصَحْبِ أهل الرقدِ والَقُربِ

والحمدُ للهِ حمداً لا إنقضاءَ لـه** أرجوه بالفَضْلِ يُغْنيني عن السبب

والشكرُ للهِ شكراً لا إنعدامَ لـهُ**مَدَى الزمان مدى الأعْوامِ والحِقبِ[2]

وللتراث الأدبي القديم نصيب واضح على ألفاظ ومعاني الشاعر وذلك لإطلاعه الواسع على اللغة العربية الجيِّد من نصوصها ومن ذلك قوله:

دَع الإرادةَ للهِ المريـدِ و لا** تكن مريداً لشئٍ تُحرَم المددا

وسلِّم الأمرَ للمولى بأجمعهِ ** تُحْظَى بخيرٍ جزيلٍ دائماً أبدا

ولاحَظِ الحضرةَ العَلْيا تكن رجلاً** إلى الحقيقةِ بل والشرعِ مُسْتندا

إياكَ إياكَ أن تمشي بغير هُدى** وأن تمُدَ بغير الإِذْن منه يدا

واحذْر وحاذِر وكن بالشرع مرتبطاً ** وقل لمولاك ياموﻻي هب رشدا

وابك الذنوباللواتي منك قد سبقت** لعل ربك يستدنيك كالسُعدا

وأشغل عميرك بالأوراد محتسباً** من ربك الأجر إن الله قد وعدا

وراقب الله في الأحوال أجمعها ** وأشهده معك فإن الحر من شهدا

واذكر فراقك للدنيا وزينتها ** وتركك الأهل و الأزواج والولدا

ومضجعاً بطن قبرٍ لا أنسٌ بـه**بحيث كنت غريبَ الأهلِ منفردا[3]

---

[1] الرشفات ص ١٧.

[2] المرجع السابق ص ٣٥.

وقد تضمن هذه الأبيات معاني وألفاظ قول الشاعر:

لا تسألن بني آدم حاجةً ** وسل الذي أبوابه لا تحجبُ

فا الله يغضب إن تركت سؤاله ** وبنو آدم حين يسألُ يغضب(١)

وكذلك يظهر أثر التراث الأدبي القديم على ألفاظ ومعاني للشاعر في استخدامه لألفاظٍ رددها الشعراء القدماء كإستخدامه لبعض اسماء النساء والتشبب بهن مثل دعد ، هند – لبنى ، سعد، نعمى – سعاد، سليمي – علوى ، ليلى ، وأسماء.

يقول مستخدماً هذه الأسماء :

حَسَّ المجدون من ركبان أسماء ** صوت المُخلف عنهم حين اسراء

يا أيها القوم والوفد الكريمُ هنا ** مُخلفٌ أعْرجُ ظمان الماء

بيكي اليكم وقد طالت مسافتهُ** و عنده ناقةٌ ضاعتْ بصحراء

والذئبُ من حوله طَوْراً يجاذبهُ ** ونحوه من جيوش شرٍّ اعداء

وماله من سلاحٍ ما يذبُ به ** وسيرة بين وديانٍ بَظلْمَاء

وبعضه بجبال ثم شامخة** ولا خبيرٌ ولا إعلامٌ للرائى

ولا برقٌ له كيما يرُوحَه** ولا رفيقٌ ولا من يرحمُ النائي

قَفُوا له ساعةً ثم أبعثوا رُسُلاً ** يأتوا به تؤْجَروا يا ركب أسماء

فعندما سِمعَ الركبُ الخطابَ وعى** وأسرعتْ منه فِرْسان بهيجاء

فأدْرَكُوه وقالوا لا تَخَفْ دَرَكا** بُشْرَاكَ زالَ الونى ما أنت بالنائي

وأوصلوه وقد زالتْ مَخَاوِفهُ ** وفاز بالنصر في أوقات سراء

وظلَ يْحمدُ مولاه على نِعَمِ ** طولَ البقاءِ ولا يحصى لألاء(٢)

وقال في موضع آخر :

إلى كم قُعُوداً عن سعاد وسُعْدَى ** ألَم تخْشَ بما يُوجبُ الهجر والصدا

دعوتُك للإدلاج وقتاً موسِعاً ** فقضيته باللهو بُعداً له بُعْدا

---

(٣) المرجع السابق ص ١٠٤.

(١) المستطرف في قيد المستظرف – شهاب الدين بن أحمد أبي الفتح ج١– دار الكتب العلمية – بيروت ط(١) ١٩٩٣م ص ٣٢١

(٢) الرشفات ص ١٦ .

أتلعبُ بعد الشيب ياعيب شيبةٍ ** تُريدُ الهَنَا من بعد ما قاربت حصْدا
لقد فاتَ وفد القوم ليلاً وأنت في ** منامك سرورٌ بليلتك النكدا
غداً تظهر العورات يا بؤس عيشةٍ ** غداً ثوبٌ منزوعُ الحياء لها بردا
تقومُ وتعصَى الله والله حاضرٌ ** وتلعق سماً ثم تشهده شهدا
جديرٌ بأن لا تشرب الماء صافياً ** إذا كنت لم تحظ وداداً ولا عهدا[١]

ونجده في موضع آخر يكرر ذكر (سعاد ، وسعدى) فيقول :

إلى كم قُعُوداً عن سعاد وسُعْدَى ** ألَم تخْشَ بما يُوجبُ الهجر والصدا
سكنتْ لخالقها فَسَاكَنها الهدى ** نهضت ونادت هادياً يا من هدى
إن قوماً يمموا أرض جياد ** هيجوا مني سويداء الفؤاد
إلى كم إلى العليا تتوق وتعقد ** وغيرُك يا مسكين يرقى ويصعد[٢]

ويقول في موضع آخر من قصيدة:

إلى الذات سيرى في مراتب أسماء ** بصورة مزج النار في مع الماء
أبى القلبُ إلا حب دعدٍ وأسماء ** إذا ما تجلت في براقع أسماء
يسيرُ بك المهيمن سير سرَّ ** إلى ملكوته غيبَ الخفاء[٣]

وقد مر بنا سابقاً العديد من النصوص تؤكد ما ذهبنا إليه من تأثره أي تأثر ديواننا (الرشفات) بالشعر القديم مضموناً ولفظاً ويمكن الرجوع اليها في أماكنها .

ومعلوم أن شاعر هذا الديوان صوفي النشأة إذ تشرب التصوف من أسرته التي نشأ فيها ومما لا شك فيه أن هذا التصوف قد ظهر أثره على الفاظ ومعاني الديوان وخاصة إذا علمنا أن شاعرنا أحد علماء التصوف في السودان وغيره وذلك نراه يستخدم أحياناً بعض المعاني والألفاظ التي كثر استعمالها عند شعراء التصوف ، وكلمة (ليلى) طالما رددها شعراء التصوف في أشعارهم رمزاً لمعانيهم الصوفية فلذلك نرى في هذا

---

[١] الرشفات ص ٨٨.
[٢] المرجع السابق ص ٤٧٢.
[٣] المرجع السابق ص ٤٦٨ .

الديوان اسخدامها ومن ذلك قوله في البيتين المنسوبين لسيدي حجة الإسلام والمسلمين الإمام الغزالي رضي الله عنه :

(تركت هوى ليلى وسُعدى بمعزل** وعُدْتُ إلى مصحوب أول منزل)

(ونادتْ بي الأشواق مَهْلاً فهذه **منازلُ من تهْوَى رويدك فانزل)

فقلت لها لبيك يا غاية المنى ** وألقيت رحلي ثم لم أتحول

وجدت بها أهلاً ، ورحباً ، وراحة** وقرت عيني بالحبيب وبالولي

فلاهم يغاشني ، ولا هجر أخشى** وقد دُمْتُ في عيشٍ رقيدٍ مُجْمَلِ

وهذا يفضل الله والمصطفى الذي** هو النعمة العُظْمَى وأكرمُ مُرْسلِ

عليه صلاة اللهِ ثم سلامة ** وآلٍ وأصحاب كرام ومن يلي

وأخْتُم شِعْري بالثناء لخالقي ** وبالحمد والشكر الجزيل المطول[١]

وقوله :

أتتْ ليلى بحِلَتِنا ** وقد كشفت جميع الهم

ترى بعد هذا الحال للحي أقدُمُ ** نعم صاحبي فاللهُ أحْنَ وأكرمُ

سلام ، سلام ، سلام ** سلام عليكم أهيل الهيام

يا عبدنا كُن عبْدَنا واستسلم ** وارض لنا في كل أمرٍ مبرم[٢]

وقوله :

هينئاً مريئاً نلت أشرفَ منزل ** بقربك ليلى بعد بُعْدِكَ فانزل

الله يا من يدهُ متوالي ** أمْنُنْ علّى بنفحةٍ يا والي[٣]

وأيضاً من الألفاظ والمعاني التي رددها شعراء المتصوفة في أشعارهم (الخمر) وقد كررت في هذا الديوان كثيراً بل كانت غرض من أغراضه يسمى (بالخمريات) فمن ذلك قوله :

خمرةُ الأرواح يا لها من راحٍ ** كم بها قد راح عاشق في الله

---

[١] الرشفات ص ٤٣٩.

[٢] المرجع السابق ص ٤٨٢.

[٣] المرجع السابق ص٤٨١.

مثلُ محي الدين صاحب التمكين** من له التلوينُ من معاني الله
وكذا الجيلان والولي السمان** شيخ أهل الشأن من عباد الله
ثم طيب القوم والهمام التوم ** من جفا للنوم رغبة في الله(١)

وقوله :

خمرةُ الخندريس أسقني كأسها ** خالصاً يا جليسُ اسقني كأسها
خمرة الأنبيا اسقني كأسها ** مُبرئاً للعيا اسقني كأسها

وقوله :

خمرة المتقين اسقني كأسها ** من مدير أمين اسقني كأسها
يالها من طلا اسقني كأسها ** فهو خمرٌ حلاً اسقني كأسها
عتقت من قديم اسقني كأسها** من خبير عليم اسقني كأسها(٢)

لكل موضوع ما يتناسب معه من الألفاظ والمعاني فعندما يرثي نراه يختار محاسن المرثي وفي ذلك دلالة واضحة على أن هذا الديوان لغته في عمومها تتناسب مع الغرض الذي يطرقه.

وعندما يتغزل فنجد ألفاظه تميل إلى الرقة والسهولة واللطافة وتستخدم فيه احياناً الألفاظ التي تدلُّ على الصد والهجر وعدم اللقاء ومن ذلك قوله :

يا عين قري إن رأيت حبيبي ** قولي كفاني فهو خيرُ نصيب
يا قلبُ فأنعم إن رزقت شهوده ** واحطط رحالك عنده برحيب
وأسكن ولا تبرح إلى ما دونه ** ما أنت إن بارحته بمصيب
يا نفسُ أنت عن الصواب لجوجة** ما زلتِ في عمهٍ وفي تكذيب(٣)

وقوله :

يا من تطيب بذكراكم أوقاتي ** منوا عليّ واجمعوا اشتاتي
وصلوا الحبال بكم وجودوا باللقا ** وتفضلوا بالعفو عن زلاتي

---

(١) الرشفات ص٣٩٧

(٢) المرجع السابق ص٤٠٣

(٣) المرجع السابق ص ٣٤

ولتحملوني عن جناح نوالكم ** ولتلحقوني بسابق السادات
ولتقطعوني عن سواكم جملـة ** ولتسكروا قلبي بحب الذات
كي استقيم كما أمرت بشرعكم ** وأحجُ من عرفاتكم عرفاتي
واشمُ من أعراف روضكم الشذى ** عرْفاً بنشقته تطيبُ حياتي
أغنى به عما سواكم مُطلقاً ** نفسي وحظي صاحبي عاداتي
حتى أرى ما لا يمر بخاطري ** من حُسن ألطاف وخير هبات
حتى أكالم في الضمير وتتجلى ** شمسُ الحقيقة لي بعين الذات
حتى أرى إلا أرى إلا كمو ** في الفعل والحركات والسكنات[١]

وقوله :

يا سائرين إلى الأحبة بلغوا ** مني لهم يا سائرين تحيتي
بل قبلوا ترب النعال نيابة ** عني فأنتم يا سراةُ نيابتي
بثوا إليهم قصتي وتقاعدي** وتشاغلي وعطالتي وبطالتي
قولوا لهم الوقت ضاع فهل له ** من نفحةٍ في غُدْوةٍ أو رَوحة
أو ليس عاراً أن يكون محبكم ** في قبضة الشهوات اقبح مهنة[٢]

وقوله :

تلامع برقٌ من ربوع أحبتي ** فهيج أشواقي وأسبل عبرتي
أيا صاحب المعروف جد لي بعطفةٍ** يتم بها وصلى وتطفأ علتي
وكُن لي من نفسي مجيراً وناصراً ** فإني ضعيف عن دفاع وحيلة[٣]

وعندما يمدح عالماً من العلماء فإنه يستخدم في ديوانه هذه الألفاظ الدالة على الزهد والتقوى والورع والعلم والقرب إلى الله ومن ذلك قصيدته التي يمدح فيها جده مؤسس الطريقة السمانية بالسودان (سيدي أحمد الطيب بن البشير) (رضي الله عنه) فقال :

طيّب فؤادك بالأريج الطيب ** من أحمد نجل البشير الطيب

---

[١] الرشفات ص ٥٢

[٢] المرجع السابق ص ٥٥

[٣] المرجع السابق ص ٦١

غوثُ البريةِ من غَدَت أنواره ** للناس كاشفهُ لكل الغيهب

سر السرائر من بدت أعلامه ** في الشرق تخفق– لاتنى – والمغرب

الزاهد الورع المتابع شرعة** هادي الرسول إمام كل مُقرب

بحرٌ عميقٌ ماله من ساحل ** روضٌ حوى من كل زهر أعجب

قطع المهامة سائراً نحو العلا** حتى أناخ بذي المقام الأرحب

ترك السوى طُراً لأخِلِ حبيبة** ورَقَى إلى العْليا بأبهى مركب

يمسي ويصبح طاوياً وقد أنطوى** في سره من كل معنى أغرب[١]

ويقول مادحاً لأخوان له في الله وهم عند الصوفية يحملون مصطلح (القوم) فقال عنهم :

ألا ذكرن بالقوم بالله يا سعد ** فقد حال ما بيني وبينهم العبد

وعهدي بهم لن يتركوني إلى السوى** فما عرف الخذلان قبل لهم عبد

فكم لهم من عهد بر وفُّوا بـه** فيا حبذا قومي ويا حبذا العهد

بطيبة لا أنسى مراداً طلبتـه ** من الحب فانجابت بشائره تبدو

وكم من أمام زرته راجياً بـه ** مرادي بمقصودٍ موارده الشهد

فوالله لا أنفك عن ذاك لحظة ** ولا زلتُ أرجوه وإن ضمني اللحد

إلى الله أشكو وحده النفس و الهوى ** إلى الله اشكو قاطعي عنه يا سعد

فبالله قل لي هلْ ذكرتَ بحبهم ** وهل شمت أعياناً لنا فيهم ود[٢]

وهذا الديوان غني بمثل ما ذكر وفي ذلك دلالة واضحة على أنه نفحة وتحفة تستحق الدراسة الموضوعية الفنية لما فيه من ألفاظ ومعانى اصيلة.

---

(١) الرشفات ص ٤٧ – ٤٨

(٢) المرجع السابق ص ١٢١

المبحث الثاني: أسلوب الشاعر في هذا الديوان

يقول الدكتور عز الدين إسماعيل معرفاً الأسلوب: (هو طريقة الكاتب الخاصة في التفكير والشعور ، ونقل هذا التفكير والشعور في صورة لغوية ، وخاصة وإن الأسلوب يكون جيّداً بحسب درجة نجاحه في نقل ذلك إلى الآخرين).[١]

ويقول عبدالحميد حسين عن الأسلوب : (هو القالب الذي يصب فيه الكاتب فكره وعاطفته ، وهو المنهاج الذي ينتهجه في الإفصاح عما في نفسه ، وهو الطابع الذي يطبع به كتابته ويتسم به إنتاجه). [٢]

ويقول وليد قصاب بعد أن ذكر الأسلوب في اللغة : (والأسلوب معناه الاصطلاحي لا يتعدى هذا الاصل اللغوي، فهو ما يزال يعني الطريقة والوجة والمذهب ولكنه في هذه المرة في الضد بصورة عامة فأصبح يعني طريقة التعبير ، ومنحى الرجل في صياغة أدواته، ووسائله التعبيرية فالوسائل تختلف بين الأديب والموسيقي والرسام ، فأدوات الموسيقى هي اللحن والنغم وأدوات الرسام الألوان والأشكال والظلال ، وأدوات الكاتب الألفاظ والعبارات التركيب، وبالتالي فإن أسلوب الكاتب ، وهو ما تهتم به في هذا المقام يعني طريقة الصياغة وشكل التعبير ووجة نظم الألفاظ ويحمل على نسق معين فهو إذن يتعامل مع الألفاظ والعبارات ويتعامل مع اللغة).[٣] وتتعدد الأساليب في الأدب إذ نجد لكل أديب طريقته الخاصة في التعبير وفي اللغة التي يستعملها ، ولذلك نجد هذا الديوان لم يلتزم أسلوباً واحداً بل له أساليب متعددة إلا أن الغالب على شعره هو الأسلوب الانشائي عامة والطلب خاصة.

والمعروف أن أهم مميزات لغة هذا الديوان استخدام الصيغ الطلبية كالاستفهام والنداء والأمر والنهي وغير ذلك ، إذا أن الشعر ليس تاريخاً يستخدم الصيغة الخبرية

---

[١] الأدب وفنونه – دراسة نقدية – دكتور عز الدين إسماعيل – دار الفكر العربي ، ط(٦) ١٩٧٦م ، ص ٣٨

[٢] الأصولية الفنية للأدب–عبد الحميد حسين– مكتبة الانجلو المصرية ، ط٢– ١٩٦٤م ، ص ٢٠٦

[٣] دراسات النقد – وليد قصاب – دار العلوم الطباعة والنشر ط٢، ١٩٨٣م ، ص ٣٧

وإنما يستخدم صيغ الطلب لانه يرمي إلى التأثير في النفس وهذه الصيغ تعد من خصائص التصوف لأن فيها من الصور الغيبية والمبهمة والاستنكار على النفس.

وهذا الديوان يسير على نهج سابقيه وخاصة في التزامه بالمقدمات المبدوءة بالتشبب والالتزام بالوزن والقافية وكثير من قصائده تدل على ذلك ، وقد التزم أيضاً أسلوب الدواوين التي هي لشعراء المديح في افتتاحه بعض القصائد خاصة تلك التي تبدأ بذكر بعض الاماكن الحجازية والحديث عن شمائل الرسول(صلى الله عليه وسلم) ثم ختم القصيدة بالدعوة بالقيام للأماكن المقدسة والصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وطلب المغفرة وذكر التقصير في اللحاق بتلك الأماكن.

ومما يميز هذا الديوان من حيث الأسلوب ثقافة شاعره القرآنية الواسعة التي تظهر في الاقتباس لمعاني وألفاظ العديد من الآيات القرآنية المتضمنة في الشعر وقد وقفنا على العديد من النماذج سابقاً .

وكذلك من مميزات هذا الديوان من حيث الأسلوب مجاراة شاعره للعديد من الشعراء السابقين من حيث لمعاني والألفاظ لا سيما شعراء المديح النبوي أو غيرهم .

وقد كثرت في هذا الديوان استخدام أدوات الاستفهام والنداء وكما اسلفنا بالذكر ، وهذه الأدوات تعد من خصائص الشعر الصوفي ويكثر الاستفهام في مجال الزهد والدعوة إلى الندم ، فمن بين ذلك المناجاة التي كانت عبر أدوات النداء فمن ذلك :

بذاتك يا الله يا واهب البر ** ويا موجد الأشياء في البر والبحر
ويا حكمُ عدلٌ لطيفٌ بخلقه ** ويا من جعلت العُسْرَ يُعْقِبُ باليسر
ويا حاضراً في كل حال بعلمه ** وبالذات يا من ليس يدرك بالحصر
ويا عالم السر الخفي من الورى** ويا كاشف البلوى ويا مسبل الستر
أجرني من البلوى وكن لى ناظراً** بفضلك واحفظني من السوء والشر
ويسر أموري واقض ديني بفضلكم** بحرمة خير الخلق من جاء بالبشر[1]

وفي موضع آخر يقول :

أيا من هو الله الذي خلق الورى** ومن هو بالصفح الجميل جدير

---

[1] الرشفات ص ١٨١

ويا مالك الملك العظيم ومن بنا ** رحيم عطوفٌ دائماً ونصيـر [٢]

ويقول مستخدماً الاستفهام :

وهل أحدٌ يسمى الله ** براً كان أو بحرا[١]

وفي معنى آخر يقول :

بكيت وهل يجدي البكا دون توبة** نصوحٍ إلى المولى بصدق الضمائر[٢]

ويقول في موضع آخر يفتخر بشيخه واستاذه عبر الاستفهام :

إنَّ أبي هو المعروف منهم ** بمحمودٍ له سندي وعزي[٣]

وفي موضع آخر يقول :

متى أجد الخلاص متى دعوبى ** متى سيرى لعلام الغيوب [٤]

ومن الأدوات التي استخدمت في هذا الديوان (الأمر) الذي هو من خصائص الأسلوب الطلبي فمن ذلك :

إرحمونا ملجأ الفقراء ** خلصونا إننا أسـرا

خلصونا من مصائبنـا** واسلبونا عن معانينا

وأذنوا فضـلاً لغائينـا** بدخول المنزل الرحب

يا ذوي الافضال يا رُحما** اجعلونا ضمن من خدما

امنحونا العزم والهمما ** سابقات الخيل والنجب

استروا بالفضل زلتنـا** اكثروا بالله قلتنـا

عجلوا واشفوا لعلتنـا** بعمارة الباطن الخرب

اسكرونا من طهوركم** ادخلونا في قصوركم

واحفظونا تحت سوركم** من جميع السوء و العطب

---

[٢] المرجع السابق ص ١٨٢

[١] الرشفات ص ١٨٨

[٢] المرجع السابق ص ٢٠٣

[٣] المرجع السابق ٢٠٩

[٤] المرجع السابق ص ٤٦٩

وأذنونا في طريقكم** واجذبونا ببريقكم

واحشرونا في فريقكم** العلي القدر والرتب

انصرونا إننا لكمو ** أعبد لسنا لغيركمو

قد تشفعنا لكم بكمو** فامحقوا الأعداء بالحرب

أرفعوا بالنصر رايتنا** أظهروا بالحق آيتنا

واشملوا الأحباب والقربا ** من رجا رفداً ومن صحبا[١]

وأيضاً من الأدوات المستخدمة في هذا الديوان التعجب فمن ذلك :

أكرم بهم من قوم أهل الرشاد ** الهائمين في الذات أهل الوداد[٢]

فالصيغة التي تدل على التعجب في هذا البيت (أكرم بهم) وهي جاءت على صيغة لتعجب القياسية (أفْعِل بِه) بحيث تعرب التي على وزن (أفْعِل) فعل ماضي جاء على صيغة الأمر ، والباء حرف جر زائد ، وما بعدها فاعل مرفوع بالضمة المقدرة التي منع من ظهورها حركة حرف الجر الزائد.

ومن ذلك أيضاً :

ولكم تسيئ وأنه لك محسنٌ ** ويحب أن تاوي وأنت الهاربُ

فإلي متى لا تستحي يا غافلاً ** يجري الجميل بقده ويحارب [٣]

ففي البيت الأول التعجب ممن يحسن إليه ويقابل ذلك بالإساءة وما هكذا الكريم .

وفي البيت الثاني تجد التعجب هو ذلك الاستفهام (متى) فإنه استفهام تعجب ممن هو (غافل) ذلك الذي يقابل الجميل بغيره .

وفي موضع آخر نجد تعجب يقول :

سبحانه اسدى عليك هباته ** تترى وفاض نداه وهو سحائب[٤]

---

[١] الرشفات ص ٣١-٣٢

[٢] المرجع السابق ص ١٨

[٣] المرجع السابق ص ٢٧

[٤] المرجع السابق ص ٢٨

فالتعجب هنا في كملة (سبحانه) فهي صيغة تعجب سماعية تدلُّ على التنزيه والتقديس وعدم النظير والتشبيه لله سبحانه وتعالى.

ومن الأساليب المستخدمة في هذا الديوان :

الأسلوب الخطابي وهو واضح جداً في هذا الديوان ومعلوم أنّ هذا الأسلوب يستخدم في مواضع التوجيه والنصح والارشاد وأمثلة ذلك كثيرة في هذا الديوان فمن ذلك تلك القصيدة التي يتصح فيها الشاعر نفسه أن تحسن الظن بالله وألاّ تعتمد على عمل ولا جد فالأمر له جلّ وعلا فعلينا أن نحسن الظن فنذكر بعض أبيات هذه القصيدة لتوضيح ذلك :

طريق القوم مسلكه صعيب **	فمن لك بالإنابة يا قريب
وفيه قواطعٌ لم تحص عدّاً **	مميتاتُ وخداعٌ ضروب
شياطينٌ وشهواتُ ونفسٌ **	هوىً مرادٌ وأهوالٌ تُشيب
همومُ معيشةٍ وبنو زمان **	لديهمُ كل ذي دين معيبُ
عوائدهم مقدمة لديهم **	على طلب الإله وذا غريبُ
رويدك لا تقنطني فربي **	قديرٌ ليس يعييه صعيبُ
فكم عبدٍ ضعيفٍ فاز فوزاً **	وكم ناءٍ غداً وهو القريب
سنطلبه بلا ماءٍ وزادٍ **	ولا سيفٍ و لا سهم يصيب
ولا كدٍ ولا جدٍ و لكن **	رأينا الظن فيه لا يخيب
فنلقاه كما نهوى ونعطي **	عطاء لا تؤمله القلوب
فسبحان الذي أغنى و أقنى **	بلا سبب فيا نعم المجيب[١]

وفي موضع آخر من الديوان نجد عدداً من القصائد تدل على النصح والارشاد فنذكر من ذلك قصيدة من هذه القصائد تدل على النصح والارشاد فهي :

سلبُ الإرادة مسلكُ العُباد** وهو الطريقُ نتيجة الأوراد
فالزم هداك الله طرق رشاده** وكساك أثواباً من الإرشاد
وارج ولا تيأس وإن طال المدى ** وابسُط أكفكَ للكريم الهادي
وأسْبل دموعَك بالخدود تشوقاً ** لدخول حضرته مع الأمجاد
لا بد من يوم تجودك ديمةٌ ** مطارةٌ بالفيض والإمداد

---

[١] الرشفات ص ٢٢

وتشيم برقاً من حمى عطفاته ** جذبت إليه أعْنة الشراد
وتشم عرقاً قد حلت نشقاتهُ ** ونسيم قُرْبٍ من أهيل جياد
وكذاك شربٌ من طلا كاساته ** أرْوَى قديماً كلَّ قلبٍ صاد [٢]

وفي موضع آخر نجد قصيدة تدل على النصح والارشاد بكل ما تقضيه الشريعة المحمدية فتقول :

أجل الفؤاد بخالص التوحيد **	وأليس هديت عقوده بالجيد
وأسلك طريقة احمد بحقيقة **	قامت بركن الزهد و التوحيد
وأحبب لقاء الله جلّ جلالـه **	إن رمت تخرج من سراب البيد
لا تكره الموت الذي فيه اللقا **	فلقاءُ ربكَ جلّ يوم العيد
الله يفرح إن فرحت بقربه**	فاغنم رضا ذي الحمد والتمجيد
واقطع علاقة كل شئ هالكٍ**	فهناك تلبس خلعة التأييد
لا تعجبن بمساكن وحدائق**	والمال والأولاد والتشييد
لله ملك لا انصرام لعزه **	وهناُ هنالك دائم التأييد
قيدت نفسك بالعوائد بئس ما**	أعتدتـه من سيئ التعويد
عيبٌ ولؤم إن طلبت مع الذي**	سواك من عدم سوى التوحيد
قدس الهك جل عن شرك الورى **	واعبده بالتنزيه و التفريد
جوِّد حروف الغيب عن لحن السوى**	فحقيقة الاتقان بالتجويد
فحقائق الغيب التي تشتاقها **	من دلوها التسبيح بالتحميد
ومعادن القوم التي فازوا بها **	مقلاعها الاقبال بالتجريد
فأزهد وجد واحبب إلهك وحده **	واعبده بالتهليل والتحميد
ما بعد أحمد والكتاب هداية**	كم أنت في وهمٍ وفي ترديد[١]

ففي القصيدة معان كلها ترشد وتنصح وتدل على الاقبال على الله وحده لا شريك له ، وأنه لا هدايةٌ ولا رشاد إلا باتباع الكتاب والسنة المطهرة اللذان لا نجاة إلا بهما .

---

[٢] المرجع السابق ص ٩٣

[١] الرشفات ص ٩٧

ومن مميزات هذا الديوان أسلوب يلجأ للتكرار الذي يعتبر وسيلة قوية للتاثير في النفس وذلك لأنه يقوّي المعاني ويجعلها اكثر تأثيراً وذلك لأنها تجذب ذهن القارئ والسامع.

يقول ابن رشيق عن التكرار ، والتكرار في اللفظ دون المعنى أما إذا اجتمع في اللفظ والمعنى فذلك هو الخذلان (فأكثر ما يقع التكرار في اللفظ دون المعاني ، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل ، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه)[1]

وللبروفسور عبدالله الطيب كلامٌ عن التكرار يقول : (إن اللغة العربية قد عرفت التكرار المراد به النغم منذ القدم ويستدل على ذلك بأمرين أولهما (إننا نجد نحواً منه في القرآن الكريم في بعض السور المكية مثل قوله تعالى : (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله : (وقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر) . والأمر الثاني الذي يستدل به (إن اللغة العربية قد عرفت التكرار في بعض الأشعار التي بأيدينا من تراث الجاهليين وحتى في بعض الأشعار الإسلامية).[2]

والتكرار أنواع متعددة منه التكرار للحروف والتكرار للألفاظ وتكرار البيت وتكرار المقاطع .

ومن أمثلة التكرار في هذا الديوان :

اثبير شاقك أم شجاك زرود ** أم زمزم أم ماؤها المورود

أم الصفا اسبلت دمعك راجياً ** وصلاً لمن أمت حماه وفود

أم شاقك التطواف بالبيت الذي** من عهد آدم حجه مقصود

أم لامعُ الأحباب هيج لوعة ** بين الجوانح جمرها موقود

أم برقُ ذلك الحيِّ هزك للحمى** وبه دعاك إلى الوصال ودود[3]

فنجد في هذه الأبيات قد كررت كلمة (أم) ولعلها تفيد معنى التخيير والتي بمعنى (أو).

---

[1] العمدة ج٢ص٧٣-٧٤

[2] المرشد ج٢، ص ٦٠

[3] الرشفات ص ١٠١

ومن أمثلة التكرار في هذا الديوان :

يا واحداً في ذاته وصفاته ** وفعاله يا موجداً لا يولد

يا أولاً قبل الخلائق كلها ** يا آخر يا قادر يا مفرد

ياحيُّ يا قيومُ يا رزاقُ يا ** من لا إله سواه حقاً يعبد

يا من خلقت الكائنات ولم تكن ** من قبلكم يا ناصر يا سيد

يا من رفعت العرش والكرسي الـ** سبع الطباق بهيئة لا توجد

يا من ببطن الأمهات كفلتنا ** يا من لقهرك كلُّ شئ يسجد

يا من وهبت العارفين مكانة** من دونها نجم السهى والفرقد[١]

فالتكرار في حرف (الياء) وهي تدل على النداء المراد به هنا التنزيه لله تعالى.

وفي موضع آخر من هذا الديوان نجد تكرار القول :

من صائمٌ من قائم من قارئٌ ** من هائمٌ ذي زفرة و توقد

من آنسٌ من موحشٌ عن غيركم ** من محزنٌ ذي سكتة و تجلد

من راكعٌ من ساجدٌ ومشاهدٌ ** من حائرٌ مما رأى من مشهد

من ضاحكٌ من دامعٌ من خشية** من ناهضٌ لجنابكم لم يقعد

من عارفٌ من عالمٌ من عابدٌ** من طائفٌ من خاشعٌ من زاهدُ

من مظهرٌ من مضمرٌ في غيبكم ** أن تغفرن ذنبي وتأخذ باليد[٢]

فالتكرار لحرف (مَن) الدالة على الاستفهام والمقصود بها هنا في هذا المقام تقوية المدح.

ومن أمثلة التكرار في هذا الديوان :

جئنا لفضلك سيدي نرتاد ** فأمنن علينا إننا قصاد

جئنا اليكم من بلادٍ محلةٌ ** فيكم ينالُ اليمن والاسعاد

---

[١] الرشفات ص ١٠٠

[٢] المرجع السابق ص١١٠

جئنا لكم في فاقةٍ ومذلة ** والماء عندكمو لنا و الزاد

جئنا اليكم لا غطاء ولا وطا ** ولانت وحدك سيدي الجواد

جئنا اليكم والأعادي خلفنا ** ومن المخاوف ترجف الأكباد

جئنا اليكم والحوائج جمةٌ** ونوالكم لا يعتريه نفادُ

جئنا اليكم فقرنا باد يري** وبباكم يا سيدي الأرفاد

جئنا اليكم هذه حالاتنا ** وكفى بكم ولديكم الأمداد(١)

وكل ما ورد من تكرار فيما ذكر يدل على محاسبة النفس وزجرها عن متابعة الهوى وتذكيرها بما تلاقيه بعد الموت وتنبيهها إلى ما هي فيه.

وخاتمة القول عن اسلوب هذا الديوان إنه يمتاز بالوضوح والسهولة والسلاسة، ويهدف في ذلك إلى النصح والارشاد وذلك لتأثرصاحب هذا الديوان بالقرآن الكريم والسنة المطهرة ، كما انه لم يتلزم اسلوباً واحداً في هذا الديوان ، بل اتخذ اساليب كثيرة متعددة ومختلفة، ومن ذلك يتضح لنا أن صاحب هذا الديوان اكتسب هذه الثقافة الرفيعة الواسعة من دراسة اللغة العربية آدابها ونحوها ، وغير ذلك . فالشاعر هو عالم في ذلك المجال لا يبارى نفعنا الله بعلمه وبركته حيث أن هذا التأثير مطبوع فيه خلقة لأنه كما اسلفت بالذكر تربى ونشأ في بيت العلم ، العلم الذي هو شغله وديدنه فلذلك نشأ على الدرب القويم فوصل إلى هذه المرحلة التي هي واضحة في هذا الديوان.

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٣

الخيال في هذا الديوان

يقول الدكتورشوقي ضيف عن الخيال : (هو الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يألفوا بها صورهم ، وهذه الصورة لا يؤلفونها من الهواء ، بل من احساسات سابقة لا حصر لها تختزنها عقولهم ، وتظل كامنة في مخيلتهم حتى يجئ الوقت فيألفوا منها الصورة التي يريدونها) .[١]

ويقول الدكتور عبدالعزيز عتيق متحدثاً عن عنصر الخيال وأهميته في العمل الأدبي : (والخيال كالماء والهواء ، ضروري للإنسان ولا غنيٍ عنه ما دامت الحياة حياة والإنسان إنسان).[٢]

ويقول ابن رشيق عن الخيال في الكلام وضرورة توافره في صناعة الشعر الفنية : (فسمى الشاعر شاعراً لأنه شعر بما لا يشعر به غيره ، فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى لاختزانه ولاستطراق لفظه وإبتداعه، أو زيادة فيما اجحف في غيره من المعاني ، أو نقص فيما أطاله سواء في الألفاظ ، أو في صرف المعنى إلى وجه آخر كان اسم الشاعر مجازاً لا حقيقة ، ولم يكن له إلا فضل الوزن).[٣]

ويرى الدكتور محمد غنيم هلال : (ان الخيال نوع من تصوير الحقيقة عن طريق المشابهة التي لا تزال تباشر سلطانها على العقل منذ لحظة ادراكها ولهذا اصبح الخيال

---

[١] في النقد الأدبي الحديث – الدكتور شوقي ضيف – دار المعارف ط٦ ص١٦٨

[٢] في النقد الأدبي – الدكتور عبد العزيز عتيق – دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت ط٢ ١٩٧٢م ص٤١٥

[٣] العمدة ج١ص٩٦

في جماله الغني ذا مكانة تفوق العقل الآخر ، على شرط أن تكون الصورة التي ينسجها متسقة متآذرة تتألف على تصوير الحقيقة).[٤]

أما عن الخيال في هذا الديوان فالمعروف أنه مطبوع ومقصور على صيغة دينية لا تحتاج ان تغوص معانيه عميقاً في ثنايا الصور الخيالية وأيضاً لطبيعته التي سادتها العلمية ، كما أنها لا تحتاج إلى فن مخاطبة الناس والحديث عن علومها المختلفة إلى خيال تسرح حوله الألفاظ مما يؤدي إلى إفسادها في بعض الأحيان .

وأيضاً مما جعل هذا الديوان لا يحتاج إلى الخوض في الخيال ان شعره قد ساده المديح والأحداث والشمائل والأوصاف وليس اعني بكلامي هذا أنه مجرد عن الخيال لا ولكني اقصد عدم سيادته .

ومن الصورالخيالية التي لمسناها في هذا الديوان تلك التي يتحدث فيها عن روحه عند زيارة النبي (صلى الله عليه وسلم) وغير ذلك فمن أمثلة ما ورد في هذا المجال تلك القصيدة التي تقول :

بدأ شوقي إلى البلد الرحيب** يعاودني ويتبعه نحيبي

وليس إقامتي بالبيت تجدي ** ينفع في شروق أو غروب

وقد شامت عيوني في منامٍ** بليلةٍ سبتها حرمُ الحبيب

عساها العام تنظره عياناً ** وتظفر فيه بالمدد السكوب

عسى مولاي يرحمني بسير** واشواق يكون بها دؤوبي

سالت الله بالمختار طه ** مسامحةُ وعفواً عن ذُنوبي

وشوقاً لا يكون له انقضاء ** إليه في صباح أو مغيب

أموت به وأبعث يوم حشرٍ ** وحسبي في الدنا ذا من نصيب

وصلى الله ربيِّ ثم سلَّم ** على ذي الجودِ والكفِ الرحيب

---

[٤] النقد الأدبي الحديث – محمد غنيم هلال – ص ٤١٥

محمدٌ عبده والآل جمعاً ** وحمداً للسميع لنا المجيب[1]

فعندما نطلع على هذه الأبيات نجد الخيال متضمن فيها وذلك لأن الشاعر يرسل أشواقه ويتمنى عبر هذه الأشواق النظر إلى تلك الأماكن المقدسة، بل يتمنى الاقامة بها كيف لا وهي اشرف وأعظم الأماكن على الإطلاق ، ام كيف وهي التى بزيارتها تغفر الأوزار وتسحق الذنوب وتقضي بها الأغراض، وتتنزل بها الرحمات والبركات ، فشاعرنا فهو من الذين تمكن فيه حب تلك الأراضي الحجازية والنهى بها حتى انه اصبح يتغنى بها في هذا الديوان بل جعلها شغله الشاغل ومرتعه الواسع البهيج لذلك الخيال في هذا الديوان ظاهر محسوس.

وفي موضع آخر من هذا الديوان نجد أبياتاً حجازية يظهر فيها الخيالُ فهي تقول :

يلوح من الشرق المقدس كوكب ** عسى رحمة جاءت واشرف موكب

عسى ذكر الجاني عسى زال هجره ** عسى جاء من ربِّ البرية مطلب

عسى الاذن من خير البرية جاءني ** عسى زال عن قلبي ستار و غيهب

لعل أويقات الأحبة صادفت ** وحلَّ وصالُ رائق الأنس أطيب

بربي أوقات الآباق تصرمت ** بوصلي بأهلٍ عنهم لا أغيب

بدا لي من القبر المشرف بارق ** فحلَّ قيودي كي له ربِّ أهرب

ويارب جمعاً لا انصرام لعذه ** ولا مرجعٌ عنه له النفس تطلب

ويارب بيتاً من أكنة قد سكم ** به أنزوي حتى عن النفس أسلب

ويارب حفظاً لي بدوم من العنا ** فلا عنك أنأى لا و لا عنك أحجب

وصلى على المختار ما لاح بارقٌ ** وما خضَّر عودٌ أو علا الأفق كوكب

كذا الآلِ والأصحاب جمعاً وتابع ** ومن ينتمي حباً إليهم و ينسب

---

[1] الرشفات ص ٢٢– ٢٣

وأشكرك اللهم شكراً مضاعفاً ** يزيد لنا النعمى ومنك يقربُ[1]

فلعل الخيال في هذه الأبيات ظاهر في تشوق الشاعر إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث شبهه (صلى الله عليه وسلم) بالكوكب . وفي ذلك استعاره تصريحية في أن الشاعر (صاحب هذا الديوان) صرّح بلفظ المشبه به وهو الكوب وحذف المشبه وهي النبي (صلى الله عليه وسلم) على سبيل الاستعارة التصريحية ، فنجد خيال الشاعر ذهب إلى أنه اصابه الهجر من السير بالاشباح ولكنه سار عبر الأرواح طالباً المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ، وأيضاً أنه أتى له الإذن من الحبيب (صلى الله عليه وسلم) وبذلك زال عن قلبه الستار والغياهب التي كانت مخيمة عليه وغير ذلك .

وفي موضع آخر من هذا الديوان نجد أبياتاً تقول :

يا عينُ قرِّي إن رأيت حبيبي** قولي كفاني فهو خير نصيب

يا قلب فأنعم إن رزقت شهوده ** واحطط رحالك عنده برحيب

وأسكن ولا تبرح إلى ما دونه ** ما أنت إن بارحته بمصيب

يا نفس انت عن الصواب لجوحة ** ما زلت في عمهٍ وفي تكذيب

فلترجعي لله جلَّ جلاله ** توبي فقد ولى الشباب وتوبي[1]

وفي موضع آخر نجد أبياتاً تضم ذلك الخيال تقول :

يا أكرمَ الخلق لا مولى نلوذ به ** إلاكَ يا خيرَ من يُغْني عن الطلب

أنت الشفيعُ وأنت الذُخرُ يا سندي ** أنت الوليُّ وأنت الغوثُ في الكُرب

الحالُ ضاقَ بنا من أزِمةٍ نزلتْ ** شديدةُ البأسِ والتبريحِ والعَطب

فامددْ يديكَ بتفريجٍ ومرحمةٍ ** قبل الهلاك فمن ناداك لم يَخب

صلى عليك إلهي دائماً أبداً ** والآلِ والصَحْبِ أهل الرفدِ والقُربِ

والحمدُ للهِ حمداً لا إنقضاءَ لـه** أرجوه بالفَضْلِ يُغْنيني عن السبب

---

[1] الرشفات ص ٢٩ – ٣٠

[1] الرشفات ص ٣٤

والشكرُ للهِ شكراً لا إنصرامَ لـهُ ** مَدَى الزمان مدى الأعْوامِ والحِقبِ[٢]

فمما ذكرنا جميعاً يتضح لنا أن الخيال يظهر في شعر هذا الديوان خاصة عند الرثاء والغزل اما في المديح لا يكون واضحاً مع العلم أن المديح يغلب في هذا الديوان، ويعتبر ما ذكر نموذجاً حيّاً لتوضيح الخيال في هذا الديوان .

---

[٢] المرجع السابق ص ٣٥.

الفصل الثاني: الموسيقى في هذا الديوان

الموسيقي في الشعر تنقسم إلى قسمين ، القسم الأول هو الموسيقى الخارجية وهي التي تهتم بجانب الوزن والقافية ، والقسم الثاني الموسيقى الداخلية .

المبحث الأول: الموسيقي الخارجية

الوزن: هو من الأركان الرئيسية في الشعر العربي ولا يقوم إلا بها والنظم العربي يقوم على عمادين هما البحر ويتكون من عدد من المقاطع الطولية ، والقصيرة المنظمة بطريق خاصة ، والثاني القافية وسنتحدث عنها لاحقاً.[١]

وأما بحور الشعر العربي فمحصورة العدد ولا سبب لهذا الحصر إلا اتفاق العلماء وتواضعهم ، فقد وضع الخليل بن أحمد علم العروض وحدد البحور الشعرية التي يجئ عليها الشعر العربي.[٢]

وقد بنى الخليل بن أحمد الفراهيدي علم العروض على خمس دوائر هي :

١) (فعولن – مفاعلين – فعولن – مفاعيلن).

٢) (مفاعلتن – مفاعلتن – مفاعلتن).

٣) (مستفعلن – مستفعلن – مستفعلن).

٤) مستفعلن – مستفعلن – مفعولات) .

٥) (فعولن – فعولن – فعولن – فعولن).

واستخرج من هذه الدوائر خمسة عشر وزناً أسماها بحوراً ثم أدخل كل الأوزان المستعملة ، كما زعم في نطق بحوره الخمسة عشر وقد استدرك الأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة) ، وزناً سادس عشر استخرجه في الدائرة الخامسة هكذا:

---

[١] المرشد ج١ ص ١٥

[٢] المرجع السابق ص ١٥

من فعولن فهو الخ وتساوى : فاعلن فاعلتن فاعلن الخ– ولم يزد العلماءُ شيئاً بعد الأخفش ولم يتجرؤ الشعراء على الاتيان ببحر جديد إلا ما ندر.[1]

وقد التزم الديوان بهذه البحور التي وضعها الخليل وقصائده لم تخرج عن هذه البحور وأغلب هذه البحور في الديوان وأكثرها بحر الطويل .

ولا دهشة في ذلك لأن هذا البحر يعمد إليه أصحاب الرصانة والجزالة وفيه يفتضح أهلُ الركاكة والهجنة. يقول فيه البروفسور عبدالله الطيب (رحمة الله) عن الطويل بعد أن، تحدث عن الطويل والبسيط معاً : (والطويل افضلها وأجلها وهو أرحب صدراً من البسيط وأطلق عناناً وألطف نغماً). [2]

ويقول : (وقد أخذ الطويل من حلاوة الوافر دون إيثاره ، ومن رقة الرمل دون لينه المفرط ، ومن ترسل المتقارب المحض دون خفة وضيقة ، وسلم من جلبة الكامل، وكزازة الرجز، وافادة الطويل وجلاله . فهو البحر المعتدل حقاً ونغمة من اللطف بحيث يخلص اليك وأنت لا تكاد تشعر به. وتجد دندنة في الكلام المصوغ فيها بمنزلة الاطار الجميل من الصورة يزينها ولا يشغل الناظر عنها حسنها شيئاً والطويل في هذه الناحية يخالف سائر بحور الشعر).[3]

ومن قصائد شاعرنا في الطويل:

إلهى بذاتٍ ثم وصفٍ وأسماء وأحمدَ والأملاكَ ربِّى وأنباء [4]

وأيضاً قوله:

نعيمك في رفع الحجاب بلا سرا فختام لا تسعى لكى ترفع الحجب [5]

---

[1] المرشد ج١ ص ٤٤٣

[2] المرجع السابق ج١ ص٤٤٣

[3] المرجع السابق ص ٤٤٣ – ٤٤٤

[4] الرشفات ص ١٧

[5] المرجع السابق ص ٢٣

وقوله أيضاً:

إذا هبت الأرياح نحو طيبة

فقد طابت الأرواح وانكشف الخطب[١]

ويلى الطويل مباشرة بحر الكامل ولشاعرنا منه حوالى تسع عشرة قصيدة ويقول عبد الله الطيب رحمه الله عنه: (بحر الكامل التام ثلاثون مقطعاً، ولكنه لا يجئ تاماً في الغالب، ومن أكثر الشعر جلجلة وحركات وفيه لون خاص من الموسيقى يجمله أن أريد به الجد فخماً جليلاً مع عنصر ظاهر، ويجعله إن أريد به الغزل وما يبدأ منه أبواب اللين والرقة، حلاوة مع صلصلة كصلصلة الأجراس، ونوع من الأبهة يمنعه من ان يكون ترفاً خفيفاً شهوانياً)[٢]

ومن القصائد التي نظمها في بحر الكامل:

ذكرُ المهيمنِ بهجتى وضيائى وجلاء كربى وانكشاف بلائى[٣]

وفى قصيدة أخرى يقول:

مولاى خلصنى من الاهواء واحسم بحولك يا مهيمن دائى[٤]

وفى موضع آخر يقول:

أبشر بما طرق الجنان قريب تالله وقتك بالحبيب يطيب[٥]

ونموذج أخير:

يا موسم الخيرات والبركات يا عيد أحمد سيَّد السادات[٦]

---

[١] الرشفات ص ٢٥.

[٢] المرشد ج١ ص ٣٠٢

[٣] الرشفات ص ١٧.

[٤] المرجع السابق ص ١٩.

[٥] المرجع السابق ص ٣٣.

[٦] المرجع السابق ص ٥٣.

كما نظم شاعرنا من البحور السابقة، فقد نظم كذلك من بحر البسيط وله حوالى إحدى عشرة قصيدة، والخفيف له أكثر من ذلك، وأيضاً له قصائد ومقطوعات متفرقة من بحور الرَجَز والهَزَج والمتدارك والمديد والرمل ومجزوء الكامل والوافر.

ومن أمثلة البسيط قوله:

الحمدُ لله مُسرِدى كلَّ نعماء وبار الخلق من طين ومن ماء[١]

وأيضاً يقول:

حسب المجدون من ركبان أسماء صوت المُخلفِ عنهم حين إسراء[٢]

وأيضاً من أقواله:

يا أكرمَ الخلق لا مولى نلوذ به إلاّك يا خير من يغنى عن الطلب[٣]

ومن نماذج ذلك:

بالطبع قد غاب جيش النور واحتجب

يا ربِّ عونك هذا الطبع قد غلب[٤]

ومن أمثلة الوافر قوله:

يسير بك المُهيمن سير سر إلى ملكوته غيب الخفاء[٥]

ومن أقواله:

طريق القوم مسلكه صعيب فمن لك بالانابة يا قريب[٦]

ومن النماذج أيضاً:

هنيئاً لى إذا صدق المتاب وكان الموت عيدى والمآب[٧]

وأيضاً يقول:

---

[١] الرشفات ص ١٤.

[٢] المرجع السابق ص ١٥.

[٣] المرجع السابق ص ٣٥.

[٤] المرجع السابق ص ٤٤.

[٥] المرجع السابق ص ١٤.

[٦] المرجع السابق ص ٢٢.

[٧] المرجع السابق ص ٣٠.

إلهى تب علىّ عسى أتوب　　　فأنت المنعم البر القريب[١]

ومن أمثلة الرمل:

أطلب الله ولا تطلب سوى　　　واترك الناس عدوًّا وحبيب[٢]

ومن أقواله:

يا بروقاً نحو نجد لامعات　　　أجمعينى من شتات[٣]

وأيضاً من النماذج:

رُفعت راياتكم فاستبشرى　　　قد علت بالفضل والاحسان فوق المشترى[٤]

ومن نماذج مجزوء الرمل:

الزمن لله بابا　　　واسكب الدمع انسكابا[٥]

وقوله:

ربى سامحنى ويسّر　　　نحوكم حسن الدءوب[٦]

وقوله:

قم فداعى الحق صاح　　　منع القومَ البيات[٧]

ومن البحور التي نظم فيها مجزوء الكامل فنجده يقول:

قسماً شهودُك جنةٌ　　　والكون أجمع ظلمةٌ[٨]

ومن بين القصائد التي نظمها في هذا البحر بيته الذي يقول:

يا عصمة المستعصم　　　اغفر ذنوبى وأرحم[٩]

---

[١] الرشفات ص ٣٠.

[٢] المرجع السابق ص ٢٤.

[٣] المرجع السابق ص ٧٠.

[٤] المرجع السابق ص ١٦٠.

[٥] المرجع السابق ص ٣٥.

[٦] المرجع السابق ص ٤٠.

[٧] المرجع السابق ص ٥٩.

[٨] المرجع السابق ص ٥٧.

[٩] المرجع السابق ص ٣٠٩.

ومن أبياته أيضاً:

شوقى على نسماتكم   شوقى على بسماتكم[١]

وله قصائد في بحر الخفيف فمن ذلك:

يا جبالاً من حولِها البركات   لى أليكن ما حييت إلتفات[٢]

وأيضاً:

يا نسيمُ من المحصب هبت   عَرْفُها المسك نشقها الجَذَبات[٣]

وأيضاً:

السُرى أهلُه السُراة الهدات   ما تنتهم عن السُرى الترهات[٤]

وكما نظم أيضاً في مجزوء الوافر حيث يقول فيه:

أتت ليلى بحلتنا   وقد كشفت جميع الهمِّ[٥]

وأيضاً يقول في موضع آخر:

سُراة الليل قد وفدوا   لمولاهم وقد حمدوا[٦]

وأيضاً له في بحر المتقارب نماذج منها قوله:

سلام عليكم رسول الأنام   وآل وصحب هداة كرام[٧]

---

[١] الرشفات ص ٣٢٤.

[٢] المرجع السابق ص ٦٤.

[٣] المرجع السابق ص ٦٥.

[٤] المرجع السابق ص ٦٦.

[٥] المرجع السابق ص ٣٠٦.

[٦] المرجع السابق ص ٤٤٤.

[٧] المرجع السابق ص ٣٢٢.

ثانياً : القافية :

وضع علماء العروض أوزان البيت الشعري وعرفوا أعاريضه وأضربه، وقد وقف علماء العروض بشدة أمام تعدد الأعاريض، وخلو الاضرب في القصيدة الواحدة الموافق لهذه الأوزان والشاذ عنها.

وقد اختلف العلماء في تحديد القافية ولهم أقوال مختلفة : فالخليل ابن احمد الفراهيدي يرى أن أن القافية هي آخر حرف في البيت إلى اول متحرك قبل ساكنيه، والأخفش يراها آخر كلمة في البيت بينما تغلب ، والفراء يرى أنها حرف الروي ، ومنهم من يرى القصيدة كلها قافية ، ويذهب آخرون إلى أن البيت الشعري كله قافية، وآخرون يرون أنها شطر من البيت.[1]

وقد تعددت القوافي في هذا الديوان ، وتنوعت فقد جاءت فيه القوافي المقيدة والمطلقة والزلل والنفر والحُوش .

أولاً : القوافي المقيدة : وهي ما يكون يها حرف الروي ساكناً [2]

وفي هذا الديوان عدد من القصائد التي جاءت قوافيها ساكنة كأمثال حرف اللام الساكنة:

أيُّها الظاعنُ لا تشتغل ** بسوى فصم العُرى والعقل

قد دنا العمر قريباً فاجتهد ** وصل السير حثيثاً تصل

جد مشتاقاً إلى ذاك الحمى** نبه الظعن وحادي الإبل

لا تقف ليلاً بأحدٍ أوحراً ** ليس من تهوى بسفح الجبل

فاهجر النوم إلى كثبانه** أبيض اللون ضياء المُقل

خصب المعيش الذي من ناله** نال سعداً عنه لم ينفصل

في بيوت شيدت أركانها ** قد حوت كلَّ نعيم أكمل

وبها حورٌ وفيها نجبٌ ** صاغها المولى لوفا العلى

---

[1] أنظر دراسات في علم العروض ، والقافية، الاستاذ أحمد محمد الشيخ ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلات، طربلس ، الجماهيرية الليبية الشعبية الاشتراكية ط١ ١٩٨٥م ص ٢١٥-٢١٦.

[2] المرشد ج١ ص ٥٣

وبها أطعامهم من طيب ** وبها سقياهمو من عسل

وبها أهل كرام سادة ** نزهت أخلاقهم عن خلل

وبها روض جنىٌّ يانعٌ ** قد حوى أشهى الجنىِّ الأكل

قاصرات الطرف فيها جذبت** كل من يرنو لحسن الكحل

وبها ما لم يجل في خاطر ** وبها أبهى الحُلىّ والحلل

في جوار الله قد جلت ذاته** وتعالى قدره عن مثل[١]

القوافي الزلل:

هي حرف الباء ، التاء ، الذال ، الراء، العين ، الياء ، والياء المتنوعة بألف الإلحاق والنون في غير التشديد أسهلها.

وهذا الديوان ملئ بأنواع هذه القوافي فمن أمثلة ذلك قوافي الباء :

نعيمك في رفع الحجاب بلا مرا** فختامٌ لا تسعى لكي ترفع الحجب

حياتك في ترك الأنام جميعهم ** فمهما تركت الخلق صح لك القرب

وعاينت ما لمْ يقدر القلب قدره ** وعانقك الاسعادُ والمنزل الرحب

وزفت اليك البكرُ من بطن خدرها ** وباشرك الناموس والمنهل العذب

نصحتك فاخرج عنك بالفور قاصداً** معاهد سُلمى فالونى دونها عيب

فبادر ولا تقعد مع الناس انهم** ضعاف فلن يغني البنون ولا الصحب

على كل حالٍ أنت لا شك راحلٌ ** فخذ أهبة فالدرب من دونها صعب

منيرٌ لمن يمشيه بالشرع صادقاً** وسهلٌ لمن يرضاه ها أنت و الكتب

الهى بحق المصطفى سيد الورى ** وآلٍ وأصحاب ومن لكمو يصبو

تدارك تدارك كن نصيري وآخذاً ** بثأري من نفسي فأنت لنا حسب

وسر بي اليكم يا سريع بسرعة ** إلى غاية فيها الفنا فيك القرب

وأسبل علىَّ الستر حيَّاً وميتاً ** فلا عيب منساق إلىَّ ولا ذنب

وصل على خير الورى ما تواترت** غيوث السما واخضر شرقك والغرب

---

[١] الرشفات ص ٢٩١ – ٢٩٢

كذا الآل والأصحاب بل كل تابع ** واحمدكم حمداً به يشرق القلب[1]

وفي قصيدة آخرى من هذا الديوان نجد فيها حرف الروي التاء ولعل ذلك في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) :

سلام عليكم يا إمام البرية ** سلام عليكم يا جميل السجية

سلام عليكم كل حين و طرفة ** سلام عليكم ذا الصفات العلية

سلام عليكم من عبيد أتاكم ** فقيراً إلى الجدوى ونيل العطية

سلام عليكم ليس يحصيه حاسب ** سلام على أهل الطريق السوية

سلام عليكم من سلام يزيدكم ** كمالاً وقرباً ذا الايادي الندية

لقد جئت صفر الكف ارجوكم الندى ** ومن يرتجي إلاكمو في البرية

وأنت غنيٌّ عن تفاصيل حالتي ** ففك أساري ذا العطايا السنية

عليك صلاة الله ثم سلامه ** يدومان من ربِّ السماء العلية

وآلك والأصحاب طراً وتابع ** وتابعهم حقاً بحسن الطوية

وبعد فحمدُ الله سراً وجهرةً ** لذاتك يا ذا المكرمات البهية [2]

ومن أمثلة الدال كحرف روي:

إنّ قوماً يمموا أرض جياد ** هيجوا مني سويداء الفؤاد

وحثى دمعي على خدي ألا ** أيُّها الدمع انسجم فالركب غاد

ما اصطباري بعدهم ما حيلتي ** ضاجعي يا أيها العين السهاد

وفد ربيِّ يمموا أرض الحجاز ** بارحوا الأهل بكاة والبلاد

وجفوا كل الورى من أجله ** بولوع واشتياق ووداد

غشيتهم رحمة الله الذي ** ألحق المحروم بالقوم السعاد

محصت أوزارهم لما انجلت ** عنهم الأكدار وانزاح البعاد

أشرقت أنوارهم كما بدت ** لمحاتٌ من سنا ربِّ العباد

غادروا من أجل ذا أولادهم ** والنسا والعيش رغداً ، والمهاد

---

(1) الرشفات ص ٢٣

(2) المرجع السابق ص ٥٨ – ٥٩.

قاصدين المصطفى خير الورى** الشفيع المرتجى يوم المعاد
صفوة الله الذي من أمه ** زائراً نال المنى من خير زاد
الكريم المجتبى من هاشم ** العظيم الخُلُقِ من بين العباد
من حباه الله فضلاً ظاهراً ** وهدى للدين أرباب العناد
يا رؤوف يا رحيم يا ولي ** أمرنا دُنيا وفي يوم المعاد
كن لنا يا سيدي إذ لا لنا ** غيركم برٌ عليم بالمراد
أعطنا إذناً اليكم عاجلاً ** إن عهدي طال من تلك البلاد
قم بنا يا سيدي من فضلكم ** واجمعونا بكمو يا خير هاد
وعليكم الله صلى دائماً ** ما همت سُحُبٌ على أرض جياد
وكذلك الآل والأصحاب من ** فضلهم بالخير قد عم العباد
وجميلُ الحمد لله الذي ** من بالمقصود من غير اجتهاد[١]

فمن القصائد التي فيها الراء حرف روي :

موائد إحسان يضوع لها نشر ** وحضرة إيقان جلابيبها الستر
وبيض وجوه اشرقت في بهائها ** تلوح لنا منها البشاشة والبشر
وصدح حمامات وتغريد بلبل ** بروض انيق فيه يبتسم الزهر
وأنس نديم لا يملّ حديثه ** وشُرْبُ مُدامٍ طاهرٍ كأسها بكر
ودنة عودٍ تمنح الحبر سكره ** لفهم معانٍ لا يطاق لها صبر
ورؤية حسن ترقص العقل جهرة ** بوارد أسرار بها يشرق السر
وخير هبات لا يكيف دركها** حقيرٌ لديها الملك والجاه و التبر
يمر بها في آخر الليل سادن** من الملأ الأعلى يفوح له عطر
على صاحب التهليل عند نزول مَنٍ ** تعالى مكاناً ان يحيط به فكر
هنيئاً له قد فاز فوزاً مؤبداً ** وفي ملكوت الله كان له ذكر
هنيئاً له بالله طابت حياته ** لياليه غرُ بل وأيامه زهر
تلاشى لديه الهم والغم والعنا ** وحل لديه القصد وانجبر الكسر

---

[١] الرشفات ص ٩١ – ٩٢

وردّ إليه كل ما كان فائتاً ** فليس له فيه وقد بورك العمر
فلله من فضل ولطفٍ ومنةٍ ** على مؤمن يرجوه جلّ له الشكر
ومنه صلاة مع سلامٍ معطر ** على أحمد من جاء منه لنا البر
وآلٍ وأصحاب كرامٍ وتابعٍ ** بهم ناظم الأبيات يشمله الستر[١]

أما عن حرف العين كروي قصيدة تقول :

يا من إليك المنتهى و المرجع ** يا من يرد عن الضعيف ويدفع
انظر الينا رب في حركاتنا ** ولتحمنا عن كل أمرٍ يفزع
وكن النصير لنا فأنت نصيرنا ** ومن إحتمى بجنابكم لا يفجع
وتداركن عمراً مضى في غفلة ** يا من اليك المشتكى و المفزع
ربي غفلت وقد توالت غفلتي ** حتى شعرت أني لا أنفع
لكم اشتكيت وما سواك يراحم ** فأرحم عبيداً بالجفاء مبرقع
وامنحه قرباً بعد بعدٍ مظلم ** يا من به شمس الحقيقة تطلع
وتوله في صادرٍ أو وارد ** واجعل به عين المعارف تنبع
وارزقه حس إنابة بكتابكم ** يا راحماً نفحاته لا تقطع
واسلك به سبل الذين حببتهم ** فتمزقوا في حبكم وتقطعوا
واجعل لياليه الجميع بفضلكم ** عيداً وأفراحاً أيا من يسمع
واجعل له سوراً منيعاً حافظاً ** يحمي وأعمالاً اليكم ترفع
فتت لأحشاه بشوق جاذب ** وانصب إليه منار نور يسطع
يا من وهبت الشاذلي و شمسه **المرسى وابن عطائكم هم أربع
هبناً بحرمتهم لديك مكانة ** جئنا بهم يا ربنا نتشفع
بالجيلي بالبدوي ثم دسوقهم ** وابن الرفاعي هم غيوث تهمع
بالليث من بركاته غيث هما ** وبصاحب الإحباكم اتضرع
ويعبدك النعمان ثم بمالك ** ومحمد وبأحمد لا نمنع
بذوي الطريق أهيل ودك كلهم ** بأصولهم جئنا ومن يتفرع

---

[١] الرشفات ص ١٥٨

وبسيدي محمود والقرشي الذي ** زاح الردى وبطيب لا نقطع
وبسيدي السمان قدس سره ** وبطاهر وهم العبيد الخشع
بالبكري بالحفني والدرديري والـ ** صاوي وفتح عند بابك يضرع
وبسيدي الحداد قدوتنا و بالـ ** أشياخ من لهمو المكان الأرفع
بالآل والصحب الكرام جميعهم ** وبمن لهم حباً لذات يتبع
بمحمدٍ والمرسلين جميعهم ** والأنبياء يا ربنا نتشفع
أدعوك بالأملاك و الاسم الذي** لجلاله كل الخلائق تخضع
ثم الصلاة على الرسول وآله ** والحمد للمولى إليه المرجع[1]

ومن أمثلة النون كحرف روي فهناك قصيدة تقول :

سادتي يا أهل بدرٍ نصرة ** إن من يدعوكم قد ينصرن
وكذا يا أهل احدٍ فانجدوا ** من بكم يا طالما يستنجدون
وكذا يا تابعيهم اجمعوا ** وارفعوا ايديكم كي أرفعن
يا عباد الله بالله اسمعوا ** أيُها الغوث فبالغوث اسرعن
أيها الأقطاب والأبدال والـ ** صفوة الأوتاد أرباب السنن
أيها الأفراد قوموا كلكم ** قد مددنا نبتغي الفيض يداً
أنا في وجه الرسول المصطفى ** مستعيذٌ لائذٌ لا أحرمن
فعليه الله صلى دائماً ** ما شدا طيرٌ إلى الأوكار حن
وعلى الآل مع الأصحاب ما ** جاءت البشرى لداعٍ فاطمأن
ومزيد الحمد لله الذي ** من بالمقصود من خير المنن
دائم الفضل الذي معروفه ** غمر الخلق جميعاً دون من
رافع السبع بلا أعمدةٍ ** كاشف الكرب مزيل للمحن
جلَّ ذاتاً و صفاتاً وعلا ** وتعالى قدره عن كل ظن[2]

---

[1] الرشفات ص ٢٣٠ – ٢٣١

[2] المرجع السابق ص ٣٥٥

القوافي النفر:

والمقصود بها حرف الصاد ، الزاي ، والضاد ، والطاء ، الهاء الأصلية وهذا الديوان مليئ بهذه القوافي وأكثرها الصاد فمن ذلك قصيدة وردت تتحدث عن الإخلاص :

صح عندي في منزل الإختصاص ** أن حال العوام حال الخواص

صفو عيش بواحدٍ يتجلى ** لكن الفرق نية الإخلاص

صورة تورث العلوم وأخرى ** تنتج الجهل ما لها من خلاص

صدق الله إنما هي إسْماً ** قد تسمت ولات حين مناص

صاح هذا المقام والقوم فيه ** فاقتحمْ حَرْبَه بدرع دلاص

صائب النبل إن رميت وإلاّ ** كن مهيأ لوقع هذا الرصاص

صحَّ كشف دليل عقلٍ وماذا ** بعد حق سوى الضلال العاص

صار مبدأ أمورنا منتهاها ** وإنطلاق الطيور في الاقفاص

صدف الدر يجعل الدر دراً ** ويسمى الوجود بالاشخاص [١]

ومن حروف القوافي النفر الهاء الأصلية فمن القصائد التي وردت في هذا الشأن في هذا الديوان:

يا واحدٌ عمَّ الوجود نداه ** اغفر لعبد أهلكته خطاه

وتوله أنت الوليُّ على الورى** إذ لا إله سواك رب يراه

واجعل له فرجاً قريباً إنه ** في حاجة مدت اليك يداه

ولتفنه عما سواك وكن له ** في كلما يرجوه أو يخشاه

وارزقه سيراً بالشريعة نحوكم ** واكتب له في مكة سُكناه

واستره في الدارين مع من حبه ** واشدد بحبلك يا متين عراه

وأطرد مخاوفه بأمنك سيدي ** وأزح عداوة كلَّ من عاداه

واقضِ الحقوق بأسرها عن ظهره** أنت الذي ما خاب من ناداه

واجبر لكسر منه في دينه ** وأجعل إليك نهوضه و سراه

وأجعل طريقك دأبه ومقامه ** أو حرثه أو بيعه وشراه

---

[١] الرشفات ص ٢٢٠

واسلك به سبل الهدات إلى الهدى ** واجعل بقولك والرسول هداه

وأقبل اشاعة نسبة لجنابكم ** واستر فتسرك ربِّ كم والاه

وافض بنورك للقلوب فإنها ** محلت عن الأنوار يا غوثاه

واسرع بنصرك للحقيقة عاجلاً ** لتقر عين بالهدى وسناه

وارشد لإخوان على اضغثهم ** يا محسناً عمّ الورى جداوه

واجعلهم بي لا عليّ تكرماً ** يا حيُّ يا قيوم يا الله

وامنن بعافية وعفو دائم ** واجمع شروداً بعد طول جفاه

واعطف عليّ بانسكم يا مؤنس ** إذ أنت أكرم من يرام عطاه

ثم الصلاة على الرسول وآله ** نورُ الوجود وشمسه وضياه

والحمد لله الذي نعماؤه ** غمرت لمن يرجوه أو يخشاه[١]

القوافي الحُوش:

وهي حروف الثاء ، الخاء ، الذال ، السين ، الشين ، الظاء ، العين .

وقد وردت مقاطع في هذا المجال إلا حرف الخاء فلم توجد وذلك لأن دخولها على الشعر تفسده كما قال البروفسور عبدالله الطيب : (وأما الخاء ما دخلت شعراً إلا أفسدته)[٢] وكما اسلفت بالذكر توجد مقاطع للقوافي الحوش لكنها لم تكن قصائد كاملة ويقول البروفسور عبدالله الطيب عن القوافي الحوش: (أما الثاء فحسب الناقد منها ثائية أبي تمام وثائية ابن دريد فكلاهما عامة . وأما الخاء فما دخلت شعراً إلا أفسدته، والذال على قبحها قد استعملها كثيرٌ من الأوائل ، والظاء فظيعه والعين مثلها).[٣] أما حرف الهمزة فيقول عنه عبدالله الطيب : (والهمزة قريبة من القوافي الذلل ما ورد فيها من الكلمات ذوات الألفاظ ، الألف الممدودة للتأنيث والإلحاق هذا زيادة على اللواتي فيهن الهمزة الأصلية) [٤] ، وقد كثرت القوافي الهمزية في هذا الديوان فمن القصائد المختومة بالهمزة منها :

يسير بك المهمين سير سير ** إلى ملكوته غيب الخفاء

ويلبسك الخلائع مثل قوم ** خلصن عليهم خلع الرضاء

---

[١] الرشفات ص ٣٩٨ – ٣٩٩

[٢] المرشد ج١ص٧٦

[٣] المرجع السابق ص ٨٠

[٤] المرجع السابق .

وألوية القبول عليك تلوى ** وينصب موكبٍ قبل السماء
وطبل العزِّ يضرب بالتداني ** كما الرآيات تنشر بالولاء
وتملك شهوة ملكتك دهراً ** وتنصر ما بقيت على العداء
ويخطبك الوجود وأنت حرٌ ** تجيب نداءه بالإنزواء
وتمحق عن سوى مولاك حقاً ** وتسبح عابراً لجج الفناء
وتمسح أدمعاً شوقاً لحب ** عطوف لا يعامل بالجفاء
وتبصر لامعاً يُسبى بلمع ** وفي الملكوت تسمع النداء
وتدعى في العلا عبداً منيباً ** فسبحان المهمين ذي العطاء
فيدعوك المهيمن يا عبيدي ** تقرب أنت عندي ذو اجتباء
وفجر الوصول يطلع بعد ليل ** وتطلع بعده شمس الضحاء
وتنقشع الهموم بكل فج ** وتنزاح الشدائد بالرخاء
وأعياد السرور تعاد دوما ** عليك بلا انصرام وانقضاء
وتأنسُ بالجمال بكل حالٍ ** وتنعم صحبة الأولياء
وتسمع من شذى الاطيار معنى ** بشوق الروح منك إلى اللقاء
وانفاس النسيم تهب دوماً ** تحتك بالنهوض بلا تناء[١]

المبحث الثاني: الموسيقي الداخلية

وهي التي يستجيب لها حس الشاعر في اختيار الألفاظ ذات الإيقاع الخاص، ونظمها في صورة صوتية تتناسب مع المعنى وهذه الموسيقى الداخلية ، تكون نتيجة تآلف مقومات الشعر في نفس الشاعر ووجدانه . (فللشاعر آذان باطنة وراء آذانهم الظاهرة يسمعون بها حركة صوتية وكل هيئة لفظية وبمقدار سلاسة هذه الآذان وقدرتها على التميز بين الألحان والأنغام يكون تفوقهم الصوتي وحلاوتهم الموسيقية)[٢]

والأدوات الموسيقية الداخلية التي برزت في شعر هذا الديوان كثيرة منها مثلاً التكرار والجناس والطباق .

---

[١] الرشفات ص ١٤-١٥

[٢] شوقي شاعر العصر الحديث – الدكتور شوقي ضيف الله – دار المعارف ط١٠ص٤٥

أولاً التكرار :

هو وسيلة من وسائل التأثير على السامع ومن العناصر المهمة في العمل الأدبي، وإنه يؤدي إلى تقوية الايقاع وجرس الألفاظ ، وقد كثر العنصر الموسيقي في هذا الديوان وينقسم إلى قسمين الأول هو تكرار الحروف والثاني تكرار الالفاظ ومن أمثلة تكرار الحروف :

مولاي انت المحسن المتعطف ** وأنا الفقير الطامع المتشوق
أدعوك عافية وعفواً دائماً ** وجمال سيرٍ دائم بك يتحق
وفراغ قلب عن سواك وبهجة ** برياضٍ معرفة جناها يقطف
وغزير فيض من بحار يساركم** أبداً يفيض على الورى لا يوقف
وكمال حفظ من عظيم رعاية ** من كل سوء أو عنا يتكلف
اصلح لزوجٍ والبنين وتابع ** وأخي بودادٍ بالمودة يعرف
وامط أذى شكوك يا رب الورى** فأنا لدى البلوا أنوه واضعف
وتولني بولاية ورعاية ** تثني زمامي عن سواك وتصرف
خضعت لعزتك الملوك وأذعنت ** علمت بأنك وحدك المتصرف
لما أتاها الموت والقهر الذي ** دك الرقاب وليس عنه مصرف
سبحانك اللهم يا متنزه ** عن شبه مخلوق وحال يوصف
أنت الذي أوجدتنا ورزقتنا ** وحفظتنا من كل أمرٍ يجحف
أمهلتنا مع موجبات هلاكنا ** حتى عرفنا أنك المتعطف
من غيركم يعطي المسئ مراده** ويخصه بالمكرمات ويرأف
أدعوك ربي توبة محفوظة ** عن نقض عهدٍ انت ربي الطف
ومسائلاً قصرت عن إفصاحها ** انت العليم بها وانت المسعف
ثم الصلاة على النبي وآله ** وأزف حمدي للكريم وأردف[١]

---

[١] الرشفات ص ٢٤٣

وأيضاً من الحروف التي لها موسيقى قوية القاف والسين هما حرفان موسيقيان تستشفهما آذان السامع ومن المعروف أنهما ذوا جرس موسيقي عالي الصفير ، وقد كثر ورودهما في هذا الديوان .

وكذلك من أمثلة التكرار للحروف قصيدة تقول :

حملتك ألطاف المهيمن منةً ** منه تعالى الله ذو الإحسان
فاشكره وابشر بالهداية والتقى** والفيض والأشواق و العرفان
فاترك له كل السوى من مؤنس ** كالدار والأحباب والأوطان
فالله خيرٌ منهم وهو الذي ** يرعاك في سرٍ وفي إعلان
وكفى به عن كل شيءٍ فأنت ** عوضاً يزيح مرارة الفقدان
يا رب حالي أصلحنه بفضلكم ** واجذب اليكم يا قوي عناني
واحسم نزاع النفس والشيطان يا** ملك الملوك وموجد الإنسان
أدرك بذاتك والصفات وأحمد ** والانبيا والرسل أهل الشأن
وكذا الملائكة الكرام جميعهم ** والآل والأصحاب والأعيان
وصلاة ربي والسلام على الذي ** ملأ الوجود الكل بالفيضان
والآل والصحب الكرام وتابعٍ ** والحمد لله العليِّ الدانى[١]

فنجد هذه الأبيات تكرر فيها حرف النون فأعطى هذه الموسيقى الجذابة.

وأيضاً من أمثلة التكرار للحروف قصيدة تقول :

ذكر المُهيمن بَهجْتي وضيائي ** وجلاءُ كُرَبى وإنكشاف بلائى
هو عُدتِى وذخيرتي ووسيلتي ** ومهندِى إن أعدّت اعْدَائِى
مالي سواهُ في الحقِيقةِ حَيْلة ** لِزَوال ضرٍّ أو بقاء هناءِ
لا فَهْمَ لى كلاً ولا مالاً ولا ** ركناً ألوذُ به من الأسواءِ
ما لِى بَراحٌ عنه في صِغَري ** ولا كِبَرى ولا سَوْآى ولا سَراءِ
عَيْشى به عِزى به بَسْطى به ** وبه أصولُ بشدَةٍ ورخاء
الله أشكرُ حيثُ وفقني له ** وعليه لا يُحْصَى جميلُ ثنائى

---

[١] الرشفات لمؤلف هذا الديوان ص ٣٥٦.

ثم الصلاةُ على النبي محمدٍ ** والآلِ من همْ في الظلام ضيائي[1]

ففي هذه الأبيات نجد تكرار حرف الهمزه الذي يتميز بالصفير العالي .

أما عن تكرار الألفاظ فقد كثر في هذا الديوان ، ومن القصائد التي تقف شاهداً على ذلك قصيدة تدل على الاستغفار والاستسماح والمعلوم أن الاستغفار يقتضي الإلحاح والتكرار في الالفاظ مما يجعل اللفظ يتناسب مع المعنى ، فيأتي تكرار كلمة (الذكر) الدالة على معنى التوبة والاستغفار وعدم الغفلة فمن ذلك :

الذكرُ نورُ السائرين وبهجة ** للعابدين وأنه المفتاح

الذكرُ يوصل المسرة والهنا ** وبه تطيب وتنعش الأرواح

الذكرُ أنس الذاكرين وعيدهم** وهو المدام لنا كذا و الراح

الذكرُ يكشف للقطا وبه العطا ** وبه يفيض على الورى الفتاح

الذكرُ يدني كل قاصٍ للفتى ** وبه تدار الكأس و الأقداح

الذكرُ يسري في الفؤاد بأسره ** وبه يضئ لدى الدجا مصباح

لا خير في عيش الحياة بدونه ** وبه الحياة جميعها أفراح

الذكرُ يحي كل خلق ميت ** ولزومه للذاكرين فلاح

الذكرُ يحرس للفتى انفاسه** ويضوع منه عبيره الفواح

الذكرُ يطلع شمسه لضيائه ** وعليه يطفح بحره الطفاح

الذكرُ عينٌ للمريد روية ** الذكرُ غيث هاطل سحاح

الذكرُ عز للمريد وصوله ** الذكرُ حصنٌ مانعٌ و وشاح[2]

ونستشهد بمثال آخر لتكرار الألفاظ وهي قصيدة تتحدث عن فضل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على من قصده أنه سوف يرجع بالنفحات والبركات فمن ذلك:

جئنا لفضلك سيدي نرتاد ** فأمنن علينا إننا قصاد

جئنا اليكم من بلادٍ محلةٌ ** فيكم ينالُ اليمن والاسعاد

جئنا إليكم في فاقةٍ ومذلة ** والماء عندكمو لنا والزاد

---

(١) الرشفات ص١٧

(٢) المرجع السابق ص ٨١

جئنا اليكم لا غطاء ولا وطا ** ولانت وحدك سيدي الجواد

جئنا اليكم ولاالأعادي خلفنا ** ومن المخاوف ترجف الأكباد

جئنا اليكم والحوائج جمةٌ ** ونوالكم لا يعتريه نفادُ

جئنا اليكم فقرنا باد يري ** وبباكم يا سيدي الأرفاد

جئنا اليكم هذه حالتنا ** وكفى بكم ولديكم الأمداد

صلى عليك الله يا خير الورى** ما أمكم طول المد الوداد

والآل والصحب الكرام جميعهم ** وأبي الحسين كذاك والأولاد

والأم فاطمة البتول ومن لابكم ** لعلاقة فوق الورى قد سادوا

والحمد لله الجزيل نواله ** ربٌ له الإعدام والإيجاد[١]

ونموذج آخر يدلل على تكرار الألفاظ :

ألا ذكرن بالله بالأفيح القدسي ** وبيت البها والقرب بالله والأنس

ألا ذكرن بالركن والحجر الذي ** بتقبيله تمحى الذنوب وباللمس

ألا ذكرن خلى بملتزم الدعا ** وحجرٍ له تسعى الوفود على الرأس

ألا ذكرن بالطائفين بخشية ** ودمعهم الهطال من ألم الحبس

ألا ذكرن بالركعتين بعيدما ** يطوفون سبعاً للتخلي عن الرجس[٢]

ونموذج أخير لتكرار الألفاظ :

يا رب قومي نحو عزك قد سروا** بالاشتياق وما أقاموا وما ونوا

ولقد رووا عنك الجميل كما رأوا** يا رب أعدائي عليّ لقد بغوا

فلتخزهم يا من عليكم المتكل

يا ربِ أنهى اليك من الونا ** أن التخلف عنك اورثني العنا

يا ربِ قومي منك قد نالوا المنى** وتمتعوا بشهود ذاتكم هنا

وتدثروا منكم بأنواع الحلل

يا ربِ هبني للأحبة واسقني ** كأس المدام وفيكموا فلتفتني

---

[١] الرشفات ص ١٢٣

[٢] المرجع السابق ص ٢١٢

يا ربِ انهضني اليك وقوني ** بمعونة حتى بها لا انثني

عن نهج قومي واطردن عني الكسل

يا ربِ واقبل يا كريم شكيتي ** يا ربِ ملهوفٌ أجب لي منيتي

يا ربِ فأذن لي بخير معيةٍ ** يا ربِ واصرف محنتي وبليتي

فأنا هنا بالباب أفقر من سأل

يا ربِ أعدائي علىّ تجمعوا ** ولقد آذوني بالكلام واوجعوا

يا ربِ قهراً للعداة يروع ** أنت السريع وغيركم لا يسرع

يا ربِ فاهدهم وإلاَّ فالشللُ[١]

الجناس :

هو من الصور الموسيقية الداخلية الموجودة في هذا الديوان ويسمى بالتجنيس وهو : (أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها). ويسمى أيضاً المجانسة وهي المفاعلة من الجنس.[٢] وينقسم الجناس إلى نوعين هما ازدواجي وسجعي ، والازدواجي الذي يُراعي فيه وزن الكلمات والسجعي تكرارها.[٣]

وأمثلة الجناس الأزدواجي كثيرة منها :

إذا كانت الأكوان أثار فعلها ** نقول تجلتْ بالدواء والداء[٤]

فالتجانس هنا بين كلمتين هما (الدواء – الداء) وهو جناس غير تام وذلك لاختلافهما في عدد الحروف بما أكسب البيت نغماً موسيقياً واضحاً .

ومن ذلك أيضاً :

خفيتُ جوى مما أقاسي من الهوى ** ولولب عشقي ما التوى عنك حسنائي[٥]

---

[١] الرشفات ص ٢٩٦.

[٢] من الجناس – على الجندي (بلاغة – أدب – نقد) دار الفكر العربي بدون تاريخ ص ٨٩

[٣] المرشد ج٢ ص ٢٦٠

[٤] الرشفات ص ١٢.

[٥] المرجع السابق ص ١٢.

فالجناس بين كلمتين هما (الهوى – التوى) وهو أيضاً غير تام وذل لاختلافهما في نوع الحروف مما اكسب البيت جرساً موسيقياً .

وأيضاً من الأمثلة :

زماني رماني في مرابع قربكم ** فأفنى الهوى مني مراتع سراء[١]

فقد كان الجناس من بين كلمتين هما (زماني – رماني) وهو غير تام وذلك لاختلافهما في نوع الحروف مما أكسب البيت جرساً موسيقياً .

ومثال آخر :

لهوفٌ له وجدٌ بنجد لأنها ** مواطنُ من أهوى ومجمع أهوائي[٢]

فنجد الجناس بين كلمتين هما (وجد – نجد) ولعله جناس غير تام والسبب هو اختلافهما في نوع الحروف ، وأمثلة ذلك كثيرة لا حصر لها في هذا الديوان مما يدل على قوى الموسيقى الداخلية .

ومن أمثلة الجناس السجعي في هذا الديوان :

عسى تمنحنى المشتاق أشرف وصلة ** بها تنجلي صاد كصاد إلى الماء[٣]

المجانسة موجودة بين الكلمتين (صاد – صاد) .

وأيضاً من الأمثلة الدالة على الجناس السجعي:

قومٌ بهم دارت مُدامَ الحان ** قوم بهم يمحى سودا الران[٤]

الجناس بين الكلمتين هما (الحان – الران)

ومن أمثلة ذلك :

سنطلبه بلا ماء وزادٍ ** ولا سيف ولا سهم يصيب

---

[١] الرشفات ص ١٣

[٢] المرجع السابق ص ١٣

[٣] المرجع السابق ص ١٣

[٤] المرجع السابق ص ١٨

ولا كدٍ ولا جدٍ ولكن ** رأينا الظن فيه لا يخيب[١]

فالجناس بين الكلمتين (كد – جد)

ثالثاً : الطباق :

الطباق هو الجمع بين الشئ وضده وينقسم إلى قمسين هما :

طباق ايجاب وهو كلمة وضدها ، وطباق سلب وهو الجمع بين كلمتين احداهما مثبتة والثانية منفية.

ونسوق أمثلة للطباق من هذا الديوان الذي يكثر فيه الشأن فمن بين ذلك :

مالى براحٌ عنه في صغري ولا ** كبري ولا سوآي ولا سراء[٢]

فالطباق بين كلمتين هما (صغري – كبري) و (سوآي – سراء) .

وفي بيت آخر:

عيشى به عزي به بسطي به ** وبه أصول بشدة ورخاء[٣]

الطباق بين كلمتين (شدة – رخاء)

وأيضاً من أمثلة الطباق :

الشوق الشوق الشوق على آبائي** في سائر الأوقات صبحي ومسائي[٤]

فالطباق بين الكلمتين (صبحي – ومسائي) .

ومثال آخر:

وأبدل لنعتي يا غنيٌّ بنعتكم ** يا من بك الإفقار والإغناء[٥]

---

[١] الرشفات ص٢٢

[٢] المرجع السابق ص١٧

[٣] المرجع السابق ص١٧

[٤] المرجع السابق ص ١٨

[٥] المرجع السابق ص ٣٠

الطبـاق بـين الكلمتـين (الإفقـار – الإغنـاء) . والأمثلـة علـى ذلـك كثيـرة فنكتفـي بهـذه الإشارات التي توضح الموسيقى الجرسية لهذا الديوان .

لزوم ما يلزم

وهو أن يأتي الشاعر بحرف يلتزم به قبل حرف الروى وهو ليس بالإزام.[1]

وهنالك قصائد كثيرة في هذا الديوان فيها التزام ما لا يلزم. ويمكن تقسيم اللزوميات في هذا الديوان إلى قسمين ، القسم الأول هو النوع المعروف من أنواع الإلتزام ، والثاني هو نوع آخر وجدناها في هذا الديوان وهو الإلتزام بحرف يبدأ به البيت ويختم بنفس الحرف ، ولعل مؤلف هذا الديوان سلك هذا النهج مجارياً به الوتري والفازازي والطرائفي.

ومن القصائد التي هي من النوع الأول التي التزم فيها حرف الالف قبل حرف الروي :

حملتك ألطاف المهيمن منةً ** منه تعالى الله ذو الإحسان

فاشكره وابشر بالهداية والتقى** والفيض والأشواق و العرفان

فاترك له كل السوى من مؤنس ** كالدار والأحباب و الأوطان

فالله خيرٌ منهم وهو الذي ** يرعاك في سرٍ وفي إعلان

وكفى به عن كل شيءٍ فأنت ** عوضاً يزيح مرارة الفقدان

يا رب حالي أصلحته بفضلكم ** واجذب اليكم يا قوي عناني

واحسم نزاع النفس والشيطان يا** ملك الملوك وموجد الإنسان

أدرك بذاتك والصفات وأحمد ** والانبيا والرسل أهل الشأن

وكذا الملائكة الكرام جميعهم ** والآل والأصحاب والأعيان

وصلاة ربي والسلام على الذي ** ملأ الوجود الكل بالفيضان

والآل والصحب الكرام وتابعٍ ** والحمد لله العليِّ الدانى[2]

أما النوع الثاني من أنواع الالتزام هو التزام حرفٍ في بداية البيت ونهايته به. فأمثلته كثيرة في هذا الديوان ومن ذلك قصيدة وردت في هذا الديوان تقول :

مراتبُ ذات في البرية تحكم ** وما هي إلا الآخرُ المتقدم

---

[1] ميزان الذهب – السيد أحمد الهاشمي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٣٩٩هـ – ١٩٨٩م ص ١٤٠

[2] الرشفات ص ٣٥٦

معاني صفاتٍ دونهن مراتبُ ** قديماتُ عهدٍ بالحوادث تعلم

مناط كلا الأمرين غيب مقدس ** وجود له منه عليه مترجم

محا ما بدا منه واثبت ما اختفى ** ولاح طراز بالمراتب معلم

مقامات قدس الذات معرج همتى ** وقلبي براقٌ والذي ثم مبهم

مكانة قرب دونها كل كائنٍ ** على الإرث نلناها وزال التوهم

معي سرها باقٍ وإن جحد السوى** وإن غشى الليلُ الذي هو مظلم

مثبتٌ بها اسعى على حكم امرها ** وعندي لها بيت حرام وزمزم

مبين كتابي ناطق بكلاهما** وإني وإياها الذي يتكلم

مضت قبلنا أمثالنا وستهتدي ** إليها أناس بعدنا وتسلم[١]

فالملاحظ أن هذه القصيدة أبتدأت بحرف الميم وكذلك اختتمت به وهذا هو النوع الذي تعنيه في هذا الديوان. وهذه اشارة واضحة تدلل على أن هذا الديوان صاحبه ممتلك للغة الضاد ، إذ أن هذا الإلتزام فيه إظهار للقدرة والتمكين الأمكن من اللغة ، وهذا النوع الذي ورد في هذا الديوان ليس بالسهل الذي يمكن ان يطرقه كل شخص أو اي ديوان فما احوج الطارق لمثل هذا النوع إلى قوة ومقدرة لُغوية بارعة.

---

[١] الرشفات ص ٢٩٧ – ٢٩٨

بناء القصيدة

قبل أن أبدأ الحديث عن بناء القصيدة فلا بد لنا من الوقوف أولاً على آراء النقاد العرب عند حديثهم عن بناء القصيدة العربية .

فقد أبدى النقاد اهتماماً واضحاً ببناء القصيدة العربية فوقفوا عند مطلعها ووضعوا له قواعد لتسير عليها ، ثم تحدثوا عن كيفية الانتقال إلى الغرض الاساسي للقصيدة ، ثم تحدثوا عن خاتمة القصيدة بعد ذلك .

يقول ابن رشيق القيرواني في حديثه عن مطلع القصيدة : (حسن الافتتاح ، داعية الانشراح ، ومطية النجاح، ولطافة الخروج إلى المديح سبب ارتياح الممدوح، وخاتمة الكلام ابقى في السمع، وألصق النفس ، لقرب العهد بها ، فإن حسنت حسن وإن قبحت قبح ، والأعمال بخواتيمها، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم).[١]

ويقول إبن طباطبا : (وأحسن الشعر ما ينظم القول فيه إنتظاماً ، تسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله، فإن قدم بيتاً دخله الخلل كما يدخل الرسائل والخطب، .. ويجب أن تكون القصيدة كلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها نسجاً وحسناً ، وفصاحة ، وجزالة ألفاظٍ ورقة معاني، وصواب تأليف، ويكون خروج الشاعر من كل معنى إلى غيره من المعاني خروجاً لطيفاً حتى تخرج القصيدة كأنه مفرغة إفراغاً).[٢]

ومما لوحظ أن النقاد عند حديثهم عند بناء القصيدة حصدوا احاديثهم في ثلاث قضايا وهي :

١) المطلع أو المبدأ .

٢) حسن التخلص أو الخروج.

٣) الخاتمة أو الإنتهاء .

---

[١] العمدة ج١ ص٢١٧

[٢] عيار الشعر لأبن طباطبا – تحقيق عياش عبد الستار – دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٢م ص ١٢٦ – ١٢٧

أولاً : المطلع أو المبدأ :

لقد وضع النقاد مناهج للشعراء لسيروا عليها في صناعة الشعر وهذا دليل على أن للمطلع في القصيدة العربية حيزاً واسعاً من الإهتمام ، ومن أولئك الذين اهتموا بالمطلع ابن رشيق حيث يقول : (وبعد فإن قُفْلٌ أوله مفتاحه ، ينبغي للشاعر أن يجوِّد إبتداء شعره فإنه أول ما يقرع السمع وبه يستدل على ما عنده من أولِّ وهلة، ولتجنب { ألا } و { خليلي} و { قد } فلا يستكثر منها في إبتدائه ، فإنها من علامة الضعف والتكلان)[١].

ويرى إبن رشيق أن بعض الناس اختاروا بعضاً من المطالع وحكموا بجودتها منها قول إمرءُ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

ويقول وهو عندهم أفضل إبتداء صنعه شاعر لأنه وقف واستوقف وبكي واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد.

وقوله :

* ألا عم صباحاً ايها الطلل البالي *

ومثله قول القطامي واسمه عمير بن شهم الثعلبي:

* إنا محيوك فاسلم أيها الطلل *

وكقول النابغة :

كليني لهم يا أميمة ناصب ** وليل اقاسيه بطئ الكواكب

ومن الذين تحدثوا عن المطلع أيضاً القاضي الجرجاني الذي يقول : (والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة).[٢]

---

[١] العمدة ج١ ص ٢١٨

[٢] الوساطة بين المتنبي وخصومه – للقاضي على بن عبد العزيز الجرجاني – تحقيق وشرح محمد أبي الفضل ابراهيم وعلى محمد البجاوي – دار احياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه ص٤٨

ويرى البروفسور عبدالله الطيب عندما تحدث عن أهمية المطلع ، أن للشعراء مذهبين أولهماان يكافحوا اغراض القول كفاحاً من دون تقديم بين يديها ، هذا إنما يأتي في الاشعار التي ينحو بها صاحبها منحى الخطب.

وثانيهما وهو الذي عليه اكثر القصائد وهو الاستهلال بالنسيب والخروج إلى السفر وذكر الأغراض.[١]

ثانياً : الخروج وحسن التخلص :

وكما طالب النقاد والشعراء بتجويد المطالع فأيضاً يطالبون بمراعاة حسن التخلص ، وهو الخروج من المقدمة إلى الغرض الأساسي أو الخروج من غرض إلى غرض وهدفهم من ذلك أن تكون القصيدة مترابطة الأبيات متناسقة الاجزاء.

ويقول أبو هلال العسكري : (وكانت العرب في أكثر شعرها تبدأ بذكر الديار والبكاء عليها والوجد لفراق ساكنيها ، ثم إذا ارادت الخروج إلى معنى آخر قالت { فدع ذا} ، { وسلِّ اللهم عنك بكذا}).

ومن حديث أبي هلال العسكري السابق وماجاء بعده في كتابه الصناعتين يتبين لنا أن للشعراء مذهبين في الخروج وهما خروج القدماء وخروج المحدثين ، فخروج القدماء غالباً بإستخدام الفاظاً بعينها كقولهم { دع ذا } { وسلِّ اللهم عنك بكذا} ، أما المحدثون قد تجنبوا خروج القدماء).[٢]

ويقول إبن رشيف عن حسن التخلص أو الخروج: (وأما الخروج فهو عندهم شبيه للإستطراد وليس به ، لأن الخروج إنما هو أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تخيل ، ثم تتمادى فيما خرجت إليه).[٣]

ثالثاً : الخاتمة أو الإنتهاء:

لقد اهتم النقاد بالخاتمة كما اهتموا بالمطلع والتخلص وذلك لأن الخاتمة هي آخر ما يطرق اذن السامع.

---

[١] انظر المرشد ج٣ ص ٨٦٩ – ٨٧٠

[٢] الصناعتين ص ٤٥٢

[٣] العمدة ج١ ص ٢٢٤

يقول ابن رشيق عن الخاتمة : (وأما الإنهاء فهو قاعدة القصيدة وآخر ما يبقيه منها في الأسماع ، وسيلة ان يكون محكماً ، لا تمكن الزيادة عليه. ولا يأتي بعدها أحسن منه ، وإذا كان اول الشعر مفتاح له وجب أن يكون آخره قفلاً عليه).[١]

ويقول العسكري عن الخاتمة : (فينبغي أن يكون آخرين قصيدتك أجود بيتين فيها ، وأدخل في المعنى الذي قصدته من نظمها).[٢]

أما عن بناء القصيدة في هذا الديوان ، فمن خلال الإطلاع على الأشعار الموجودة فنجد في بعض القصائد التزم فيها بما الزمه وذكره النقاد القدماء ، وفي بعضٍ منها لم يلتزم فيه بذلك والملاحظ على المقدمات ان الغالب عليها هو دخول الشاعر في موضوعه مباشرة دون اللجوء إلى المقدمات المعهودة ، وفي بعض القصائد للسير على نهج القدماء حيث نجد بعض القصائد تفتتح بالغزل والنسيب وذكر الدابة ثم يتخلص إلى الغرض الأساسي للقصيدة فمن تلك القصائد الدالة على ذلك :

أكرم بركب العامرية إذ غدا ** في حبها بوصالها يتنعم
لا بؤسٍ يغشاه ولم تنزل بـه** ثوب الزمان ولا عراه تبرم
بيض الليالي كان طالعٌ بدرها ** بدر التمام به أضاء المظلم
لله در من أقتفى آثـاره ** وغدا يحي أهلهـا ويسلم

ومن بعد ذلك نجد بقية القصيدة تخلص إلى الغرض الأساسي هو التضرع إلى الله ورجاءه العفو:

ظني بكم حسن وانت عليم ** فأمنن عليّ فما سواك كريم
الوقت جاء وليس لي من حيلة** إلا الرجاء فيكم وانت رحيم
بمحمد خير الوجود وآلـه ** طراً سألتك ربّ أنت عظيم
فالتعف عني يا كريم بفضلكم ** أنت الغفور و ما سواك حليم
وتمن بالسير الحثيث لذاتكم ** حتى أغيب وفي رضاكم اهيم
وصلاة ربي للنبي وآلـه ** ولك الثنا يا ذا الجمال يدوم[٣]

---

[١] العمدة ج١ ص ٢٣٩

[٢] الصناعتين ص ٤٤٣

[٣] الرشفات ص ٣٢٣

فالملاحظ أن هذه القصيدة حسن ختامها كما حسن التخلص .

ومن القصائد التي سارت على نهج القدماء والشعراء تلك القصيدة التي بدات بالغزل ومن ثم التخلص إلى الغرض الأساسي هو الدعاء والالتجاء إلى الله وطلب العون فقالت :

كيف اصطباری والاحبة بانوا ** نحو الحمى تحدوهمو الالحان
وديارهم خليت فلا احد بها ** يشتاقهم ويقول كان وكانوا
احوالهم هجرت فلا أحدٌ لها ** يحكي ولا بشرٌ لهم لهفان
غابوا وقد غاب الهدى وتحكمت ** جندُ الهوى وتحكم الشيطان
مولاي خلصنا بجاه محمد ** وتولنا يا رب يا رحمن
وابعث الينا جند نورك ربنا ** ليسوفنا بالشوق يا حنان
وكن النصير لنا يرد عدونا ** عما يريد بنا أيا منـان
واكتب لنا سيراً حثيثاً طيباً ** نحو الحمى والقائد القرآن
وشريعة للهادي الرسول محمد ** صلى عليه الواحد الديان
والآل والصحب الكرام وتابع ** ولك الثنايا يا من لك الإحسان(١)

نقف عند النموذجين السابقين على نموذج آخر يوضح أن هذا الديوان فيه قصائد تبدأ بالغزل ثم تخلص بعد ذلك إلى الغرض الاساسي فمن ذلك :

تمر بنا ذات الجمال فتنجلي ** هموم واحزان ويكشف الغم
وترقص اطرافي سروراً وفرحة** يطيب بها عيشى وينفرج الهم
ويجبر كسري حيث حلت بساحتي ** ويعلو بها قدري ويترحل الوهم
يعم بها الجود المبارك أرضـا** فينبت فيها الزرع والنخل والكرم
وتبتهج الأكوان منها نضارة ** وتنعش من ذكرى مدامتها القوم
يعز بها بعد المذلة جارها ** ويهمى على العبد الفقير بها الغنم
وتنصلح الأحوال بعد فسادها** متى غشيتنا والهبات لنا تنمو
وتنزاح اكدار القلوب وتنمحى** وينجاب عمن شافها الضم والضيم

---

(١) الرشفات ص ٣٧٢

تصح بها الابدان من مرض الهوى** فلا مرض بعد الوصال ولا سقم

عليك بذكرى الأمن إن كنت طالباً ** زيارتها أو كنت حُراً له فهم

فإن بها كشف الغياهب والقطا ** وفيها العطاء والقدر من ذكرها يسمو

توجه بها بالإذن والسند الذي** إلى المصطفى المختار أوضحه الرسم

عليه صلاة الله في كل لمحة ** وما أطرب الحادي وما شوق النظم

وبعد الثناء لله في كل حالة ** على نعم في كل يوم لنا تنمو(١)

ففي هذه القصيدة نجد أن البداية كانت بالغزل والتخلص بعد ذلك الغرض الأساسي وهو زيارة أم المؤمنين وهي السيدة خديجة (رضي الله عنها) ومن ثم كانت الخاتمة بالصلاة على افضل خلق الله (صلى الله عليه وسلم).

ومن النماذج التي تبدأ بالغرض الاساسي في هذا الديوان مباشرة قصيدة سلم فيها صاحب هذا الديوان على سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيقول:

سلامٌ عليكم رسول الأنام ** وآلٍ وصحب هداة كرام

سلامٌ عليكم رسول البها ** سلام عليكم بغير انفصام

سلامٌ عليكم بنيل للرضى ** من الله سبحانه ذي الدوام

سلامٌ عليكم بنيل المنى ** ويولي القريب رفيع المقام

سلام عليكم كريم الخصال** وساقي المحب شريف المدام

سلام به نرتقي للعلا** سلام عليكم خيار الأنام

سلام به نهتدي للأمام ** ومنا عليكم صلاة وسلام(٢)

ومن النماذج التي تبدأ بالغرض الاساسي مباشرة في هذا الديوان تلك التي تتحدث عن أن مراد الشاعر صاحب هذا الديوان الحجاز والأراضي المقدسة هي مراده ومناه

---

(١) الرشفات ص ٣٤٤

(٢) المرجع السابق ص ٣٢٢

ومحط آماله وتحقيق مقصوده وان حاله لا تستقر إذا لم ير هذا الربوع فبدأت القصيدة بهذا الغرض:

أصبحت انشد والحجاز مرادي ** نعم المراد وحبذا انشادي

ومعاهدٌ فيها بلوغ مقاصدي ** هي بغيتي هي طارفي وبلادي

لا تستقر حويلتي إن لم أر ** تلك الربوع لكعبة الاسعاد

يا رب فاحملني بحق محمدٍ ** لمحمدٍ انت الكريم الهادى

وتولني في كل حال سيدي ** وانظر لأحوالي بخير سداد

بمحمدٍ وبآله وبصحبه ** والأنبيا والأوليا العباد

ثم الصلاة على الرسول محمدٍ ** خير الوجود وآله و الأسياد

والحمد لله الكثير نواله** قد تم ما أرجوه من امداد(١)

ومن أمثلة تلك القصائد أيضاً :

أحبتنا لله قد أفردوا القصدا** وما نقضوا عهداً ولا أخلفوا و عدا

لعمري هم الأحرار لله وحدهم** وغيرهمو اضحى لأهوائه عبدا

فكن مثلهم حراً الا فحبهم ** وغيرهم يعطي الفتى بهم القصدا

ألا واهجرن من ظل يكره ذكرهم ** وفر فراراً منه بعداً له بعدا

شقاه لقد ارداه في حفرة الردى** وحرمانه لا ريب أورثه الصدا

فسوف يرى خسراً إذا انكشف الغطا** فياليته لو تاب من قبل ان يردى

رعى الله ذاك الحي حيُّ احبتي ** وأمطره من سحب رحمته جودا

واحيا محياً ظل يكثر ذكرهم** واجزله من محض إحسانه رقدا(٢)

فالغرض الاساسي هو الحديث عن الاحبة الذين كان همهم هو الله عز وجل وبذلك اصبحوا احراراً نالوا المنى وتم لهم القصد وتولى الله الدفاع عنهم فيا نعم هذا الغرض ويا نعم من حدث عنهم.

ومن النماذج الدالة على ذلك أيضاً :

---

(١) الرشفات ص ١٣٨

(٢) المرجع السابق ص ١٣٨

اسلم عنانك للرقيب الواحد ** وصلن سراك إلى حماة وجاهد

واعمل بما جاء الكتاب ولُذ به** وأقبل على المولى بطرف ساهد

وأشهد في كل الوجود فانه** نعم الشهيد لكل عبدٍ شاهد[١]

فنجد الغرض الاساسي في هذه الابيات التسليم لله وحده والعمل وفق ما جاء به الكتاب، ويجب أن يكون الاقبال على الله لأنه هو الذي يقبل عليه لا سواه، وحثت هذه الابيات على مرتبة الشهود وهي مرتبة عند القوم تأتي بعد الإحسان والإيقان يكون فيها العبد ربانياً .

ونموذج أخير يقوي ذلك الغرض :

مولاى جئتك بالمختار سيدنا ** وصاحب الغار والفاروق يا سندي

كذاك جئت بذي النورين مرتجياً ** منك الإنابة يا ذا الجود والمدد

وحيدر نجل عم المصطفى وكذا ** بنيه فاطمة الزهراء والولد

كذاك جئتك بالسبطين ذا عشم ** وبالصحابة والاتباع خذ بيدي

ومدين بجزيل الخير مكرمة ** يا واحد ليس مولوداً ولم يلد[٢]

فالغرض الاساسي هو التوسل بخير البشر وباصحابه واتباعه وابنائه ، والتوسل جائز به (صلى الله عليه وسلم) حياً وميتاً والأدلة على ذلك كثيرة لا حصر لها ، وكذلك باصحابه رضوان الله عليهم واتباعه وابنائه والمقام ليس مقاماً لذكر هذه الأدلة ولكن كتب السنة المشرفة مليئة بذلك فمن أراد أن يستوثق فاليرجع اليها في مظانها، ولا ينكر هذا التوسل إلا من كان جافياً جاهلاً بأمر دينه جافاً في عقيدته .

فالملاحظ من خلال هذه النماذج السابقة ان قصائد هذا الديوان لم يكثر فيها من المقدمات التقليدية إلا عند المدح وأما في غير ذلك فإنها تتحدث عن الغرض الأساسي كما بينا ومثلنا لذلك.

وهناك ملاحظة اخرى لا بد أن تشير اليها وهي ان صاحب هذا الديوان قد التزم بوحدة الموضوع ، وهذه تعتبر سمة من سمات التجديد ، فالتأمل لأدب هذا الديوان يجد

---

[١] الرشفات ص ١٣٩

[٢] المرجع السابق ص ١٤١

هذه السمة واضحة وضوح الشمس في كبد السماء ، إذ ان هناك العديد من القصائد تناولت غرضاً واحداً إن كان مدحاً أو غيره ولعلنا اوردنا هذه الاشارة في هذا الموضوع وأيضاً هذا الديوان هو من الدواوين التي يجب ان تولى اهتماماً خاصاً لما فيه من السمات الرقيقة التي ترتقي بالشعر والأدب العربي وخاصة السوداني إلى محط الاعتراف والتقدير فمن هذا الباب ابت نفسنا إلا أن تتكلم عن هذا الديوان إذا اننا لا نساوي بحديثنا هذا مثقال خردلة فيه لأنه ينبض من عقل تمكن فيه حب الله ورسوله واصحابه واتباعه وأوليائه مما جعل لغة هذا الديوان لغة رزينة منهجية لا تبارى فيهاالصدق المبني على الحقيقة لا الخيال .

وهنالك إشارة ايضاً لا بد منها هي أن هذا الديوان يجمع بين طياته جميع أغراض الشعر وكذلك جميع العلوم والفنون فيمكن لغيري ان يتكلم عن هذا الديوان مثلاً في مجال السنة المطهرة ، وأيضاً في مجال العقيدة، وفي مجال النحو ، في مجال الفقه ، فقد حوى هذا الديوان كل هذه الفنون والعلوم . ولا ننسى السبب الثاني في ذلك أسرة الشاعر صاحب هذا الديوان البيت والذى تربى وترعرع فيه وهي أسرة يشهد لها البر والبحر في السودان وغيره بالعلم والمعرفة والتحقيق والتدقيق كيف لا وهي أسرة بقيادة رجل يعرفه أهل الظاهر والباطن علماً وبركة ألا وهو صاحب الغوثية الكبرى تاج الاصفياء ومعدن العرفان وهو للعارفين اكسيراً وهو سيدي أحمد الطيب بن البشير (رضي الله عنه) ونفعنا الله به دنيا وأخرى.

الخاتمة:

وأختم هذا البحث المستطاب بالحديث الصحيح من آخر كتاب البخاري رجاء البركة والتبرك والنفع إن شاء الله تعالى ، وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : ﴿ كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم﴾ أهـ. وهو حسبي ونعم الوكيل.

ثم قمت بعدما تيسر لي من معلومات بتقسيم البحث إلى أبواب ثلاثة بينها التمهيد عن قبيلة مؤلف هذا الديوان.

تحدثت في الباب الأول عن حياة القريب " رضي الله عنه " وقسمته إلى ثلاثة فصول وقسمت الفصول إلى مباحث.

أما الباب الثاني فقد أفردته للحديث عن الموضوعات الشعرية التي يحويها هذا الديوان ، وأيضاً قمت بتقسيم هذا الباب إلى فصول والفصول إلى مباحث.

أما الباب الثالث فقد تحدثت فيه عن الخصائص الفنية في هذا الديوان وأيضاً قسمته إلى فصول والفصول إلى مباحث .

وأسأل الله العلي القدير أن أكون قد توفقت في هذه الدراسة التي أتمنى لها أن تكون إسهاماً مني في إثراء المكتبة الأدبية.

ولقد توصلت في خاتمة هذا البحث إلى النتائج الآتية :

١) أن صاحب هذا الديوان الشيخ قريب الله ينتمى في نسبه إلى البيت النبوي الشريف من جهة سيدنا العباس عم المصطفى (رضي الله عنه) .

٢) عاش صاحب هذا الديوان في بيئة صوفية فزة خاصة أنها لها الأثر الواضح في تكوين ثقافته.

٣) تلقى صاحب هذا الديوان تعليمه على طريقة الخلاوي داعياً إلى الله على بصيرة.

٤) هذا الديوان حوى عدداً من الأغراض الشعرية، إلاّ أن الغالب فيه هو المدح النبوي والاراضي الحجازية وذلك لتمكن محبة النبي صلى الله عليه وسلم في قلب مؤلفه.

٥) جمع هذا الديوان عدداً من الأساليب ولكن الغالب فيه الاسلوب الخطابي.

٦) تميزت لغة الديوان بالجزالة والرصانة وقوة الجرس الموسيقي مما يدل على التوسع في الثقافة اللغوية .

٧) حوى هذا الديوان مختلف البحور الشعرية القديمة، ولكنه كثر فيه النظم في بحر الطويل.

٨) هذا الديوان فيه تأثر بشعر الأقدمين من الشعراء خاصة شعراء المديح النبوي، والصوفي كالبوصري، والوتري ، والغازازي وغيرهم.

٩) في هذا الديوان سمات من التجديد وذلك من خلال الموشحات والرباعيات والخماسيات، كما أن بعض القصائد فيه تميزت بالوحدة الموضوعية.

وأخيراً أضع هذا البحث الذي هو جهد متواضع بين يدي اساتذتي الأجلاء وبين من يطلع عليه من مشايخ الإسلام والعلماء والأعلام، أن يلاحظوه بعين الضارية ويسيلوا عليه ستر الدعاية، ويصلحوا ما بدا فيه من الخلل، ويصححوا ما يرى فيه من العلل، فقد أبى الله أن يصح إلا كتابة ، وأن يسلم من النقص إلا خطابه، ولكنها محاولة أردت بها ومن خلالها أن اضع لبنه في صرح هذا الديوان الفذ.

وأختم هذه الحلة بأبيات الشيخ مؤلف هذا الديوان :

إلاهي لئن لم تعف فالويل كله** لعبد مسيء ذي ضلالة وباطل

تعلَّم عما ليس فيه بعامل ** وكم قال من قول وليس بفاعل

فإن تنتقم من ظالم شرُّ ظالم** فعدل أتى من عادل خير عادل

وإن تعف منك العفو فضل أنت** به سحائب جودٍ جاد بالخصيب هاطل

على مجدبٍ عطشان لهفان مقفر** فقير إلى غوث يغيث ووابل

المراجـــــع

١) القرآن الكريم .

٢) حافظ ابراهيم شاعر النيل – عبد الحميد – دار المعارف – الطبعة الثانية – بدون تاريخ .

٣) حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة – تأليف جابر بن زيادة على فهمي – دار سعادت (روش مطبعة سي) ١٣٢٤هـ.

٤) دراسات في النقد – وليد قصاب – دار العلوم للطباعة والنشر – الطبعة الثانية ١٩٨٣م.

٥) الرحيق المختوم – صفي الدين المباركفوري، الجامعة السلفية – الهند– المكتبة الثقافية – بيروت – بدون تاريخ .

٦) دراسات في علم العروض والقافية – الاستاذ أحمد محمد الشيخ المنشأة العامل للنشر والتوزيع والإعلان – طرابلس – الجماهيرية العربية الليبية الشعبية – الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ – ١٩٨٥م.

٧) الشعر الحديث في السودان – الدكتور محمد ابراهيم الشوش – القاهرة – ١٩٦٣م .

٨) شوقي شاعر العصر الحديث – الدكتور/ شوقي ضيف – دار المعارف – الطبعة العاشرة – بدون تاريخ.

٩) صحيح البخاري ح٢١١ تأليف الإمام محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزية الجعفي البخاري – طبع دار احياء الكتب لأصحابها عيسى البابي الحلبي.

١٠) الصناعتين (الكتابة والشعر) تصنيف أبي هلال الحسن بن عبدالله ابن سهل العسكري تحقيق على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم – دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي وشركاه – الطبعة الأولى ١٣٧١هـ–١٩٥٢م.

١١) عيار الشعر – محمد بن على بن طباطيا – تحقيق احسان عبد الستار – دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٢م.

١٢) فن الجناس (بلاغة – أدب – نقد) على الخيري – دار الفكر العربي – بدون تاريخ .

١٣) فن النقد الأدبي الحديث – د. شوقي ضيف – دار المعارف الطبعة السادسة – بدون تاريخ .

١٤) فن النقد الأدبي الحديث – د. محمد غنيمي هلال – نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – الفجالة – القاهرة .

١٥) قضايا النقد بين القديم والحديث – وليد قصاب – دار المعرفة الجامعية – بيروت – بدون تاريخ.

١٦) المجموعة النبهانية في المدائح النبوية – جمعها العلامة يوسف بن اسماعيل النبهاني – دار الفكر – بيروت – بدون تاريخ.

١٧) المدخل إلى شعر المدائح – قرشي محمد حسن – مطبعة التمدن – الناشرون – إدارة النشر الثقافي – يوليو ١٩٧٧م.

١٨) المديح – فنون الأدب العربي – الفن الغنائي (٤) نظم سامي الدهان – دار المعارف بمصر – الطبعة الثانية – بدون تاريخ.

١٩) المرشد إلى فهم اشعار العرب وصناعتها – اجزاء ١-٤ عبدالله الطيب – الطابعون – جامعة الخرطوم – دار جامعة الخرطوم للنشر – الطبعات ٢، ٣، ٤ – ١٩٩١م – ١٩٩٢م – ١٩٩٤م.

٢٠) المستطرف في كل فن مستظرف – ح١ – تأليف شهاب الدين بن أحمد أبي الفتح – شرحه ووصحح هوامشه الدكتور مفيد محمد قميحة – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

٢١) من شعر المديح النبوي – د. الحسين النور يوسف – الطابعون – مطبعة جامعة الخرطوم – الطبعة الأولى ١٣/١١/١٩٩٥م.

٢٢) ميزان الذهب في صناعة شعر العرب –السيد أحمد الهاشمي – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

فهرس الآيات

السورة	الآية	رقم الآية
الصافات	(لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ)	٦١
(ص)	(فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ)	٢٥
الزمر	(إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ)	٣٠
غافر	(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)	٦٠
الجاثية	(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)	٢١
(ق)	(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)	١٦
الذاريات	(وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ)	٢٠
الواقعة	(وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ)	١٠
الواقعة	(وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ)	٨٥
الملك	(أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)	٢٢
القلم	(فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ)	٥
القلم	(أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ)	٣٧ – ٣٨
نوح	(ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً)	٩
البينة	(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)	٧

الدواوين

١) ديوان البوصيري – نظم شرف الدين أبي عبدالله محمد بن سعيد البوصري – تحقيق محمد سعيد كيلانى – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى حلبى – الطبعة الأولى ١٣٧٧٤ هـ – ١٩٥٥م.

٢) ديوان شرب الكأس في حضرة الأكياس – تأليف الاستاذ الشيخ عبد المحمود بن الشيخ نور الدائم – الطبعة الثانية .

٣) ديوان الخنساء – تماضر بنت عمرو – المكتبة الثقافية – بيروت – بدون تاريخ.

٤) ديوان الشافعي – تأليف الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس – تحقيق محمد بن عبدالمنعم خفاجي – الناشرون دار بن زيدون – بيروت – الطبعة الثانية – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٥) مخطوطة بيد الاستاذ الشيخ عبد المحمود بن الشيخ نور الدائم.

٦) اللزوميات – أبو العلا المعري – الجزء الخامس – دار صادر بيروت ١٣٨٠هـ.

٧) ديوان العرف النظير في مدح جناب البشير النذير – للشيخ عبد المحمود الشيخ نور الدائم – الطبعة الثانية .

٨) ديوان نفخ الروح في جسم الفتوح للشيخ عبدالمحمود بن الشيخ نور الدائم.

٩) ديوان الدر الثمينة في الرحلة إلى مكة والمدينة / للشيخ الجيلي بن الشيخ عبدالمحمود .

١٠) ديوان النصرة العلمية لأهل الطريقة الصوفية / للشيخ عبدالمحمود بن الشيخ نور الدائم .

١١) ديوان أنفاس الشيخ البشير بأبي قمرى/ جنوب الجزيرة .

١٢) ديوان أنفاس الشيخ الطيب بن الشيخ البشير بأبي قمرى.

١٣) ديوان أنفاس الشيخ البكري بن الشيخ الطيب بن الشيخ البشير بأبي قمرى.

١٤) ديوان الدر النظيم للشيخ/ عبدالله بن محمد بن يونس العركي.

١٥) ديوان الكؤوس المترعة في مناقب السادة الأربعة / الشيخ عبدالمحمود الشيخ نور الدائم.

القواميس

١) مختار الصحاح.

٢) القاموس المنير .

المقابلات

1) لقاء مع سيدي الشيخ البكري بن الشيخ الطيب بن الشيخ البشير ، أبو قمرى جنوب الجزيرة ، وجده هذا هو الشيخ دلالة صاحب هذا الديوان – وهو مفتش الطريقة السمانية .

2) لقاء مع سيدي الشيخ الجيلي بن الشيخ عبدالمحمود بن الشيخ الجيلي بن الشيخ عبدالمحمود ود نور الدائم والأخير هذا شيخ صاحب هذا الديوان بطابت غرب الحصاحيصا.

3) لقاء مع سيدي الشيخ الطيب بن الشيخ الفاتح بن الشيخ قريب الله بود نوباوي .

4) لقاء مع الدكتور الشيخ عبدالجبار الشيخ بلال ود منير الخالدي بالثورة ح(٦٣). الاستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية كلية اللغة العربية – رئيس قسم النحو.

5) لقاء مع الدكتور الشيخ عبد المحمود الشيخ بلال ود منير الخالدي – بالحتانه مربع(١٠) – الاستاذ المشارك في الجامعة الإسلامية / كلية الشريعة والقانون رئيس قسم أصول الفقه .

6) لقاء مع الاستاذ صلاح الشيخ صلاح ود منير الخالدي بالثورة ح(٣٦) – مدير مدرسة شهداء الحارة التاسعة الثانونية بنين .

الفهرس